١٠٢١
1021
Harlequin
سلسلة قصص رومانسية
دار النحاس

درهم الأرملة

إمّا غولدريك

Rewity.com

Dalyai

روايات عبير

درهم الأرملة

إمّا غولدريك

لن تنسى لوسي أبداً، اليوم الذي قابلت فيه الرجل الأكثر مهابة في العالم...

في الواقع، لوسي قابلت ابنته الصغيرة مود، في البداية، والتي كانت بحاجة إلى صديقة...

كيف يمكن للوسي أن ترفض؟ ثم، عندما قابلت والدها الأرمل، جيم بروكتر، أدركت، على الفور، أنه أكثر الرجال جاذبية، في العالم، ثم لاحظت أنه أيضاً الأكثر مهابة! كان من الواضح أن جيم لن يأخذها بعين الاعتبار كأم محتملة للصغيرة...

الأمر الذي كانت تطمح إليه... ولكن لوسي لن تقف مكتوفة اليدين أيضاً فيما إيلويز الماكرة تخطط للحصول على جيم!

www.rewity.com
Dalya

سمعت صوت الرجل العميق آتياً من ورائها.

نهضت لوسي واستدارت في موقف دفاعي، رأت بروكتر وعلى وجهه ابتسامة عريضة ومرتدياً سروال رياضة قصيراً. إنه الرجل الذي تحبين أن تكرهيه قالت في نفسها وهي تحاول أن تصرعه بنظرة خارقة من عينيها الخضراوين.

لسوء الحظ، لم يكن ينظر إلى عينيها، بل كان يحدق إلى ثيابها المبتلة. حاولت لوسي اصلاح وضع ملابسها بأصابع مرتجفة ولكنها فشلت...

إما غولدريك

ولدت إما غولدريك ونشأت في بورتوريكو، حيث قابلت بوب وتزوجت منه الذي يعمل بالمصالح العسكرية. تقاعدا بعد ثلاثين سنة من العمل وبعد انجاب أربعة أولاد، وتفرغا للتعليم وحضانة الأطفال. تحولا للكتابة معاً عام ١٩٨٠. بعد قضاء ستين عاماً في التجول حول العالم، وسنة تدريب على اسلوب الكتابة. ميلز أند بون، قبلت مخطوطتهما الأولى. ولم ينظرا إلى الخلف، بعد ذلك. تتنوع هوايات غولدريك، من الاهتمام بالأحفاد، إلى تزيين الحدائق والقراءة والرحلات.

١٠٢١

روايتي

Riwayat Abir 1021

درهم الأرملة

إما غولدريك

www.rewity.com

روايتي

Dalyia

مؤسسة النحاس
لتوزيع الصحف و المطبوعات
بيروت - لبنان

الفصل الأول

لقد أقسمت لوسي بوردن أنها لن تنسى صباح ذلك اليوم من أيام شهر تموز/يوليو. ففي ذلك اليوم التقت لوسي أغرب رجل في العالم، حسناً، لقد التقت أولاً ابنته، فيما كانت تجلس مغتمة على درج مدخل منزلها الأمامي، محملقة إلى طريق ندبوينت الخالي من السيارات، صاغية لصوت حفيف الأمواج الآتي من خلف المنزل، تتساءل عما تفعل بهذا الشأن.

فوق رأسها، كانت طيور النورس تزعق وتصرخ في وجه بعضها بعضاً. ارتفعت درجة الحرارة إلى التسعين درجة فهرنهايت. الحل الوحيد لتلطيف الجو في مدينة ماتابويست كان نسمة هواء باردة من البحر. وأخيراً هبت هذه النسمة من الشاطىء خلف بيتها لتحمل معها رائحة مياه البحر، ثم اجتازت طريق ندبوينت وهزت أوراق الأشجار الممتدة على جانبي الطريق.

تمتد على طول ندبوينت منازل جديدة وأخرى قديمة مرممة. أما منزل آل بوردن فهو يقف بين هذه المنازل منذ القرن الثامن عشر وهو المنزل الوحيد الذي يبدو وكأنه سينهار ولم تكد لوسي بوردن... لوكسترا، في الواقع صاحبة إرث أو هي ذات خبرة لترممه.

وهكذا، عندما ظهرت الطفلة من خلف زاوية المنزل ووقفت أمامها، انتشلت لوسي نفسها من أحزانها ووقفت ثم ابتسمت. إنها تحب الأطفال.

قالت الطفلة: «مرحباً، اسمي مود.» ثم مدّت يدها المتسخة

لتصافح لوسي. ثم قالت لوسي في نفسها إنها تشبهها إلى حد كبير عندما كانت صغيرة. وجهها يملؤه النمش، شعرها بني اللون ذو تسريحة رجالية، أسنانها مفترقة عن بعضها البعض مكسّرةً.

كانت ترتدي بنطالاً بالياً ترفض أن ترتديه حتى بائعة متجولة. ومع ذلك البنطال ترتدي قميصاً ورديّ اللون، بالياً أيضاً. قالت الطفلة: «أنا فتاة.» ثم بدّلت وقفتها لتضع ثقل جسمها على قدمها الأخرى.

أجابت لوسي: «وأنا كذلك.» ثم مدّت يدها لتصافح مود وأضافت: «أليس ذلك لطيفاً؟ أعتقد أنك أتيت من جهة الشاطىء؟» هزّت الطفلة رأسها إيجاباً. سألت لوسي: «ما اسم عائلتك؟»

«ماذا؟»

«معظم الناس لديهم أسماء، ربما أنت مود كذا؟»

ضحكت الطفلة ثم أجابت: «أنت مضحكة. مود كذا! أبي شخصية مهمة جداً، اسمي مود بروكتر.»

«جميل جداً، إنه اسم سهل اللفظ، بروكتر. هل والدك هو من اختار لك اسمك، إنه أنثوي جداً.»

«لست أكيدة من ذلك، فهو يتصرف أحياناً كأنه يكره الفتيات.»

«لا بد أنه أحب والدتك.»

«ليس لدي والدة، لقد توفيت حين ولدت.»

قالت لوسي في نفسها: هذا ما تحصلين عليه عندما تكونين فضولية، وتتدخلين في شؤون الآخرين. ولكني أراهن على أنّ الفتاة تتأثر إذا ما ذُكِرت والدتها أمامها. ولكن... ثم قالت بهدوء: «نحن متشابهتان والدتي أيضاً توفيت حين ولدت، أنا لم أرها أبداً.»

تنهدت الطفلة ثم قالت: «جميل أن يكون للانسان والد، أين والدك؟»

«إنه... ليس هنا.» لقد ذهب والدها إلى الحرب عندما كانت ما تزال في كلية المعلمين ولم يرجع، ومارك المسكين لم يرجع، أيضاً، قالت لنفسها. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ طلبته قيادة القوات الجوية للخدمة مع والدها ولم يرجعا. ما أفظع أن تفقد الفتاة والدها وخطيبها في الوقت نفسه! ولكن ذلك كان منذ سنوات خلت. ثم ابتسمت الآنسة الحزينة.

«لكنك أحببت والدك، هو أحبك؟» هزّت الطفلة الصغيرة رأسها، فقالت لوسي في نفسها، طبعاً، هذا صحيح.

«والدي يصرخ بوجهي، لا أعتقد أنه حقاً يحب الفتيات.»

«حسناً، إذا كان والدك لا يحب الفتيات فذلك غباءٌ منه.» قالت لوسي وتساءلت عمن يكون بروكتر ثم سألت: «هل هو رجل أحمق؟»

نظرت الفتاة مندهشة ثم قالت: «والدي.» وكأنّ الفكرة لم تخطر لها أبداً. «إنه أذكى رجل في العالم. أو على الأقل في مساشوستس وأراهن أنك أنت أيضاً ذكية.»

«لا، إنني لست كذلك، في الحقيقة، أنا خلاف ذلك تماماً. أنا معلمة مدرسة، والمعلمة لا تجني الكثير من المال. وإذا لم أجد وظيفة أخرى في العطلة الصيفية فسأقع في متاعب جمة.»

ردّت الطفلة بجدية: «آه. ولكن أنت جميلة.» وكأنّ الجمال هو كل ما تحتاجه الفتاة للنجاح في هذا العالم.

سألت لوسي نفسها، وماذا تقولين حيال ذلك، يا لوسي بوردن؟ طولي خمس أقدام، وزني مئة وعشرون باوناً، عيناي خضراوان وشعري بني فاتح. إذاً لماذا هذا الخوف؟ ثم تمتمت

قائلة: «شكراً لك، ولكنني أتقدم في السن، إنني في الثامنة والعشرين من عمري.»

«آه، أنت كبيرة السن، ولكنه أكبر منك بكثير.» وافقت مود وهي تدفع الرمل بطرف حذائها. وتبع هذا الحديث فترة صمت حيث لم يسمع سوى صوت ارتطام الأمواج على الشاطىء وزعيق طيور النورس. واعترى لوسي فضول لتعرف من يكون بروكتر «هذا» ولكن لم تكن لها الجرأة لتسأل.

سألت: «هل تسكنين في هذه النواحي؟»

«هناك، في الأعلى.» ثم أشارت مود إلى تلة خلف الشاطىء حيث ينتصب منزل رائع، تحيط به مساحاتٍ خضراء شاسعة. ويتكون هذا المنزل من خمس عشرة غرفة ومرآبين. لقد كان ذلك المنزل محط فضول لوسي لبضع سنوات، لكنها لم تدخله قط. وأضافت مود: «لكن في الصيف تلك الأنحاء موحشة، أنا لا أعتقد...»

قالت لوسي: «أنت دائماً على الرحب والسعة لتزوريني، في أي وقت، فأنا لا أعمل حالياً، لذلك سأكون هنا معظم الوقت. هل تشاركينني كوباً من الليموناضة وبعض الحلوى؟»

«الأكل غير مسموح لي بين الوجبات الرئيسية.» قالت الفتاة وعيناها الزرقاوان محملقتان بلوسي وكأنها تطلب منها تجاوز ذلك. ولم تتأخر لوسي في الرد على ذلك فوضعت يدها على الدرجات بجانبها ووقفت برشاقة.

عرضت لوسي قائلة: «إن اتباع الحمية أمر غير ذي أهمية أيام الثلاثاء.» فهزّت الطفلة رأسها موافقة على ما قالته لوسي. علماً أن الفتاتين تدركان أن اليوم هو الخميس ولكنهما رفضتا أن يتدخل التقويم لمنع متعتهما. فقالت لوسي: «سأحضر شيئاً بسيطاً فقط.» بينما هي تصعد أولى درجات السلم المؤدي إلى مدخل المنزل،

أوقفها صوت سيارة كاديلاك كبيرة مسرعة متوجهة من شارع ندبوينت نحو منزلها، وأحدثت السيارة صريراً مزعجاً وصوتاً مدوياً ودخلت إلى الموقف الخاص وكأنها في عملية مطاردة.

وقفت الفتاتان تنظران إلى تلك السيارة. كانت مورد واقفة على أولى درجات المدخل، مطبقة فمها براحة يديها، ولوسي تقف على درجات أعلى المدخل وإحدى يديها ممتدة إلى الباب الأمامي. ارتفع الغبار المتطاير حول السيارة للحظات، وفتح الباب لجهة السائق وخرج رجل.

رجل ضخم، طوله يفوق الست أقدام، معتدل الجسم، يعلو جبينه عبوس وكأنه نذير الرعد متنكراً في بزة رمادية مؤلفة من ثلاث قطع وعلى وشك إحداث صواعق.

قال بنبرة متوترة أخافت حتى الطيور المغردة حولهم: «ماذا تفعلين مع ابنتي بحق الجحيم؟» قالت لوسي في نفسها وهي تحاول كبح غضبها، إنه من نوع الرجال الذين قد تكرههم.

«أنا لا أسمح بالشتائم في منزلي، فقط قل لي من أنت؟» قالت بحدة.

«أنا والد مود.» زمجر قائلاً.

«وكيف لي أن أعرف ذلك؟» ردت باللهجة نفسها: «فكل ما أستطيع رؤيته هو أنك خاطف أطفال. فليس هناك فتاة تحترم نفسها ترضى بأن تكون والدها. مود، هل هذا صحيح؟»

أخفضت الطفلة رأسها وركلت الرمل بقدمها، قبل أن تعترف: «نعم، إنه والدي. ولكن الذنب ليس ذنبي.» ثم انهمرت الدموع على خدّها. بعد احساسها بألم الطفلة، هرعت لوسي إليها وضمتها بين ذراعيها.

«لا، لا، يا عزيزتي. إنه ليس ذنبك، فلا أحد منا يختار أهله.»

قال بسخرية: «شكراً جزيلاً، مود اصعدي إلى السيارة.»

سألت الطفلة: «هل سأراك ثانية؟»

أجابت لوسي: «في أي وقت.»

«تقولين المستحيل.» أضاف الرجل، ثم صفق باب السيارة خلف ابنته وصعد الدرج حيث تقف لوسي وقال: «الآن اسمعي.» لا بد وأنه يعتقد أنه يتصرف بطريقة طبيعية، ولكن شكله وحجمه كانا كفيلين بإخافة أي امرأة في الثامنة والعشرين من العمر فأطبقت لوسي راحتي يديها حتى انغرست أظافرها في كفيها وأغمضت عينيها حتى لا تخاف، ولكن بعد قوله: «الآن اسمعي.» لم يقل الرجل شيئاً.

فتحت عيناً واحدة بحذر. لقد كان لون عينيه كلون شعره أسود قاتماً. ولكن عينيه ما كانتا تنظران إلى لوسي بل تمعنان النظر إلى المبنى خلفها وكادت تسمع أفكاره القائلة بأن منزلها هو عبارة عن كومة ركام وقد كان ذلك كفيلاً بإثارة غضبها.

قالت بحدة: «حسناً، نعم إنه منزل، لقد مضى على سكننا هنا نحن آل بوردن قرنان من الزمن. لسنا جماعة من المهاجرين الذين أتوا مؤخراً وسكنوا هنا!» هؤلاء المهاجرون الذين أتوا متأخرين. بالطبع، لم يكن ذلك صحيحاً. إن آل بوردن كانوا مجموعة من المهاجرين، انحدروا عائلة من التشايش، التي وصلت على متن ماي فلور بعد أن تركوا القارة القديمة.

صحيحاً كان ذلك أم لا، فقد هزّ السيد بروكتر وتسبب في احمرار وجهه فيما هو ينحني نحوها. انتقلت هي إلى درجة أعلى حيث أصبح الاثنان على المستوى نفسه.

تمتم محتقراً: «أميركي من نيو إنغلند، إن المنزل يبدو وكأنه قد بُني منذ ألف سنة. ريح عاصفة أخرى قد تحوله إلى كومة

ركام. ماذا ظننتم أنت وأجدادك، أنكم قد تضيعوا الوقت والمال في طلاء جدران هذا المنزل اللعين، إنه كريه المنظر.»

شعرت لوسي بوردن أن هذا كثير جداً وأن حنقها قد وصل إلى درجة الانفجار فتحت يدها ورفعتها باتجاه وجنتيه وأغمضت عينيها حتى لا ترى التأثر.

لكن لم يكن هناك أي تأثير فقبل أن تصفعه براحة يدها، كان معصمها حبيساً في قبضة قوية مثبت بحركة تفوق قوتها.

«أنت تؤلمني.»

«تستحقين ذلك.»

«والدي!» كانت ابنته فتحت نافذة السيارة وانحنت إلى الخارج وأخذت تصرخ.

قالت لوسي: «يا إلهي أتمنى لو كنت أكبر لكنت...»

ردّ قائلاً: «لو كنتِ أكبر، لكنت رددت لك الصفعة، ولكن بما أنك شيء صغير، أعتقد أني سا...»

صرخت مود ثانية: «والدي!»

قالت لوسي بضعف: «لا تفعل...»

من البديهي أن هذه الكلمة لم تكن من مفرداته. إذ أنه اقترب منها، وضمها بذراعيه، وأخمد كل اعتراضاتها بعناق رقيق. وقد كان هذا العناق بالنسبة إلى لوسي مليئاً بالدفء والموسيقى. وهي بالطبع، دخلت هذه التجربة مرة أو اثنتين من قبل. وقد عبر ذاكرتها بشكل مبهم تحذير والدها لها عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها بالنسبة لهذا الموضوع. لكن من كل أصدقائها، مارك هو الوحيد الذي أثارها ومع ذلك لم يكن له سحر هذا العقاب الذي نفذه... قرصان! وبعد أن انتهى العناق، بعد ساعات، وتركها بروكتر شعرت لوسي بالأسى لأن ذلك انتهى.

ولكن لم تمر ساعات بالطبع فقد كانت ما تزال مود الصغير تصرخ من داخل السيارة وتبذل قصارى جهدها لتفتح باب السيارة ثانية. ويور النورس تزعق من خلف المنزل، كان بروكتر يبتسم لها من أسفل الدرجات.

قال: «ليكن ذلك درساً لك، اتركي ابنتي وشأنها. فأنت تزعجينني.» وبعد ذلك توجه نحو السيارة.

قالت لوسي لتستفزه: «مود، تعالي في أي وقت تحبين.» فنظر إليها من داخل السيارة وحرك اصبعه يمنة ويسرى.

تمتمت قائلة: «لا أستطيع أن أتركه ينجو بفعلته هذه.» ولكن ما أرادت قوله لا يليق بسيدة مجتمع. إضافة إلى ذلك، قد يأتي ثانية ويعاقبها. لوّحت بيدها للطفلة، ثم أدار بروكتر محرك السيارة وعلى الرغم من بعدهما استطاعت لوسي أن تسمعه يؤنب الفتاة الصغيرة لأنها تكلمت مع الغرباء.

«ماذا حصل اليوم؟» سأل ابنته وهو يضغط على دواسة البنزين.

«حصل؟»

«لا تتظاهري بالبراءة، أين الرجال الذين عينتهم للاهتمام بالمكان بينما أنا في عملي؟»

«آه، هم؟»

«نعم، هم!»

«حسب معلوماتي، فهم ما يزالون في المطبخ، يأكلون.» تمتمت ثم حضنت نفسها، إذ هي تعرف والدها حق المعرفة. ضغط بروكتر على المكابح، فدارت السيارة في مكانها واستطاع استعادة السيطرة على السيارة فقط بقوة عضله ثم استدار إلى مود وأمسكها من نقنها.

قال برقة: «لا تتحديني، يا مود. هنالك خطر يحدق بأهالي نيو إنغلند، إذ أن أولاد العائلات الغنية يُخطفون. ألا تذكرين لماذا انتقلنا للعيش هنا في ماتابويست عوضاً عن البقاء في بوسطن؟ لأن ثلاثة أطفال، أحدهم من مدرستك، قد خطفوا. لماذا تظنين أننا نجعلك تتجولين في هيئة تُظهرك كمتشردة عوضاً عن الظهور كأنثى صغيرة غنية؟»

«أنا آسفة، يا أبي. أنا... لقد نسيت. وقد أحسست بالضجر. فكل ما يريد هؤلاء الرجال فعله هو الأكل والتحدث إلى السيدة ونترز. لم يكن عليك توظيف طاهية جميلة إلى هذا الحد. لقد مللت فذهبت لأتمشى قرب الشاطىء وهناك التقيت لوسي، إنها سيدة لطيفة.»

«إنه شيء محتمل ولكن حتى أعرف عنها المزيد ليس علينا أن نجازف، يا طفلتي.»

«إنها جميلة أيضاً.»

صدر عنه صوت سعال خفيف، وقالت الطفلة: «حسناً، إنها كذلك.»

قال معلقاً: «ربما، لكن الجمال هو ما يفعله الجمال.»

وبينما هو يعيد إدارة المحرك قال: «أبعد الله الشر عنا. من أين تعرفين كل هذه ال... ماذا يُسمونها؟»

«أقوال.»

«نعم. هذا ما أعني.» عدّلت الطفلة جلستها وأضافت: «تعجبني شخصيتها، فهي مرحة، تضحك دائماً، وتحبني!»

علّق قائلاً بازدراء: «هل حقاً تعنين ذلك؟» وفيما كان يوقف السيارة أمام مدخل منزلهما قال لها: «ادخلي إلى المنزل، وإلا...»

«وإلا أطبقت السماء على الأرض؟»

«وإلا أطبقت السماء على الأرض.» حدقت الطفلة الصغيرة به وهي تلوي فمها يمنة ويسرى. ثم أطلقت ضحكة عالية ورمت بنفسها في حضن ذلك الرجل الضخم الذي هو والدها.

قالت لوسي: «بعد ذلك انطلق بسيارته مسرعاً.» وسردت القصة بأكملها. حسناً، كل شيء ما عدا العناق. فلم يكن هناك ضرورة لأن تحرج نفسها بذكر شيء ما في هذا الشأن. هزّت المرأة الهزيلة الراقدة على السرير رأسها باشمئزاز. بعد ظهر كل يوم خميس تذهب لوسي إلى دار المسنين لزيارة أنجيلا مور. أنجي في عقدها التاسع، إنها الفرد الوحيد المتبقي من عائلتها. أقامت حتى عامين خلياً في هذا الشارع أيضاً، حتى اليوم الذي وقعت فيه وكسرت أحد ردفيها.

لقد كانت عائلة مور كبيرة جداً كسائر العائلات الأميركية القديمة ولكن بسبب مرض في الدم فقد مات ذكور هذه العائلة تاركين الإرث الهائل من الأموال والممتلكات للإناث. ثم توفيَ جميع أفراد العائلة لتبقى أنجي وحيدة وبقيت الأملاك لها وحدها وجميع سكان البلدة يعرفون أن أنجي فاحشة الثراء.

ما لم تعرفه البلدة كلها والذي تظن لوسي أنها تعرفه، هو أن أنجي كانت من هواة سباق الخيل، وأنها راهنت بكل سنت تملكه على خيول خاسرة. كانت لوسي وأنجي على صداقة برغم فارق السن بينهما.

«لا بد وأنه رجل فظ جداً.» قالت أنجي وهي تلعق الملعقة التي كانت تأكل بها المثلجات. ثم تابعت: «هل تستطيعين في الأسبوع القادم أن تحضري لي لفائف السلطعون

البحري، يا حبيبتي؟ فأنا لا أستطيع أن أتحمل الطعام هنا.»

أجابت لوسي: «بالطبع. ولكن في المرة الأخيرة التي أحضرت فيها هذه اللفائف آلمتك معدتك، يا أنجي.»

«لقد استمتعت بها.» قالت ملحة: «هل قلت بروكتر؟»

«هذا هو الإسم الذي أخبرتني إياه الطفلة.»

«ويسكن على الشاطىء قرب منزلك؟»

«المبنى الملاصق تماماً. ما يزال هناك بعض المثلجات في كوبي، هل تريدين أكلها؟»

«لقد سمعت بهذا الإسم من قبل. بروكتر. إن هذه العائلة مشهورة بشيء ما. المال، على ما أعتقد، لا أستطيع الجزم ولكني سأتذكر. هل يذكرك هو بأحدٍ ما؟»

«تقصدين، مارك، مثلاً؟ لا، أبداً هذا الرجل كله عضلات قوية ولسان سليط. كان مارك رجلاً هادئاً دمثاً، لا يمكن المقارنة بينهما.»

«حسناً، هما يتشاركان في شيء واحد، كلاهما يرتديان بنطالاً.»

«لا أريد أن أتحدث عن أمور كهذه.» أجابت لوسي بلهجة حازمة، ثم أضافت بعد أن توقفت للحظة: «... كنت قد بدأت أنسى.»

«أنا آسفة، يا حبيبتي.» ثم أخذت عينا أنجي الزرقاوان الذابلتان تحدقان في لوسي. وأضافت: «ولكن انسي.» دخلت الممرضة في تلك اللحظة ومساعدتها وهما تتحدثان عن الاحتفال ثم أخبرتا لوسي بأن وقت الزيارة قد انتهى.

قالت أنجي وهي تُبعد الممرضتين: «أنتما تغاران منا.» ثم قالت للوسي: «أنت لطيفة جداً معي، يا طفلتي، إلى حد أني سأوصي لك بمليوني دولار في وصيتي!»

انخطفت أنفاس الممرضة وضحكت لوسي وأنجي، لوسي تدرك بأن ذلك هو دعابة لطيفة من أنجي لأنها تعلم بأن أنجي لا تملك سنتاً باسمها. ولكن، الزيارة انتهت وعندما توقفت عند محطة الممرضات للحظة، انحنت الممرضة فوق المكتب وقالت: «لقد نجحت في ذلك. مليونان!»

قالت لوسي موافقة: «نعم، ولكن لا تجعلي ذلك ينتشر في البلدة، لأن المطالبين بالدين سوف يحيطون بي.» ثم قالت في نفسها بينما هي تعبر الباب الخارجي للمستشفى، أنجي ستترك لي درهم الأرملة الذي تملكه.

بينما كانت لوسي تعبر شارع بارستو، أخذت تفكر جدياً بوضعها. فهي عاطلة عن العمل. ماذا تفعل؟ لم يكن ذنبها أنها فقدت عملها في الصيدلية. فكل الصيدليات الصغيرة في مساشوستس ابتلعتها شركات كبيرة. بقيت صيدليات سيبورت وماتابويست فقط على حالها. ولم يكن لكفاءة بوردن المحدودة مكان في هذه الأماكن.

تمتمت متجاهلة نظرات المارة: «علي أن أؤهل نفسي لمهنة. أنا أحب الناس، هل هناك وظيفة بهذه المؤهلات؟ ولكني أحب الأطفال أكثر بكثير من الكبار. فهل هناك...» فجأة، خطرت لها فكرة رائعة.

«أطفال!» صرخت قائلة. نظر إليها الرجل العجوز الذي كان ينتظر ليعبر شارع ووتر. «نعم، أطفال. هناك مراكز للعناية بالطفل في البلدة ومن المؤكد أن هنالك مجموعة من الأطفال يحتاجون للرعاية! الآن ما هي المؤهلات التي أملكها ولا تلمكها المراكز؟» الجواب بسيط، لديها شاطىء وشهادة من الصليب الأحمر كسبّاحة ماهرة، وثلاث سنوات من الخبرة في انقاذ الغرقى خلال سنوات دراستها الجامعية.

يقع الشاطىء على امتداد أكثر من مئة قدم ويبعد مسافة سبعين قدماً عن منزلها. وهذا الشاطىء ذو رمل أبيض إذا ما نُظف. قالت لوسي بعزم: «إذاً، علي أن أنظف الشاطىء وأنظم نادي سباحة للأطفال.»

سارت لوسي متوجهة إلى الشارع الرئيسي حيث كانت سيارتها متوقفة. وبينما كانت تسير كانت ترقص وتقفز في الشارع حتى أنها لفتت أنظار المارّة ولأنهم من المصطافين لم تكترث لوجودهم ولكنها ابتسمت لهم.

لحسن حظها كان السير خفيفاً حين كانت تقود سيارتها شرقاً على شارع ووتر، إلى حيث يتقاطع مع شارع ندبوينت. تمتد الأشجار على طول جانبي الطريق والمنازل الفخمة التي تحجبها الأشجار تقع على يمين الشارع في الغالب ويظهر كذلك المرفأ الذي يمتد خلفه المحيط الأطلسي. ثم وصلت إلى منزلها. تنفست الصعداء وأدخلت سيارتها إلى المرآب.

عادت لتفكر في المؤهلات، لديها جسم قوي، وعقل بسيط؟ منزل كبير وشاطىء ملك لها إذ أن هناك مادة قديمة في قانون «الولاية العقاري» تنص بأن الأرض التي تقع بين المد والجزر هي ملكية عامة، حتى إذا كانت العامة لا تستطيع الوصول إليها إلا إذا عبرت المحيط!

لقد كان والد لوسي يهز رأسه حين كان يتكلم عن ابنته القوية، ولكنها كانت كذلك منذ أعوام مضت، أي عندما كانت صغيرة. تيتّمت عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها، عندما أُسقطت طائرة والدها في الحرب، بعدها كبرت لوسي لتصبح كزوبعة تكسح كل ما حولها عندما تصاب بالحماس، أما الآن وقد رسخت الفكرة في عقلها، هرعت إلى الهاتف.

أخبرها عامل الهاتف في الجريدة المحلية بريستو، أنّ المهلة الأخيرة لإرسال الإعلانات الجديدة للنشر هي العاشرة من صباح يوم الخميس لأن العدد المقبل سيصدر يوم السبت. ثم أضاف سائلاً: «هل ترغبين في إعلان مبوب؟»

«لقد فكرت في صفحة كاملة للإعلان.» ثم شحب وجهها حين بدأ عامل الهاتف يتكلم عن الأسعار فقالت: «أنا... لا، أعتقد أني سآخذ إعلاناً مبوباً.» ثم تلت عليه نص الإعلان الذي تريد نشره.

يأتي بعد ذلك وقت الانتظار ثم وقت التخطيط. كم عدد الأطفال الذين تستطيع رعايتهم؟ لقد قررت أن يكون العدد عشرة أطفال بين الخامسة والعاشرة من العمر. كلهم إناثاً لتفادي المتاعب التي يتسبب بها الفتيان. ثم وإذا كان عليّ أن أعتني بهن في الصباح فإنه لن يتعين عليّ تجهيز طعام الغداء لهن. ولكن إن امطرت فلا يمكنني أن أصرفهن إذاً، يجب أن يكون هناك ألعاب. ويجب أن أصلح الثقب الذي في السقف. سأتقاضى أجراً... يا إلهي، لم أفكر كم سأتقاضى أجراً!

طردت لوسي مشكلة المال من رأسها، وحولت تفكيرها إلى المايوه الأصفر خاصتها. إرتدته وحملت الرفش وذهبت إلى الشاطىء لتنظف الرمل. لقد كان مذهلاً أن ترى كم من القاذورات تتجمع على شاطىء غير مستعمل. بدأت بتجميعها وتعبئتها في أكياس خضراء وفجأة أصبحت الساعة الرابعة عصراً وبدأت يداها تؤلمانها. لقد كان يفصل بين بيتها وبين المنزل المجاور لها، حائط رمادي. بعد أن أنهت عملها حملت الرفش ثم ذهبت وجلست عند ذلك الحائط.

راحت تجول بنظرها على الشاطىء، فهو الآن يناسب كل الأطفال. شاطىء صحي وطبيعي...

«لا يمكن للمرء أن يتكهن بما يمكن أن ينتج عن عمل يدوي بسيط على كومة ركام.»

سمعت ذاك الصوت الرجالي يأتي من ورائها، فالتفتت في دهشة ورأت بروكتر وعلى وجهه ابتسامة عريضة، ومرتدياً سروال رياضة قصيراً وقالت في نفسها: إنه رجل يمكن أن تحب أن تكرهه ثم تمنت لو أنّها كانت المرأة الخارقة حتى تصرعه بشعاع من عينيها الخضراوين.

ولكنه لسوء الحظ لم يكن ينظر إلى عينيها، بدا وكأنه قد نوم مغناطيسياً تحت تأثير ثوب السباحة القديم الذي كانت ترتديه، أما محاولتها لتعديل أعلى الثوب فجعلت الأمر أكثر سوءاً.

قال بروكتر وقد مدّ يديه الاثنتين: «دعيني أساعدك.»

«عد إلى أملاكك الخاصة!» توقف فجأة وقد بدت على وجهه آثار الدهشة. فقالت في نفسها: كأنه ليس من امرأة تجرأت على رفض مساعدته من قبل. توقف وأنزل يديه ثم بدا وجهه مكفهراً. عندئذ عدلت لوسي، في مظهرها ثم توجهت نحو المنزل.

نادى قائلاً: «أنت هناك كائناً ما كان اسمك!»

إستدارت برفق لمواجهته. برفق لأن ثوب الحمام خاصتها عمره عشر سنوات، وقد نمت لوكسترا بوردن حتى ضاق عليها جداً. فقالت في نفسها إن ثوباً جديداً على قياسها الحالي سيستر مايلزم. سألت: «هل ناديتني، يا سيد بروكتر؟»

جاء إليها بخطوات عريضة عبر خط الأملاك. حاولت لوسي أن تبتلع ريقها ولكنه كان جافاً، فالسيد في هذا النبطال القصير يظهر وكأنه لا يرتدي شيئاً وهذا المظهر أدخل إلى قلبها إحساساً دافئاً لم تعتد عليه من قبل وبشرتها التي لوحتها

الشمس تحولت إلى لون وردي حتى أن النمش ظهر حول أنفها من شدة الإحمرار.

أجاب: «نعم، لقد ناديتك. إسمي هو جيم، جيم بروكتر.» ثم مد يده ليصافحها ولكن لا شعورياً أصبحت يداها خلف ظهرها، فابتسم وقد شع من هذه الابتسامة بعض من سحره الذي لا يقاوم.

«ماذا تريد، يا سيد بروكتر؟» سألت متلعثمة.

«جيم، نادني جيم.» بقيت يده ممدودة فرجعت هي خطوة أو اثنتين ثم أضاف: «إسمعي، عندي مشكلة صغيرة.»

في ظروف عادية لوكسترا بوردن كفتاة في غاية اللطف كان من الممكن أن تتجاوب فوراً مع مشكلته، ولكن كان هناك شيء ما في شخصيته أوقفها. فهو بحاجة إلى ترويض. هذا الشخص غير المحتمل. والخطوة الأولى في ترويض هذا الرجل المتعجرف هو لجمه، وبناء على ذلك ابتسمت وقالت: «قلبي ينزف لأجلك يا سيد بروكتر.»

اختفى كل السحر الذي ظهر عليه وقال: «أنا لست بحاجة لقلب أو دم.» جفلت ثم تابع قائلاً: «ما احتاجه راع لطفلتي.»

«آه؟» ثم التقت عيناها بعينيه وشعرت أنها تخسر أمامه.

«لماذا لا تشترين بحق السماء ثوباً جديداً يناسب جسمك؟ فكيف تتوقعين من رجل أن يتابع حديث عمل معك وأنت شبه عارية...؟»

«حسناً، حقاً! أنا لا أرتديه لكي أثير رجولتك ولكني أرتديته لأنه الثوب الوحيد الذي أملكه...»

«حسناً، حسناً. لن نصل من ذلك النقاش لأي نتيجة، هل تمانعين بأن نبدأ من جديد؟»

«ليست فكرة سيئة.» وقامت بتعديل آخر في مظهرها. لم يكن

هناك شك في أن السيد بروكتر كان على صواب، فلوكسترا بوردن لديها مفاتن مثيرة. قالت: «انتظر هنا.»

توجهت نحو الباب وارتدت الثوب الأخضر القديم الذي كان معلقاً خلفه وعقدت الحزام برفقٍ شديد. من خلف زجاج الباب، كانت لوسي تستطيع رؤية الرجل يهز رأسه حزيناً، ويداه موضوعتان في جيبيه. إنه على مسافة كهذه أقل خطراً. مثلها، مثل أي امرأة تماماً، فكرت أن هذا ما سيقوله. ولكن إذا فعل فسوف أ... أ... حسناً، لكنت فعلت ذلك لو كنت أكبر! ثم أخذت نفساً عميقاً وخرجت ثانية.

قال جيم: «هكذا أفضل، انزلي إلى هنا ودعينا نتكلم.»

قالت لوسي: «أنا لست حمقاء إلى هذه الدرجة. سأبقى هنا على أعلى درجة من السلم، شكراً لك، ليس بعد الطريقة التي تكلمت بها معي هذا الصباح... سيد بروكتر.» بعد ذلك أرجعت شعرها إلى الوراء بأصابعها شدّت عقدة حزامها ورمته بنظرة ازدراء. وتوقعت رداً على ذلك كلاماً جارحاً ولكنه بدلاً من ذلك، ضحك ضحكة صبيانية ونزلت خصلة من شعره لتغطي جبينه. وراودت لوسي رغبة شديدة في أن تهرع إليه وتبعد تلك الخصلة عن عينيه ولكنها لجمت نفسها في الوقت المناسب. اللعنة على هذا الرجل. فها هو ريقها يجف ثانية.

مما زاد في مضايقتها أنه بدا لها وكأنه يشعر بكل احساس يخالجها. قال بروكتر: «ابنتي مود.» ثم توقف ليرى ما إذا كانت تستمع له، وبعد أن تأكد من ذلك تابع قائلاً: «لدى ابنتي مود هذه المشكلة الصغيرة.» ثم توقف ثانية.

بعد فترة صمت قصيرة قالت لوسي: «إنها فتاة لطيفة.»

«أجل هي كذلك، لكنها عنيدة، مستقلة...»

«محبوبة.» قاطعته لوسي.

«نعم، هي كذلك وهذه هي المشكلة. أنا أحتاج إلى مكان تقضي فيه الليلة، لدي زائر غير متوقع ولا أريد مود أن تكون موجودة.»

بعد سماع تلك الكلمات، تلاشى ذلك السحر الجميل الذي غمر قلب لوسي ثم قالت: سيقضي الليل بصحبة أنثى ويريد ابنته أن تكون بعيدة عن المنزل؟ لماذا، ذلك الفاسق...

«سأكون برفقة سيدة.» قال ذلك مقاطعاً أفكارها ثم تابع: «ولا أريد مود أن...»

«لا تريدها أن تعلم بأن والدها عابث؟»

قال متنهداً: «ليتني أمتلك ما أقوله، هل يمكنك إبقاء مود عندك الليلة؟»

فكرت لوسي: إذا وافقت هل سيكون ذلك أفضل من ألا تكون مود موجودة مع والدها في المنزل نفسه بينما هو يعبث ليلاً؟ لماذا بحق الشيطان أنا أهتم لأمره؟ وفي الوقت نفسه لماذا لا أهتم لأمر مود؟ فهي طفلة لطيفة.

إذن، وبعد أن قيمت الأمر في عقلها قالت: «بعد ما قلته لي هذا الصباح، تريدني الآن أن أستضيف ابنتك؟» ثم حدقت إليه. بادلها التحديق.

هز بكتفيه وقال: «لا أعرف أحداً غيرك في الجوار.»

«إذاً هذا هو الموضوع؟ فجأة، أصبحت مفيدة لابنتك، إذاً، ولهذا أنت لطيف معي؟ لكني سأشعر بتحسن إذا ما صرخت بوجهي.»

«أنت فتاة غريبة.» تمتم ثم صعد درجة. فإذا بعقلها يتوقف عن التفكير وقرعت أجراس التحذير في رأسها بقوة.

صرخت قائلة: «لا، أنت... أجل، تستطيع مود البقاء. هل تعرف مود هذه الزائرة؟» ثم وضعت يديها خلف ظهرها لتخفي ارتجاف أصابعها. صعد درجة أخرى.

قال: «من الأفضل أن تؤمني بذلك، يا لوكريشيا بورجيا.»

«من؟»

«أنت لا تطالعين كثيراً، أليس كذلك، يا آنسة بوردن؟»

«أنا أعرف من تكون لوكريشيا بورجيا. أنا معلمة مدرسة عندما أعمل بشكل دائم. أنا كثيرة المطالعة...»

«أنت غريبة جداً.» ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «لليلة واحدة فقط... أتمنى ذلك. سأذهب لأحضر ثيابها وبخاخ الربو. إن هذه الزائرة هي خالتها، والدتها المنتظرة!»

وقفت لوسي على أعلى الدرجات، وفمها شبه فاغر وكأن سؤالاً قد تجمد بين لسانها وشفتيها. حياها جيم وعاد أدراجه، وما أن قفز الحائط الرمادي حتى بدأ يهرول إلى باب منزله الخلفي.

قالت في نفسها: انظري في أي موقف وضعت نفسك؟ أهو متزوج أم يحضر للزواج؟ لا داعي لانكار حقيقة أن غيمة من الحزن قد خيمت فوق قلبها. لم يكن هناك أدنى شك بأنها شعرت بشيء من الأسى في نفسها ثم عادت لتخاطب نفسها قائلة: «بالطبع، ذلك لا يعني لي شيئاً في نهاية الأمر، إنه فقط جارها وهذا الأمر ليس مهماً. ولكن، لماذا بحق السماء، يجب ألا ترى مود والدتها المستقبلية الليلة؟ لقد ذهب ليحضر أدويتها؟»

كان ذلك الغموض كفيلاً ليرفع معنوياتها. بعد ذلك دخلت إلى منزلها ورمت نفسها على كرسيها المفضل في غرفة الجلوس وأطلقت العنان لمخيلتها.

الفصل الثاني

وصلت مود إلى منزل لوسي حوالي الساعة السادسة مساءً، تحمل دباً كبيراً من القماش على ظهرها ونادت من الخارج قبل أن تدخل المنزل: «إن هذا مسلٍ. هل تمانعين إذا أحضرت بريخت معي؟»

«لا، لا أعتقد أن لدي أي مانع. شرط ألا يأكل كثيراً.» أجابتها لوسي ممازحة.

«هذا مضحك، لأن بريخت دب من القماش ولا يأكل أي شيء. أنت مرحة، هذا ما قلته لوالدي وهو قال إنك مرحة وغريبة الأطوار. نعم، مرحة، هاهاها، لا. ولكن لماذا يقول شيئاً كهذا؟»

«لا أعتقد أني أعرف السبب. الرجال مخلوقات مسلية، مرحة وغريبة الأطوار. هل أحضرت كل ما تحتاجينه لقضاء الليلة عندي؟»

قالت بثقة: «كل شيء.»

«لم تحضري فرشاة أسنان وثياباً للنوم؟»

«لم يكن لدي وقت.» ثم نظرت إلى منزلها نظرة قلقة وتابعت: «لقد دخلت تلك الزائرة وكان عليّ الخروج من المنزل بسرعة، لأني لم أرغب أن أكون موجودة في أي مكان هي موجودة فيه...»

قالت موافقة: «فعلاً، لا أعتقد أنه عليك ذلك.» ابقي ذلك في بالك، يا آنسة بوردن. اكتشفي من هي تلك السيدة، ولماذا

تخافها تلك الطفلة. قالت لمود: «ادخلي الآن، وسأريك أين ستنامين وبعدها نحضر طعام العشاء.»

قامت الاثنتان يداً بيد بالرقص على رمال الشاطىء الدافئة، ثم دخلتا المنزل من الباب الخلفي وصعدتا الدرج. قالت مود: «هذا ممتع.» ثم أخذت تجول بنظرها في أنحاء غرفة الجلوس ثم أضافت: «هل تعلمين أن منزلنا يتألف من خمس عشرة غرفة، معظمها فارغ.»

«لا، لم أكن على علم بذلك. على الأقل ليس هناك ضجة من كثرة الأشخاص.»

«فقط عندما يقيم والدي تلك الحفلات الكبيرة، عندئذ يعج المكان بالناس الذين يحتسون الشراب ويربتون على رأسي وهذا ما أمقته. وهناك أيضاً من يقرص وجنتي والذي أقسم على أني سأقتله يوماً ما.»

«كلمات قوية.» علقت لوسي، ثم هزت كتفيها بلا مبالاة وأضافت: «ربما هو يستحق ذلك. الآن، يا آنسة بروكتر، الصغيرة، هنا في الطابق الثاني، غرفتك، والحمام في الباب المجاور.»

استغربت مود: «غرفتي؟ هل كنت تعلمين أني سآتي؟ فالسرير يناسب حجمي تماماً. وما أجمل ورق الجدران! إنها تتألف من الرسوم المتحركة!»

«مشاهد من مسرحيات مهمة. هذه كانت غرفتي عندما كنت في مثل سنك، أبي جعلني أرتبها على النحو الذي أريد.»

تأملت مود ألوان الغرفة بعينيها الواسعتين ثم ركضت ورمت بنفسها على السرير وأخذت تقفز عليه ثم سألت متداركة الأمر: «هل تغضبين إذا قفزت على السرير؟»

«ليس هذا الأسبوع، ولكني سأفعل ذلك الأسبوع القادم، انتبهي!»

«ما يحدث عندما يأتي والدك؟»

مسحت لوسي دموعها، فقد مرّ وقت طويل على وفاة والدها. ثم قالت بهمس: «لن يأتي، لقد كان من الصعب عليه أن يعيش من دون والدتي... فذهب للعيش معها! ولكن، مضى على ذلك وقت طويل، أما الآن فلا يوجد في هذا المنزل أحد سواي.»

«أنا آسفة، أعلم أنه أمرٌ رهيب أن يكبر الإنسان وحيداً، ربما يجب أن نكون صديقتين، وهكذا يكون لكلانا أحد يتكلم معه، أو ربما...»

طالت لحظة الصمت مثل دمعة على وشك الانهمار فوق وجنة ناعمة. فسألت لوسي بلطف: «أو ربما ماذا؟»

تهدل كتفا الفتاة وقالت بسرعة: «أو ربما لأنك كبيرة في السن فممكن أن تكوني والدتي. وعندها يصبح لكلانا شخص قريب منه وستكتشفين أني فتاة لطيفة وعندما أكبر سأهتم بك... إذا اهتممت بي الآن!»

عندئذ قالت لوكسترا بوردن في نفسها إن ذلك أمر محتمل، فالطفلة جميلة. حسنة، وجميل أيضاً أن يكون لها طفلة، فقالت: «فقط... لقد اعتقدت أن لديك والدة.»

حملقت بها الطفلة وضمت يديها إلى بعضهما البعض ثم قالت: «لا، ليس لدي... أعني لم يكن لدي والدة. فقد ماتت.»

«لكن من هي تلك التي تزوركم الليلة؟»

«إنها خالتي وهي امرأة رهيبة. لا أدري لماذا يريد والدي الزواج منها. لقد قال في بادىء الأمر إنه أراد أن يتزوجها لأنني بحاجة لأحد كي يهتم بي ولذلك فقد كان ينوي الزواج من شقيقة

والدتي... خالتي إيلويز ولكنها لا تحبني البتة، ومنذ عامين تشاجرا بحدة ثم انتقلت إيلويز للعيش في مكان آخر وظننت أني انتهيت من الأمر، ولكن ها نحن من جديد في القصة ذاتها، فقد ظن والدي أنه اقترف خطأ فادحاً حين تركها لأنه لا يستطيع أن يهتم بي كما يجب ولأنه لديه عملاً يقوم به وبرأيه انني مازلت بحاجة إلى من يرعاني وبناء على ذلك ها هو يقوم بمحاولة جديدة مع إيلويز.» أنهت حديثها ثم تقوقعت على سريرها وحملقت بأسى إلى أشد زوايا الغرفة ظلمة.

«حسناً إنه ليس بموضوع بسيط حسبما أعتقد.» تمتمت لوسي قائلة ذلك. لقد كاد الفضول يقتلها، وأي امرأة لا تفعل ذلك؟ ولكن مود أخبرتها أكثر مما أرادت لوسي أن تعرف عن الموضوع. ثم أضافت: «ربما لم يجدر بنا أن نتحدث عن والدك، إذ أنني أكيدة بأنه لن يكون مسروراً لذلك.»

«أتكلم عمّ؟ أنا لم أقل شيئاً غير مباح قوله.»

«كان ذلك مجرد كلام. لقد عنيت بأنك كنت تثرثرين. الآن، ما رأيك بهذه الغرفة، هل تناسبك؟»

«إنها رائعة.» ثم بدأت مود بتفحص كل شيء. لاحظت لوسي بريق عيني مود، وقالت في نفسها: لو أن الطفلة أكبر سناً لاستطاعت لوسي القول إن عيني الطفلة هما عينا صياد. ولكن مود بروكتر بريئة جداً أو صغيرة حتى تنعت بهذه الصفة.

قالت مود مقاطعة أفكار لوسي: «هل تعلمين ماذا لدي في غرفة نومي في المنزل؟ لا شيء! لا صور، لا ورق جدران جميل كهذا، ولا أي شيء. كل شيء مطليٌ باللون البني حتى أن دبي ينام تحت سريري لأنه لا يطيق ذلك اللون. بالمناسبة... ماذا أناديك؟»

«لوسي، وإن أردت لوكسترا. خذي، يمكنك أن ترتدي واحدة من قمصان كرة السلة القديمة خاصتي كقميص نوم، ولدي الكثير من فراشي الأسنان الإضافية، يمكنك استخدام واحدة. والآن، هل من مشكلة أخرى؟»

«يا إلهي، لوكسترا؟ مكتوب على القميص: «أولد روشتسر ريدجينال. هل كنت نجمة في ذلك الفريق؟»

«ليس منذ زمن بعيد. ولكني في الواقع لم أكن تماماً نجمة في ذلك الفريق ولكن خطيبي كان كذلك. والآن ما الخطب؟»

«كل شيء رائع، فقط... هل ممكن أن... هل غرفتك قريبة؟ فأحياناً أسير في نومي. و...؟»

«من هنا، يا أميرتي.» ثم قادت ضيفتها الصغيرة عبر باب الحمام المفتوح ثم عبر باب آخر وقالت: «هنا أقضي الليل.»

«آه، ولكن ليس في غرفتك أية صور؟»

«بالطبع لا، فأنا كبيرة على ذلك الآن. في صغري، كان علي أن أقوم بكل ذلك.» ثم أشارت بيدها إلى ورق الجدران البني والذهبي ثم إلى الستائر النظيفة المزركشة، ثم إلى المكتب الذي يشغل إحدى زوايا الغرفة وأخيراً إلى آلة الخياطة التي تشغل الزاوية الأخرى. وقالت: «وعندما أملُّ من كل ذلك، أغيره!»

«وهل تمانعنين إذا أتيت...؟»

«أنا أرحب دائماً بالزائرين.» ثم مدت لوسي يدها ووضعتها على كتف مود ثم حضنتها وضمتها إليها.

تمتمت الفتاة الصغيرة: «أتمنى، حقاً، أتمنى لو كانت لي والدة مثلك.»

قالت لوسي برقة: «ولكنني كبيرة في السن. وهذا يعني، أن نشمل والدك بالأمر، وهذا ليس بأمر سهلٍ أبداً.»

«أنا لا أفهم لماذا لا تحبين والدي. إنه رائع والجميع يحبه. خاصة أنا.» ثم أضافت بعد تفكير: «حسناً، ليس دائماً. أنت تفهمين ما أعني. فهو يكون أحياناً كالديك الحبشي.»

«نعم.» أجابت لوسي ثم بحثت عن جملة لا تؤذي شعور الطفلة وقالت: «أظن أن أذواق الناس تختلف. هيا، يا حبيبتي. اغسلي يديك ودعينا ننزل إلى الطابق السفلي فأنا لا أدري ماذا لدينا للعشاء.»

تناولت الفتاتان اللحم المقلي مع الفاصوليا المسلوقة من دون أي خضار طازجة، الشيء الذي ارتاحت مود لعدم وجوده.

قالت لوسي: «حسناً، هذا فقط، لأن اليوم هو يوم غير عادي. ولكن إذا قررت البقاء عندي فستجدين أن لدينا خضاراً طازجة ستة أيام في الأسبوع وأهم شيء القنبيط الشتوي.»

«آه، حمداً لله أنني حضرت في اليوم المناسب. فحتى رئيس الجمهورية لا تحب...»

قاطعتها لوسي قائلة: «لا يحب.»

«نعم، لا يحب القنبيط.»

قالت لوسي بهدوء: «ولكن عليه أن يدفع الثمن، عليه أن يبقى في واشنطن ولا يسمحون له بأن يعيش في ماتابويست.»

«لا أدري إذا كان ذلك عقاباً أم لا. فقد عشت فترة في ماتابويست. هيا، دعيني أساعدك في غسل الصحون.» قالت مود متنهدة.

أنهت الفتاتان العمل بسرعة، ومع ذلك قاربت الساعة، الثامنة قبل أن ينتهيا. وما زال الغسق يلوح في الأفق فقالت لوسي لمود متحدية: «تعالي معي، دعينا نجلس على درج مدخل البيت الخلفي ونشاهد المد والجزر.»

«لا تبدو لي فكرة حسنة.» علّقت الفتاة الصغيرة بأسى ثم ضحكت ورافقت لوسي. كان القمر بدراً ظاهراً من الشرق، وكان الهواء يدفع بالأمواج القاتمة إلى المرفأ الخارجي. وكانت أشعة القمر تعكس نوراً فضياً فوق المياه يتراقص امتداداً حتى شاطىء بوردن. ومن خلف المنزل من المنزل الواقع على التلة خلفهما، سمعتا صوت ضجيج الحفلة.

«لقد بدأوا باكراً.» علقت لوسي وهي تدفع بخصلة من شعرها خلف أذنيها.

«نعم وسينتهون في وقت متأخر.» قالت مود وانتقلت لتجلس قرب لوسي في أعلى الدرج، وتابعت: «وخلال الحفلة يستلقون ويشربون ويدخنون ويسردون قصصاً قذرة. هل سمعت القصة عن...؟»

«لا، ولا أريد أن أعرفها.»

«ولكني كنت فقط...» مهما كان الموضوع عن، كنت فقط، فقد توقف عند ذلك. امتدت الحفلة خارج المنزل حتى وصلت إلى الشاطىء، حيث قام أربعة أزواج من المدعوين بملاحقة بعضهم البعض في دوائر عريضة، وهم يصرخون ابتهاجاً. لم يكن من السهل معرفة الهدف من هذه اللعبة في ضوء القمر، ولكن هذه اللعبة كانت رمي الملابس فيما كانت الدائرة تتسع باتجاه منزل آل بوردن.

«مود، أعتقد أنه حان وقت نومك.» قالت لوسي وهي تنهض.

أجابت مود بكآبة: «لا، لم يحن بعد. تريدين أن تتعرفي إلى عائلتي؟ فقط قفي هنا وانظري إليهم قليلاً.»

بدأت الدائرة تتفكك. وبسط زوجان من تلك المجموعة بطانية على رمل الشاطىء وتمددا عليها، آمل ألا يقوما بما أعتقد أنهما

يقومان به، فكرت لوسي وهي تمد يدها لتمسك يد مود. كانت مود ترتجف برغم دفء الطقس في تلك الليلة. أما الزوجان الأخيران من تلك المجموعة فقد تركا الشاطىء؛ اجتازت المرأة الصخرة الفاصلة بين حدود المنزلين. واتجهت مباشرة إلى حيث كانتا تقفان. أما الرجل فقد بدت عليه علامات الارهاق إذ أنه لم يكن يجري أو حتى يتحرك بسرعة، فحين وصل إلى تلك الصخرة تهاوى عليها وأطلق ضحكة حمقاء ثم غفا.

توجهت تلك المرأة نحو المنزل، فمها مفتوح، وتلهث، وابتسامة غريبة ترتسم على وجهها. اقتربت مود من لوسي وأمسكت بها بكلتا يديها.

كادت المرأة أن تصل إلى حيث أردات الوصول، لولا أن انغرزت نثرة خشب في قدمها فرمت بنفسها على الرمل وجلست على ركبتيها. بذلت مود قصارى جهدها لتخبيء نفسها خلف لوسي. وكانت على وشك البكاء.

قالت تلك المرأة: «أهذا أنت، يا مودي؟ يا للمفاجأة. ظننت أنك في سريرك نائمة. من هي هذه... العصفورة الصغيرة؟»

قالت لوسي بخشونة: «مود، ادخلي إلى المنزل.» ثم ساعدت الطفلة بدفعة صغيرة.

وقفت المرأة على ركبيتها ثم اتكأت إلى حاجز الدرج لتتمكن من أن تقف على قدميها. ثم قالت بلطف: «حسناً، أليس ذلك نوعاً من الاستبداد؟ أنا أعرف من أنت، جيمس يحدثني عنك دائماً، أليس ذلك مهماً؟ لقد قطعت تلك المسافة إلى هنا كي أتزوجه... لكي أسدي له تلك الخدمة، وكل ما يفعله هو أنه لا يتوقف عن ذكر الصغيرة لوسي التي تسكن في الجوار! بالمناسبة، اسمي إيلويز.

«أنظري إلي، إن أسناني تصطك.» أضافت المرأة الشقراء.

أجابت لوسي: «ليس لي أن أفاجأ بذلك.» لوسي متأكدة تماماً بأن هذه السيدة ليست على ذلك القدر من الحشمة كما تدعي ولكنها كانت تتكلف. منشفة بالية معلقة على حاجز الدرج، سحبتها لوسي بحركة متوترة ورمتها إلى تلك الشقراء وقالت لها بحدة: «أستري نفسك.»

أمسكت إيلويز بطرف المنشفة ثم لفتها على جسمها بحركة دائرية، ثم رمتها على الرمال وقالت متذمرة: «إن رائحتها كريهة.»

أجابت لوسي بحدة: «إن العاري لا يأبه لذلك، أستري نفسك فلا ضرورة لذلك التذمر، ولكن... الوقوف عارية أمام تلك الفتاة الصغيرة... لماذا، على أحد أن يجلدك لذلك التصرف!»

«إنني نصف عارية ولست عارية تماماً وهنالك فرق بين الأمرين.» أجابت المرأة الشقراء وهي تلف المنشفة حول جسدها. «العري التام معيب ولكن نصف العري فن. هل عندك مشروب؟»

«ولا نقطة. ابتعدي عن ممتلكاتي.» صرخت لوسي. رمقت تلك المرأة، الأطول والأصلب من لوسي بنظرة وتركت المكان متأكدة بأن الإنسحاب من الشجاعة. ثم أطلقت صرخة عالية وركضت كأن الشيطان يركض خلفها. لكنه لم يكن. فالشيطان الوحيد كان يقف أمامها. وما أن عبرت إيلويز ذلك الحائط الرمادي حتى ظهر رجل وأمسك بها قائلاً: «بحق الله ماذا كنت تفعلين خارجاً؟»

حاولت لوسي أن لا تسمع ما يقال من كلام ولكنها لم تستطع ذلك. ثم أجابت إيلويز بلطف: «لقد كنت قرب الشاطىء وهنا التقيت بتلك الجارة اللطيفة التي تسكن المنزل المجاور لمنزلك. وقد كانت معي بغاية اللطف حتى أنها أعارتني تلك المنشفة. أليس ذلك حسناً؟»

فأجاب موافقاً على كلامها: «حسناً.» ثم وضع يده حول كتفيها وقد بدا أن حنقه قد اختفى.

تابعت المرأة كلامها قائلة: «وقد رأيت مود لفترة وجيزة. هل أنت من أرسلها لقضاء الليلة بعيداً عن المنزل؟ لم يكن عليك القيام بذلك، لقد وددت لو أتمكن من العناية بها الليلة.»

عند تلك النقطة، وبعد أن امتلأت المحادثة بالبهجة والعذوبة، تلاشت الكلمات بعيداً. إنه هو، قالت لوسي في نفسها، إنه بروكتر.

لقد كان القمر في تلك اللة يقفز بين الغيوم وكانت الرؤية صعبة. ولكن في ظلمة الليل تلك، التقطت الشقراء أنفاسها، ومشت قرب الشاطىء لتدخل المنزل مرتدية سترة جيم القاتمة. أما لوسي، فإنها بعد أن رأت ذلك عادت أدراجها إلى مدخل المنزل وجلست على درجة وهي تهز رأسها باشمئزاز.

سمعت صوتاً ينادي: «آنسة بوردن؟ لوسي؟ أرجوك لا تذهبي.» فالتفتت لوسي باتجاه الصوت. لم يكن قد دخل المزل مع إيلويز. لقد عاد أدراجه باتجاه الشاطىء.

انتصبت لوسي على قدميها وتمتمت: «لقد خرجنا أنا ومود لنستمتع بمشاهدة ضوء القمر قرب الشاطىء، حين التقينا تلك...»

تابع قائلاً: «امرأة مخبولة. هل مود..؟»

«شاهدتهم؟ أتمنى ألا تكون قد رأتهم. لقد أرسلتها إلى داخل المنزل، ولكن... الله يعلم ماذا رأت. وهل إيلويز هي تلك التي تنوي الزواج منها؟»

«اللعنة!»

«تلك حتماً هي الكلمة الأنسب الآن، ربما من الأفضل لك أن

تلملم تلك الشلة خاصتك وتدخلهم إلى المنزل كي نتمكن نحن ال...» أرادت أن تقول المحتشمات، ولكن ذهولها منعها من ذلك فقالت: «... حتى نتمكن نحن الأناس العاديين من النوم.»

«أتمنى لو تسمحين لي بالحضور لاحقاً لكي أوضح بعض الأمور.» تمتم. وقفزت لوسي من مكانها عندما لاحظت قربه منها.

قالت: «لست بحاجة إلى أي إيضاحات، يمكنك أن تفعل ما يحلو لك في ممتلكاتك. هل تريد أن تأخذ مود معك؟»

«لا.» دس يديه في جيبيه في علامة اشمئزاز وأضاف: «لماذا آخذ تلك الصغيرة إلى حيث...؟»

«حقاً، لماذا؟» وبعد كلماتها تلك، هطلت أولى نقاط المطر على أنفها فرفّت عيناها وفي تلك اللحظة اختفى، وضاع في ظلام العاصفة القادمة.

سألت مود بينما كانت تنتظر في المطبخ وهي ترتجف من شدة البرد: «إذاً، هل عليّ العودة إلى المنزل؟» بحثت لوسي في خزانة المطبخ عن سترة لتضعها على كتفي مود.

قالت: «لا. لا يريد والدك أن تعودي إلى المنزل، ستقضين الليلة هنا؟»

«ذلك ليس منزلي. كيف يمكن أن يكون كذلك وتلك المرأة المجنونة في داخله؟ سأكون سعيدة إن قضيت الليلة هنا. ليالي وليست ليلة واحدة.» أخذت الطفلة تشعر بصعوبة في التنفس. فصرخت لوسي في نفسها يا إلهي، أين بخاخ الربو!

لقد كان موضوعاً على طرف الخزانة حيث وضعته لوسي قبل ساعات. فهي تهيء نفسها لمثل تلك الحالات الطارئة، كما تفعل

كل مدرسات الصفوف الإبتدائية. سحبته لوسي من مكانه وأعطته لمود وبدورها بخت الرذاذ في فمها واستعادت تنفسها الطبيعي بالتدريج.

حضنت لوسي مود وقالت: «سنتناول فنجاناً من الكاكاو ثم نأوي إلى الفراش.» سعلت الطفلة، وأخذت نفساً عميقاً ثم وضعت نفسها بين ذراعي لوسي.

قالت: «وأنت أيضاً؟ الراشدون لا ينامون باكراً هكذا.»

بينما كانت يدا لوسي منشغلتين في تحضير الشراب، كان ذهنها شارداً في أمر آخر. راقبت الطفلة وجه لوسي لبضع لحظات ثم صعدت إلى الطابق العلوي. قالت لوسي في نفسها: أي نوع من المعضلات هي هذه؟ والدة الطفلة متوفاة. خالتها تلهو عارية قرب الشاطىء. والدها يظن بأنه يستطيع تفسير ذلك. هل هذا ممكن؟ لا بد أن شرح ذلك يتطلب جهداً كبيراً. وبينما هي تفكر، لسع أصبعها الحليب الساخن الذي كانت تحمله.

تمتمت لوسي: «لا شيء أفضل من حرق مؤلم كي يعيدك إلى الواقع.» نظرت حولها ونادت: «مود؟» وكانت تسمع صوت ضجيج في الطابق العلوي فوضعت كوبي الشراب على صينية وإلى جانب كل كوب قطعتين من الحلوى وتوجهت إلى الطابق الأعلى حيث غرفة مود ثم نادت ثانية: «مود؟»

«إني هنا.» كانت غرفتها مظلمة إلى حد أن لوسي تعثرت على عتبة الغرفة وتمكنت بصعوبة من الحفاظ على توازن الصينية. وضعتها على الطاولة التي بقرب السرير، أضاءت النور وقالت متباهية: «ماهرة.»

«نعم، أعتقد ذلك. ألم تجلبي السكاكر؟»

هزت لوسي كتفيها وقالت: «ولا حتى فتاتة. يحتوي هذا

الكعك على سعرات حرارية أكثر من تلك الموجودة في كعكة الشكوكلاته. تذوقي هذا الشراب.»

«هل تعرفين كل شيء؟» سألت مود بفضول.

اعترفت لوسي: «ليس تماماً، هناك بضعة أمور أود التحقق منها.»

قالت مود مداعبة: «من هو بطل معركة أريحا؟»

«أرأيت، ماذا قلت لك؟ هناك شيء لا أعرفه في هذا الموضوع. الآن، دعينا من كل هذا ولنأو إلى الفراش.»

«ألن أحصل على لغز آخر؟»

«تلك هي قوانين اللعبة.» قالت لوسي وهي تبتسم في وجه مود التي شربت الكوب سريعا وأعادته إلى الصينية التي حملتها لوكسترا توجهت بها نحو الباب وقالت: «تصبحين على خير. وبالمناسبة، يوشع كان بطل معركة أريحا.»

«كنت تعلمين ذلك.» اعترفت مود.

نزلت لوسي بعد ذلك إلى الطابق السفلي وهي تغني كل ما استطاعت تذكره من ترانيم العهد القديم: «يوشع هو بطل معركة أريحا، أريحا، أريحا. يوشع دبر معركة اريحا، اريحا، اريحا. وبدأت الأسوار بالتداعي!»

صرخت مود بصوت عالٍ من غرفتها في الطابق العلوي: «تباهي بمعرفة ذلك.»

«اغلقي فمك، يا طفلة، وإلا سأغني لك باللغة الإيطالية!»

«لا، لا تفعلي ذلك. ليس ذلك! ارحميني!»

صوت عميق آتٍ من ورائها: «لا تفعلي ذلك ودللّي تلك الطفلة.»

وما أن التفتت لوسي مندهشة، حتى وقعت الأكواب عن الصينية لتتكسر قرب المدفأة.

«آه...! أيها الرجل اللعين! بحق الجحيم ماذا تفعل في منزلي؟»

قال بعد أن اقترب من مصدر الضوء: «ما يفعله كل والد، جئت أطمئن على طفلتي.» ثم ظهر على وجهه عبوس فظيع. لم يعد معها وسيماً، حقاً. أهو من النوع الذي يبقى على العشاء؟ تصارعت تلك الفكرة في ذهن لوسي مع أفكار أخرى لدقيقة أو إثنتين. هل ذلك أفضل، أن تبدل رجلاً طويلاً، وسيماً، قوي البنية برجل ضخم، يُعتمد عليه؟

بدأت حدة حنقها بالتناقص تدريجياً حتى اختفت، فقالت بلطف: «طبعاً، هل تريد أن تلقي نظرة عليها؟»

«ليس ذلك ضرورياً، لأني إن فعلت، ستستيقظ ثانية. ثم سنعود إلى ما كنا عليه.»

«لعل تلك فكرة حسنة، أن نرجع إلى البداية. برغم كل شيء، لقد فاتتني البداية ولا أعرف بحق الشيطان أين أنا. والآن أتدري، يا سيد بروكتر؟ لقد أثرت فضولي كثيراً. لماذا لا تجلس وتسمح لي بأن أحضر لك شراباً؟ ثم تخبرني بعد ذلك كل شيء عن الموضوع.»

هز الرجل رأسه موافقاً، ثم سحب أحد كراسي المطبخ وقال: «منزلك قديم...»

«قديم لدرجة أنه بُني على يدي أحد أسلافي عام ألف وسبعمئة وستة وأربعين.»

«آه، هل هو صاحب الأرض وذو مذهب تطهري؟»

«لا، إنه متدين فقط وأنت تعلم أن هنالك فرقاً بين الإثنين.»

«لا، لا أعلم ذلك. لقد ظننت بأنك ستحضرين لي شراباً.»

«لقد كنت أريد ذلك، ولكني اكتشفت بأن زجاجة المشروب فارغة.»

«لا تحاولي إقناعي بمبرر سخيف كهذا. فهذا اسلوب يمكنك استخدامه في المدرسة.»

«إني أعني ذلك. الخزانة فارغة، إلا إذا...»

«إلا إذا ماذا؟»

«إلا إذا كان لك قدرة على التحمل، يا سيد بروكتر؟»

«جيم، اسمي جيمس، ولكن الناس ينادونني جيم. ما الذي يستوجب قدرتي على التحمل؟»

«شراب الخوخ، صنعته جدتي وأحضرته لي قبل وفاتها.»

«كم مضى على ذلك؟»

«خمسة عشر عاماً، هل تجربه؟»

ضحك في نفسه ضحكة أحست بها لوسي وقالت بعدها إنه إنسان برغم كل شيء.

«إذا كان هذا المشروب لم يؤثر على الزجاجة فهو لن يؤثر على معدتي.»

«هذا ما تعتقد.» تمتمت لوسي وذهبت لتحضر الزجاجة وفتّاحة الزجاجات. ولكن الأمور إزدادت سوءاً عندما اكتشفت لوسي أنه ليس لديها كؤوس نظيفة، ففي الواقع، ليس لديها حتى أكواب ماء، ولكن الشيء الوحيد الذي تملكه هو أوعية زبدة الفستق الصغيرة. فقالت في نفسها سيدرك الآن أنني لا أنتمي إلى الطبقة الغنية. ثم وضعت تلك الأوعية والزجاجة أمامه وسكبت له قليلاً.

نظر إلى الوعاء بتمعن ثم حمله واشتم رائحته. جلست لوسي، والتوتر بادٍ عليها. فهي تعلم بأنه يجب وضع مقبلات مع الشراب. حملق جيم بذلك الوعاء ثم علّق قائلاً: «أمي تملك مجموعة كؤوس تشبه هذه الكأس.»

فكرت لوسي بأنها على استعداد للمراهنة بأنها لا تملك شيئاً. أنظري إلى ذلك... الوحش... إنه يحاول إفهامي بأني ووالدته نتشارك الذوق نفسه. قالت: «أنا مسرورة بذلك. اشرب.»

رفع الكأس نخب لوسي ثم شربه جرعة واحدة. دامت ابتسامته المعتادة المستفزة مرتسمة على وجهه لدقيقة أو إثنتين وفجأة، إحولت عيناه وتورد وجهه وبدأ بالسعال.

قفزت لوسي من مكانها واقتربت منه وأخذت تضرب على ظهره وبعد أن استعاد تنفسه الطبيعي لوح لها بيده لتتوقف عن فعل ذلك. ثم فكرت، وربما يكون الماء فعالاً في هذه الحالة، فهرعت إلى الثلاجة حيث كان الماء موضوعاً. في زجاجة حليب قديمة ذات فوهة واسعة.

«اشرب.» صبت لوسي الماء حيث يفترض أن يكون فمه ولكنه لم يكن.

بعد مرور خمس عشرة دقيقة، قالت لوسي: «أستطيع أن أقول لك إن قدرتك وجرأتك لا متناهيتان!»

أجاب، بينما كان يجفف نفسه من الماء الذي سكبته لوسي: «إنني محظوظ لأنني لم أغرق.»

«نعم، كان ذلك ممكناً. هل تريد كأساً آخر؟»

كان جيم واقفاً قرب الثلاجة حيث سكبت لوسي له الماء، ولكنه بعد أن قالت تلك الكلمات، اقترب من الطاولة حيث كانت جالسة ورفع ذقنها باصبعه وقال بحدة وتوتر: «لا أريد أي شيء في هذا المنزل. لا أريد منك أن تسدي لي أي خدمات أخرى. لقد تساءلت عندما التقيتك للمرة الأولى لماذا لم تتزوجي، ولكنني الآن عرفت السبب. أنت كارثة تمشي على قدمين!»

أجابته بعد أن قامت عن كرسيها وابتعدت عنه: «ماذا... ماذا أردت أن تخبرني عن مود؟»

زعق: «مود...» ثم أخفض صوته: «مود مريضة بالربو. إنها لا تتعرض لنوباته باستمرار، ولكن في حال حصل ذلك، أعطها البخاخ ومن بعده الدواء. لا أعتقد أنه من الصعب عليك أن تفهمي ذلك؟»

«أبداً، يا سيد بروكتر. غالباً، يمر عليّ ثمان وأربعون ساعة أو أكثر من دون أن أرتكب أي حماقة. هل هناك شيءٌ تريد إضافته؟»

عادت تظهر على وجهه تلك النظرة الحائرة وقال: «أنا... لا. ولكن أود الاعتذار، برغم أني أعلم أن ذلك لا يجدي نفعاً. نقوم إيلويز وأنا بمحاولة جديدة لنجتمع ثانية في منزل واحد، لذلك طلبت من إيلويز أن تدعو بعض الأصحاب من بوسطن لنحتفل سوياً ولكن ذلك لن يحصل ثانية. أنت تعلمين.»

«اعتذار مقبول.» وبدا له من خلال ملامح وجهها وانتصاب كتفيها بأنها لم تعن أي شيء من ذلك. كذلك بدا له عند تمعنه بها، أنها تستحق اهتمامه. إنها جميلة، قال في نفسه. إنها فتاة تستحق التعرف إليها أكثر.

«كيف تكسبين عيشك؟»

بعد أن سمعت لوسي ذلك السؤال، توقفت عن تنظيف الطاولة، ثم التفتت مندهشة وحملقت به على الرغم من دهشتها لسؤاله، ولكنه بدا لها بأنه لم يكن يقصد أي معنى آخر. فأجابت: «أنا معلمة مساعدة في مدرسة، وفي الصيف أعمل في أي وظيفة متاحة.»

«أي وظيفة؟»

«أي وظيفة قانونية.» ثم نظرت إلى عينيه البراقتين وأضافت: «وأخلاقية! ألا يجدر بك أن تعود إلى ضيوفك؟» ثم أضافت وهي مترددة: «هل أنت حقاً ستجتمع مع أخت زوجتك مجدداً؟»

«إيلويز، اسمها إيلويز. الجدران لها آذان، أليس كذلك؟ حتى لا يقتلك الفضول، نعم، نحن نفكر جدياً بالزواج من أجل مود، إذا لم يكن من أجل أي شيء آخر. والآن، هل أستطيع الذهاب؟»

«من أجل مود؟» قالت في نفسها وهي تعض على شفتها السفلى، يا له من سؤال غبي. «بحق اللّه!»

«من أجل مود. فمن المؤكد أنك تدركين حاجتها إلى والدة؟ إنها عنيدة وأنا ليس لدي الوقت أو الخبرة لتربيتها. ففكرت بأن خالتها يمكن أن تكون لها بمثابة تلك الوالدة. وذلك الأمر سيجعل الأمور أسهل بكثير على جديها اللذين يعشقان الأرض التي تمشي مود عليها.»

«آه... نعم، أعتقد ذلك.» ثم رمقته بنظرة لم تستطع معها قول أي شيء غير جملتها الأولى، لأن ضوء القمر كان منعكساً على السيد بروكتر ليزيده هيبة، تمنعها من استفزازه حتى لا يظهر الجانب الآخر لشخصيته. وحسبما تعرف عنه، فإن ذلك الجانب الآخر رهيب!

تبعت لوسي جيم إلى الشرفة، ممعنة النظر في عرض منكبيه، وفي عضلات ذراعه المفتولة. لا يمكن لأحد أن يصدق أن ذلك الرجل موظف في مصرف، ال... خطوات... شبيهة بخطوات القطط البرية. ثم قالت في نفسها: سأسدي خدمة له إذا أخذته من إيلويز، ولكن هل هو كبيرٌ عليّ؟ لا أعلم ما هو الاحساس الذي يعتري المرأة التي تسرق رجل غيرها؟

نظرت مرة أخرى إلى كتفيه العريضتين وإلى مشيته الشبيهة بمشية الجنود. بسبب تلك المشية، مدت لسانها في وجهه، لتجده يتوقف ويرمقها بنظرة غاضبة. فما كان منها إلا أن أدخلت لسانها في فمها وانحنت تحييه بلطف.

قبل أن يتوجه إلى منزله قال لها: «إن ذلك أفضل بكثير.»

تمتمت لنفسها: «طبعاً، أليس كذلك؟» أتساءل إذا ما كان يوجد في المكتبة كتاب يعلّم كيفية سرقة... الرجل. ولكن ذلك لم يكن همها في المرتبة الأولى، وفي ساعات الصباح الأولى. كان أول ما قامت به هو شراء مايوه جديد، مؤلف من قطعة واحدة، لونه بني خفيف، يناسب قياسها ويستر مفاتنها.

الفصل الثالث

اهتز البيت مثله مثل البيوت القديمة الأخرى وطقطقت زواياه عندما عادت لوسي إلى الداخل. تحول المطر الخفيف إلى التساقط بغزارة، مخفتاً الأصوات القادمة من هدير البحر وصدى الحفلة في المنزل المجاور. دخلت لوسي إلى المطبخ ثم وضعت إبريق الشاي فوق النار.

في الطابق العلوي، كان باب غرفة مود شبه مغلق وكان النور في الممر كافياً للرؤية. نظرت لوسي إلى غرفة مود بحذر شديد كي لا تزعجها. فسريرها كان محاذياً للنافذة. ومن على بُعد لا يمكن لأحد أن يرى شيئاً على السرير سوى بطانيات وأربعة أصابع متدلية خارج البطانيات. كانت الطفلة تتنفس بعمق محدثة نغماً موسيقياً عند كل زفير. تأكدت لوسي من مكان أدويتها في حال حدوث أي طارىء ووضعتها على طاولة المكتب القديم قرب الباب.

فكرت لوسي وهي تخرج من الغرفة في أن مود طفلة مسكينة. هل هو وأخت زوجته الخرقاء سيتزوجان فقط لأن مود تحتاج إلى والدة؟ تكاد لا تصدق ذلك، خاصة إن كانت تلك التي ستكون والدة مود هي إيلويز، لأن مود أخبرت لوسي أن إيلويز بالنسبة لها هي زوجة أب شريرة. وجودها سوف يزيد المتاعب ولا يحلها، بالإضافة إلى مرض الربو المصابة به مود، لأنه مشكلة بحدّ ذاته.

أطلق إبريق الشاي صفارة الغليان، فعادت لوسي إلى الواقع وتوجهت إلى المطبخ وحضرت لنفسها فنجاناً من الشاي ثم

تركته ليبرد، وخلال ذلك الوقت نظرت من النافذة الخلفية إلى الظلمة الحالكة في الخارج حيث كان المحيط يقدم عرضاً مستمراً. مداً وجزراً، مداً وجزراً مرئياً وغير مرئي، وتلك القوة العظيمة التي تغمر القارات تمتد وتنحصر. «وهي الراسمة لأقدارنا.» قالت لنفسها وهي تشرب الشاي.

انخرطت بعدها في لحظات من اللاقرار، أخذت تدور في المطبخ، ودخلت إلى غرفة الجلوس، توجهت إلى تلك الزاوية حيث توجد المكتبة ثم صعدت إلى الطابق العلوي ودخلت إلى الحمام وملأت حوض الاستحمام بالماء الساخن الذي لطف أوجاعها الجسدية والنفسية.

أخذت تفكر بينما هي تجفف نفسها من الماء، سيتزوج من إيلويز ولكن لماذا يقدم على عمل كهذا بينما امرأة أفضل منها بكثير موجودة هنا؟» استدارت لوسي بعد ذلك إلى حيث المرآة الطويلة، معلقة على الحائط ونظرت إلى نفسها وعبست في صورتها المنعكسة بمرح.

كانت إيلويز امرأة طويلة، نحيلة، شقراء، ذات عينين زرقاوين، ثم هنالك أنتِ بالمقارنة، يا لوكسترا بوردن.

قصيرة القامة، ممتلئة الجسم، قوية البنية، بنية الشعر كتفاها قليلتا العرض، وعيناها خضراوان. قالت لوسي في نفسها، ماذا يمكن لفتاة بنية الشعر أن تفعل مقابل عينين خضراوين؟ لا يمكنها المنافسة، لا يمكنها المنافسة على الاطلاق.

«من حسن حظي أنه ليس أهم شيء في حياتي.» قالت في نفسها وهي ترتدي ملابسها وتتوجه إلى السرير.

استيقظت لوسي قرابة الثانية صباحاً لدى سماعها أصواتاً

غريبة. أي نوع من الأصوات؟ درفتا النافذة الخشبية المواجهة للبحر انفتحتا. وتطرقان بعنف بفعل الهواء؟ هل يمكن أن يكون هذا هو الصوت؟ يصعب تصديق ذلك.

بكاء. هنالك صوت طفلة تبكي. وهنالك أيضاً صوت وقع أقدام تعبر أمام غرفة الحمام لتصل أمام باب غرفة لوسي، ثم تسمع ذلك الصوت يقول: «هل يمكنني الدخول؟ أرجوك؟»

جلست لوسي في سريرها، وضعت عليها روبها الأخضر القديم ثم قالت: «طبعاً، يمكنك الدخول.» ثم أنارت ضوء الغرفة. وقفت الصغيرة مود أمام الباب متململة. ثم أشارت لوسي إلى مود فإذا بالطفلة تهرع إليها رامية نفسها بين ذراعيها.

قالت لوسي: «ما الخطب، يا حبيبتي؟»

«أنا... سريري.»

«ماذا حدث لسريرك؟»

«إنه مبلل، كلياً.»

قالت لوسي في نفسها، آه، لا. تبولت على سريرها؟ إنها عوارض قلق وتوتر. بالطبع! الفتاة بحاجة إلى رعاية. ثم قالت لمود: «هيا، الآن. إنه أمر يحصل صدفة. هيا لنهيء الحمام كي تستحمي، ومن ثم سأغير لك أغطية السرير.»

«لم يكن ذلك صدفة.»

«لم يكن كذلك؟ تعالي واخلعي عنك ذلك القميص المبلل.»

«أتصدقينني؟»

«لماذا تسألين، بالطبع أصدقك. ومن لا يفعل؟»

«هي لن تصدقني. لا تصدق أي شيء.»

«آه، ضعي يدك لتعرفي اذا حرارة الماء تناسبك، أم أنها ساخنة.»

«لا بأس بها، ماذا أفعل بالقميص؟»

«ارمه في زاوية الحمام وأنا سآخذه بعد لحظات. هل أضع في الحوض صابون الرغوة؟»

«لي، أنا لا أضع ذلك الصابون في الحوض عندما أستحم في المنزل. هل أنت غاضبة مني؟»

«بالطبع لا. فذلك يحصل لأي كان. إهدئي الآن، سأشغل المدفأة وذلك سيشعرك بالدفء والراحة، ثم سأذهب لأبدل فراش السرير.»

«انتبهي.»

«طبعاً.»

انتبهي؟ امتعضت لوسي لذلك، ثم توجهت إلى غرفة الطفلة وأضاءت النور. مررت يدها على السرير بسرعة وتأكدت من أن ما قالته مود كان صحيحاً. لقد كان السرير مبللاً. والسرير إذا جاز التعبير، غارقاً بالماء. شعرت لوسي بالحيرة فهي لا خبرة لديها عن احتياجات الأطفال.

هزت لوسي رأسها وسحبت الأغطية عن السرير وصولاً إلى غطاء الفرشة. وبينما هي تفعل ذلك، سقطت نقطة ماء باردة، من السقف على رقبتها.

صرخت لوسي: «آه، لا.» ثم انتصبت واقفة ونظرت إلى الأعلى، فإذا في وسط السقف الأبيض اللون بقعة سوداء كبيرة في منتصف هذه البقعة كان هناك نقطة ماء كبيرة وأخرى... وأخرى!

نادت بفرح: «مود.» فتوقف صوت الماء في الحمام. ثم أعادت المناداة: «مود؟» ودخلت إلى الحمام وقالت: «لا تخافي، فأنت غير مسؤولة البتة عن وجود الماء على السرير.»

«حسناً، بالطبع أنا غير مسؤولة. هل أنت...؟ أنت ظننت، أليس

كذلك؟ لقد ظننت أنني أنا من بلل السرير!» ثم قالت بسخط: «توجد فجوة في السقف!» وكأن وجود فجوة في السقف جريمة.

«حسناً، هل رأيت؟» قالت لوسي ذلك لمود ثم احتضنتها وهي في الحوض، وأضافت: «وذلك لأنني لست أماً. ليس لدي ال... الحدس.»

«لا تقلقي، ستتعلمين، ولكن عليك أولاً إصلاح السقف.»

قالت لوسي وهي تهز رأسها: «علي أولاً أن أتعرف إلى شخص يعمل في مصرف كي يقرضني بعض المال. إن القرض المصرفي أمر صعب، فأصحاب المصارف لا يسلفونك المال إلا إذا لم تكوني في حاجة إليه!»

«أعرف أشخاصاً كثيرين يعملون في المصارف. لماذا لا نذهب أنت وأنا لزيارة أحدهم غداً؟»

«تلك فكرة حسنة.» ولكن داخلها لم يكن مسروراً وحتى مود استطاعت أن ترى ذلك. فقد حاولت لوسي مع معظم أصحاب المصارف، ولكن دون جدوى. ولكن الأمر يستحق المحاولة. لتكن تلك الزيارة في الصباح الباكر، لأن ذلك الرجل قد يريد استرداد ابنته سريعاً!

قالت لوسي: «تعالي، يا حبيبتي. عليك أن تشاركينني سريري بقية الليلة.»

لم تكن لوسي معتادة على مشاركة السرير مع أحد، فقالت بينما هي تتثاءب من شدة النعاس: «أتساءل في أي وقت تبدأ المصارف العمل؟»

«الساعة التاسعة. أخلدي إلى النوم، يا لوسي. كل شيء سيكون على ما يرام.»

قالت لوسي في نفسها، نعم، أنا واثقة من ذلك. ثم وضعت

يديها تحت الوسادة لتكونا فعلياً تحت رقبتها. سلفة للتصليحات. لماذا لا أبني منزلاً جديداً؟ سيكون واسعاً وكبيراً ولكن ذا سقف منخفض حتى يضطر أي رجل طويل وشعره أسود أن ينحني أو أن يكسر عنقه. وبعد التدريب. يصبح ذلك الرجل كالذليل؛ ينحني أمام الصغيرة لوسي وينفذ كل ما تأمره به... وبعض الأمور الأخرى التي ستأتي لاحقاً.

لذا، عندما استيقظت في الصباح، كانت لوكسترا بوردن... مشرقة الوجه سعيدة... لأنها تخلصت من أحلامها المجنونة.

قالت مود: «والدي يملك هذا المصرف، عند زاوية شارع ماين والشارع العام.» كانت لوسي متأكدة من ذلك، لأنه لم يمر أكثر من عام على جولتها الطويلة على المصارف محاولة من دون جدوى الحصول على قرض. ولكن هناك بعض الوجوه الجديدة في قسم القروض. قادت مود لوسي بجرأة يتصف بها الأطفال إلى مكتب جون لدرمان، المسؤول عن ذلك القسم. إنه أمر مشجع فهذا لقب يرفع المعنويات، وكذلك شكله. فهو شخص تنطبق عليه جميع المواصفات، طويل وسيم، أسمر... والأهم من كل هذا صاحب القرار الأخير الذي يمكن أن يحول منزل آل بوردن إلى مدعاة فخر. رسمت لوسي تحية له على وجهها بابتسامة خفيفة. تقدمت مود من مكتبه وقالت: «سيد لدرمان أتذكرني؟ أنا مود بروكتر. والدي يملك هذا المصرف.»

ظنت لوسي أن تلك الجملة هي كل ما يحتاج أن يسمعه مسؤول قسم القروض كمقدمة ولكن نبرة صوته عندما أجابها خيبت ظنها: «طبعاً... يا... مود. بماذا أستطيع أن أخدمك؟»

أجابت مود بينما كانت تفسح المكان للوسي: «هذه صديقتي لوكسترا بوردن... لوسي.»

«لوسي بوردن؟» ثم صمت لفترة قصيرة، وكأنه يراجع ذاكرته، عاد بعدها فقال: «لوكسترا بوردن! إنه لمن دواعي سروري أن ألتقيك!»

أجابت لوسي: «حقاً؟» ثم بحركة بسيطة أزاحت شعرها البني الطويل عن وجهها. من الواضح أن ذلك الرجل قد خلط بينها وبين فتاة أخرى تدعى لوسي بوردن.

«بالطبع هو كذلك، يا آنسة بوردن. أو هل أناديك لوسي؟»

حركت يدها مستغربة ذلك ثم قالت في نفسها: فليناديها بكل الأسماء الموجودة في الإنجيل إذا كان ذلك سيجعله يمنحها ذلك القرض.

قال: «لوسي بوردن. هل يمكنك أن تتخيلي ذلك، أنا وخطيبتي كنا نتحدث عنك البارحة.»

قالت لوسي في نفسها: أشعر وكأني واحدة من ممثلي الكوميديا الهزلية الثانويين. ولم يكن لديها سوى شيء واحد لتقوله: «آه، حقاً؟»

«نعم.» وقد بدا اللمعان واضحاً في عينيه وهو يبتسم لها. لقد كان يفرك يديه الإثنتين ببعضهما البعض كأنه كان مصاباً بحساسية. ثم أعاد: «نعم، حقاً. ماري نوريس، الممرضة نوريس، التي تعمل في دار المسنين أخبرتني... حسناً، هذا غير مهم. كيف يمكن لي أن أساعدك... إيه... يا لوسي؟»

أجابت لوسي: «أنا بحاجة إلى...» ولم تستطع المتابعة وكأن الكلام تجمد داخل فمها. فسعلت، تنفست نفساً عميقاً ثم عادت وقالت: «أحتاج إلى قرض بعشرة آلاف دولار لأرمم منزلي.» ثم

توقفت عن الكلام ثانية وأخذت نفساً عميقاً مرة أخرى. كان ما يزال مبتسماً، منتظراً إياها أن تنهي كلامها، ثم أشار إلى كرسي كي تجلس.

سألها: «هل هذا كل شيء؟»

«أنا... نعم، هذا كل شيء... في الوقت الحاضر.»

أضاف بلطف: «أحياناً يكون من الأفضل أن تقترضِ أكثر من حاجتك.»

«ولكن منزلي ليس...»

«لا تقلقي.» ثم ضحك ضحكة التفت بعدها جميع الموظفين إليه. هز كتفيه، عدل سترته وقال بنبرة أقل حدة: «لا يعطي المصرف عادة القروض دون ضمان، يا لوسي. وأنت لديك مشاريع هامة. أنت والسيدة مور طبعاً.»

«حسناً، لماذا لا يكون القرض إذاً عشرين ألفاً؟ فقط في حال احتجت إليها بالطبع! أين أوقع؟»

قال متنهداً: «آه، الموضوع يأخذ وقتاً أكثر من ذلك بقليل.» ولكن لوسي لاحظت أنه لم يكن صعباً عليه أن يسحب الدرج الأسفل للمكتب ويضع المال أمامها. ثم استأنف قائلاً: «أعتقد أن الأمر سيأخذ يوماً، بعده أحضر لك الأوراق إن كان ذلك يناسبك.»

قالت لوسي بحماس: «آه، إنه... نعم. أين كنت حين احتجت إليك العام المنصرم؟»

«عذراً، ماذا قلت؟»

«لا شيء. لا شيء. حسناً، هذا حسن. هذا رائع. سأكون في المنزل طوال يوم غد. ستحضر النقود؟»

«ليس تماماً. سيودع المال في حساب يحمل اسمك، وسأحضر لك دفتر شيكات.»

«إنه لمن دواعي سروري أن أتعامل معك.» قالت متلعثمة ثم أضافت: «أنا أكره أن أتعامل مع السيد بروكتر، فهو يعطيني... حسناً، هو كذلك.»

«أليس غريباً كيف أن للناس أذواقاً وردود فعل مختلفة؟ فجميعنا هنا يحس أنّ السيد بروكتر لطيف. فهو وافق على كفالة جمعية الكشاف وهو كذلك في لجنة الكنيسة الشعبية العامة والـ...»

تمتمت لوسي: «لا بد أنك تتكلم عن سيد بروكتر غير الذي أتكلم عنه أنا. هيا، يا مود.»

توقفت الطفلة عند المدخل فقالت لوسي لها: «أسرعي، فمن المحتمل أن يغير رأيه!»

عبرت الفتاتان الباب الزجاجي المزدوج، لتجدا أن ذاك الثعلب في الداخل لم يكن مخيفاً مقارنة مع الذئب الذي ينتظرهما عند الدرجة الرابعة من السلم، إنه جيم بروكتر.

قال جيم بصوت خفيض ولكن بنبرة فظة: «لم يكن غريباً ألاّ أجد إحداكما في المنزل. حسناً؟»

قالت مود: «صباح الخير، يا أبي. أرادت لوسي أن تتعرف إلى المصرف الذي تديره.»

رد قائلاً: «سبب وجيه.» كان يرتدي زي أصحاب المصارف. بدلة قاتمة اللون، قميصاً أبيض وربطة عنق زرقاء. ذلك الزي بدا مملاً بالنسبة للوسي. ثم قامت بحركة لا تقوم بها عادة، لقد أخرجت لسانها.

قال جيم: «أردتك أن تقضي النهار بصحبة إيلويز، لدينا الكثير لنقوم به وليس لدينا متسعٌ من الوقت.»

أجابت مود: «ولكن يا والدي، الليلة الماضية نحن...»

«لا أعذار.» قالت لوسي في نفسها إنّ جنكيزخان بدا كذلك

عندما كان يتلو أحد قراراته: «ابعد الأوغاد، قم بمحاكمة عادلة، ثم... نفّذ!»

أردف قائلاً: «أريدك أن تذهبي إلى المنزل الآن. إيلويز في انتظارك. أنا سأقوم بجولة سريعة لأتأكد من حسن سير الأمور! هل هناك شيء أردت قوله، يا آنسة بوردن، أو أنك فقط تختنقين غيظاً؟»

أجابت لوسي بنبرة أكيدة: «لدي الكثير لأقوله.»

«ولكن ليس هنا وليس الآن. مود، أدخلي إلى السيارة. فرانك سيوصلك إلى المنزل.»

«ولكن لوسي سوف...»

«إنه يوم جميل، أنا أكيد بأن الآنسة بوردن تحب أن تقوم بنزهة قصيرة سيراً على الأقدام تحت أشعة الشمس.» ثم ارتسم على وجهه عبوس خفيف يمكن تصنيفه ابتسامة. ولكن ليس بالمعنى الكامل لهذه الكلمة.

هناك، تماماً أمام عينيها، دخلت مود سيارة الكاديلاك وهزّ جيم رأسه محيياً لوسي ثم دخل إلى المصرف فإذا بلوسي وحيدة على الدرج. ولكن ها هو مدير المصرف يطلّ برأسه من خلف الباب الزجاجي ويقول للوسي: «أنا مسرور لأنك رأيتِ مصرفي، ولكن أتمنى ألاّ تأتي ثانية. إذ أن جسمي يقشعر عندما أفكر بما سيحدث نتيجة تعاملنا معاً، أنت وأنا.» ثم اختفى.

قالت لوسي بينما كانت تبلع ريقها: «نعم، عليّ أن أعرف أن ذلك سيحصل.» وبما أن دار المسنين كانت تقع في الشارع الخلفي، توجهت لوسي إلى هناك.

يبدو أن هذا اليوم هو يوم القيام بنشاطات غير عادية، لا شك، في ذلك. وبينما كانت لوسي تعبر زاوية الشارع، لاحظت حركة غير عادية أمام دار المسنين. كانت هناك عربة كبيرة متوقفة

أمام باب الدار، وبضع سيارات متوقفة على جانبي الطريق وكان هناك عمال يحملون الأثاث إلى خارج الدار.

في الداخل، كانت هناك مجموعة من الممرضات والمساعدات مجتمعات، وكان صوتهن يمنع سماع أي صوت آخر. ولما لم تستطع لوسي الاستفسار عن ذلك الأمر، هزت كتفيها ودخلت إلى غرفة أنجي لترى مزيداً من الفوضى.

قالت: «بحق السماء ماذا تفعلين على هذا الكرسي المتحرك، يا أنجي؟»

«آه، يا لوسي! شكراً لله أنك أتيت!» كانت الدموع تتراقص في عينيها الزرقاوين الذابلتين وإحدى يديها كانت ترتعش فوق البطانية التي كانت تغطي قدميها.

سألت لوسي: «نعم، لماذا؟»

«ألم تسمعي النبأ؟ لقد ظننت أنك أتيت لذلك السبب!»

«لا، لم أسمع شيئاً. ما هو الأمر الذي لم أسمعه؟»

انهمرت الدموع من تلك العينين على خدين أنهكهما الدهر، ثم سالت إلى جانبي فم مرتجف. قالت أنجي: «لقد حجز المصرف على الدار إذ أنها مرهونة. علينا جميعاً أن نخلي الدار خلال أربع وعشرين ساعة ولا أعرف إلى أين سأذهب!»

قالت لوسي في نفسها، حجز عليها! لا عجب في أنّه بدا مسروراً جداً، لقد كان جيم بروكتر في أحسن حالاته. حسناً، لنهلك الفقراء المساكين، ونحجز على دار المسنين، كل ذلك قبل تناول طعام الافطار! ولم يخطر ببال لوسي أن هناك ثلاثة مصارف أخرى في البلدة قد تقوم بالعمل نفسه الذي قام به مصرف بروكتر. بالنسبة للوكسترا بوردن، إن هذا العمل، خطط له سابقاً من قبل رأس الأفعى، جيمس بروكتر.

بعد أن استطاعت السيطرة على نفسها، رسمت لوكسترا بوردن ابتسامة على وجهها، فيما كانت تناول أنجي منديلاً ثم قالت لها: «ماذا تقصدين بأنك لا تعرفين إلى أين ستذهبين، يا حبيبتي؟ ستأتين إلى منزلي، هذا كل ما ستفعلينه. فلدي كثير من الغرف الفارغة في المنزل وأنت قلقة إلى أين ستذهبين؟»

«لكن، يا لوسي، ليس لديك متسعٌ من الوقت للاعتناء بي، فذلك عمل شاق.»

«ليس شاقاً إلى هذه الدرجة. فأنا لم أجد عملاً بعد، وحتى بدء المدارس في أيلول ما يزال هناك وقت، ولن تكون هناك أي معضلات. سأذهب الآن إلى المنزل كي أحضر السيارة وأنت أطلبي من الممرضة أن تجهز أغراضك. اتفقنا؟»

مسحت العجوز الدموع عن خديها بسرعة ثم قالت: «لطالما أردت أن أعيش قرب الشاطىء مرة ثانية. إن الناس هنا لطفاء. ولكن... هل ستعودين فوراً؟»

«فوراً. أعدك.» انحنت لوسي وقبلت جبين العجوز ثم أضافت: «بالإضافة إلى ذلك، فكري إلى أي درجة سيكون الطعام أفضل!»

لقد كانت سيارة لوسي تحفة أثرية فعلاً، ورثتها عن جدها الأكبر في الحرب العالمية الثانية، سيارة بمحرك ذي ثمانية أحصنة، من نوع باكارد سوداء، كانت مهملة لعدة سنوات خلت. حتى قرر صاحب أحد المرائب المحلية في البلدة أن يسدّد ديونه للوكسترا وعوضاً عن النقود أصلح لها السيارة. وها هي الآن، متوقفة أمام المنزل، محمّلة بأغراض أنجي الثمينة والتافهة والتي تنقلها لوسي إلى داخل المنزل. كان العمل صعباً لأن أشعة الشمس كانت شديدة

جداً. لذلك تنفست الصعداء عندما سمعت صوت سيارة تتوقف ثم صوتاً يسأل بمرح: «أتحتاجين إلى مساعدة؟»

التفتت لتعرف صاحب الصوت وقالت: «أأحتاج للمساعدة؟ إني بحاجة ماسة لذلك، إلى درجة القبول بمساعدة إبليس إذا... آه، أهذا أنت!»

قال جيم: «كما قلت، حتى ولو أتت من إبليس.» ثم ضحك وخرج من السيارة. لقد كان في شكله شيء مختلف عن العادة، لم يكن اللباس الذي يرتديه على الرغم من كونه رائعاً. سروال جينز أزرق، بلوزة بيضاء، حذاء رياضة، ولم يكن يرتدي جوربان. لم يكن هذا هو الأمر. ربما كانت ابتسامته العريضة؟ أو نظرة عينيه ولِمَ لا؟ فقد كان لديه المتسع من الوقت في الصباح لكي يقوم بالحجز على دار المسنين.

سألته: «هل جمعت حصتك لهذا اليوم؟»

«حصتي؟»

«لا تخبرني بأن المصرف الذي تديره لا يملك نسبة من قيمة الرهن!»

أدار وجهه إلى جهة واحدة وأمعن النظر في وجهها وشكلها بالتفصيل. حاول أن يتذكر فقال: «حصص.» ثم أردف قائلاً: «لا تخبريني. سوف أتذكر عاجلاً أم آجلاً.»

لكن في الوقت الحالي، قالت لوسي في نفسها، إني بحاجة إلى مساعدة. أنظري إلى تلك العضلات! لا أدري إن كان يتمرن على حمل الأثقال أو ربما حمل الفتيات ورميهن على سريره؟ تورد وجهها، فاستدارت إلى الجهة الأخرى.

أشارت إلى الأغراض الموضوعة داخل السيارة وقالت: «إنني أنقل كل هذه الأغراض الموجودة في السيارة إلى غرفة

مكتبتي الموجودة في الطابق السفلي لكي تكون غرفة لأنجي.»

قال لها بينما هو يجمع الأغراض فوق بعضها من المقعد الخلفي للسيارة: «إصنعي لنا القهوة.» ثم قال بكل احترام: «سيارة باكارد طراز ألف وتسعمئة وأربعة وثلاثين. هل تسير؟»

قالت بحدة: «طبعاً.»

«حسناً، حسناً، لقد كنت أسأل فقط. أنتم، هواة جمع السيارات كلكم غيارى لكن...»

«احمل هذا البرميل.» هواة جمع السيارات! رفع الحمل وأسرع ثم صفق الباب خلفه. كانت أنجي مور تجلس على كرسيها المتحرك في وسط غرفة الجلوس، وكعادتها أشرقت عيناها.

قالت، عندما رأت السيد بروكتر: «حسناً، حسبما أذكر، أنت الصغير جيمي بروكتر!»

«عذراً، سيدتي؟»

«ألا تتذكرني؟»

«أنا... لا أعتقد، يا سيدتي.»

«توقف عن مناداتي سيدة. لقد كنت أضربك على مؤخرتك ثلاث أو أربع مرات في السنة لسرقتك التفاح من حديقتي. لقد كانت عائلتانا تعيشان في منزلين ملاصقين في ذلك الوقت. لقد كنت وغداً صغيراً. ولكن أنظر إليك الآن. كم تغيرت!»

ابتسم وردت له أنجي الابتسامة. ثم قال: «أجل، يا سيدتي، لقد تغيرت كثيراً منذ ذلك الحين. لقد أصبحت أطول بكثير.»

«ألا تزال وغداً؟»

«حسناً... من الصعب قول ذلك، كوني مدير مصرف و...»

«لا تقل لي ذلك، طويل، وسيم، وتعمل لافادة الغير؟»

«تماماً كما تقولين.» ثم بالتدريج، بدأ الماضي يظهر أمامه

ثانية: تلك السيدة العجوز، كانت ما تزال صبية، ساحرة. تعاقب المرء عقاباً صارماً عندما يسرق التفاح من حديقتها، ومن ثم تقدم له طعام الغداء بينما هو يستعيد عافيته بعد ذلك العقاب. وقد كان من الأفضل له أن ينال عقابه على يد أنجيلا مور من أن تخبر والده الذي تترك يده أثراً أكبر!

اختفت ابتسامة أنجي عن محياها ثم قالت برقة: «هل لي أن أسألك سؤالاً، يا جيم بروكتر، أنت غير متزوج، أليس كذلك؟»

«لا... ليس الآن.»

«حسن، هناك فتاة رائعة في الخارج. رائعة وينقصها شيء واحد. هي بحاجة إلى أن تتزوج.»

اختفت الابتسامة عن وجهه أيضاً، الفتاة الرائعة الموجودة في الخارج هي تلك الخرقاء، المنفرة للناس، تريد أن تتزوج؟ اسمحي لي يا سيدة مور!

قال: «من قال إنها تريد الزواج؟»

أجابت أنجي: «أنا، أنا قلت. الفتاة بحاجة إلى زوج تحقق معه ذاتها. زوج وطفلين أو ثلاثة أطفال. هذا هو دورها في الحياة. العمل الحسن. وهي تجيد التصرف فعلاً مع الأطفال، ستكونان زوجين رائعين، أنت ولوسي.»

«هاي، حسناً، انتظري لحظة.» ثم وضع جزءاً مما كان يحمله أرضاً وقال: «لقد توقفت عن ممارسة الرياضة.» ثم فرك عضل يديه وتابع قائلاً: «هل تظنين أني قد أتزوج فقط حتى تحقق تلك الفتاة ذاتها؟ إنني متزوج ولدي فتاة صغيرة عليّ أن أرعاها.»

«هل تعني ذلك حقاً. ليس هناك أحد في البلدة أفضل من لوسي بوردن كأم.»

«إذاً، لماذا لم تتزوج من قبل وترعى أطفالها؟ فهي ليست

صغيرة في السن.» ثم قال في نفسه، نعم، لوسي وميود... جد متفاهمتان ولكن، يا للعنة. لا أستطيع أن أبدل رأيي باستمرار، لقد طلبت من إيلويز أن تنتقل للعيش معنا. وواحدة تكفي. ولكن... هنالك تلك الكلمة السحرية. يمكن لإيلويز الطويلة والنحيلة أن تكون والدة رائعة ولكنها في السرير مزعجة، فكل جسدها عظام وغير رقيقة حتى إذا ما حضنها أحد تكسر جسمه. ومن جهة أخرى، لوسي بوردن هي التي يتمناها أي رجل... هيا الآن، يا بروكتر. لقد أصبحت متورطاً إلى حد لا يمكنك معه التراجع!

عاد فحمل الأغراض، مشى ببطء وحذّر نفسه. ثم سأل: «أين يجب أن أضع هذه الأغراض؟» أشارت أنجي العجوز برأسها إلى المكان المطلوب. وبينما كان متوجهاً من داخل المنزل إلى السيارة. سمع صوت أشخاصٍ يتجادلون؟ حسناً، كان هناك شخص واحد يفعل ذلك بصوت عالٍ ضد صوت هادىء يكاد لا يكون مسموعاً. سأل جيم: «إيلويز، ماذا تفعلين هنا؟»

صرخت إيلويز بوجهه: «من بين الأمور الأخرى.» ثم توقفت، لتأخذ نفساً عميقاً. سيطرت على أعصابها عندئذ وتابعت: «أنا... أعتقد أنها الحرارة. هنالك شيء يؤثر على أعصابي. ولكن بما أني وجدتك فذلك غير مهم؛ لقد وعدتني بأن نبحر، يا حبيبي، وقد مضى على موعدك ساعة حتى الآن.» ثم اقتربت تلك الشقراء الطويلة منه وقالت بنبرة أقل حدة: «لأجدك تتسلى مع الجارة... أ... الساحرة، يا جيمس!» وضحك الاثنان وكأنهما يتشاركان سراً.

قال لإيلويز: «انتبهي، يا إيلويز.» وضغط بيده الكبيرة على كتفها وتابع: «نحن لا نستعمل مثل هذه الألفاظ خارج المدن

الكبرى.» ثم ضغط بشدة أكثر حتى كادت تبكي وقال: «الآنسة بوردن جارتنا.»

قالت إيلويز: «بالطبع هي كذلك. لا تظني... لوسيندا، أليس كذلك؟ لا تظني أنني غير ممتنة لك لاعتنائك بمود. إنه من الصعب على شخص في مثل عمري أن يتعامل مع الأطفال. آه، لكني سأتعلم، بالطبع، لكن ذلك سيستغرق بعض الوقت. الآن أنا وجيم... نحن من السن نفسه، الأمر الذي يفسر التفاهم بيني وبينه أكثر مما بينك وبينه.»

أجابت لوسي: «شكراً لك. لا أظن أني أصغر منك في السن بكثير... لكن شكراً لك على أي حال.»

«آه، إننا نتناقش على المستوى الاخلاقي.» رجعت إيلويز خطوة إلى الوراء ثم غيرت الموضوع وقالت: «آه. لم يفت الأوان كثيراً عن موعد الإبحار، يا جيم.»

نظر إلى ساعته ثم قال: «لا، بالطبع لم نتأخر. أين مود؟»

قالت إيلويز: «بالطبع أنت لا...؟ نعم، أين العزيزة الصغيرة؟»

«سنمضي وقتاً رائعاً يا عزيزتي، هذا هو هدفي. ولكن عليك أن تعلمي، يا إيلويز. بأن عامين من العمل في بطن غواصة نووية لم يؤهلاني لكي أبحر في قارب صغير. الآن، أين الطفلة؟»

«ليس لدي أدنى فكرة. لقد رفضت أن تتناول طعام الغداء، ثم خرجت إلى مكان أجهله.»

نادى جيم: «لوسي، سأرسل لك رجلين من منزلي، ابقيهما عندك طوال اليوم في حال احتجت إليهما. فهما رائعان في حمل الأغراض.» وبعد لحظات من التفكير استأنف قائلاً: «هل ستمضي السيدة مور بعض الوقت في منزلك؟ أنا أعرفها منذ أن كنت... أصغر سناً بكثير.»

أجابت لوسي: «نعم، ستعيش أنجي عندي. لقد كانت تسكن في دار المسنين، أنت تعلم ذلك.»

هز جيم رأسه وأخذ بذراع إيلويز النحيلة، ثم توجه نحو الشاطىء بسرعة كبيرة. قالت لوسي في نفسها، حسناً، بالطبع هو يعرف ذلك. ثم طوت يديها فوق بعضهما بعضاً ووقفت تشاهد ذلك الثنائي. من الصعب أن تقوم بالحجز على مشروع كهذا من دون أن تفكر بمصلحة المرضى، أو أن ذلك ممكناً؟ دكتور جيكل؟ سيد هايد؟ لقد بدا فرحاً... للغاية... اليوم.»

وصل الرجلان إلى منزل لوسي بعد أقل من عشر دقائق، كلاهما من سكان المنطقة ذاتها. لقد كانا مسرورين لأن مكان عملهما قد تغير. عند الظهر كانت غرفة أنجي الجديدة جاهزة.

قالت لوسي بينما كانت تفتح باب الخزانة في الغرفة الجديدة: «ما يزال لدينا عمل نقوم به، لم ينته كل شيء بعد. إذ أن تلك الخزانة تكون عادة مليئة بالكتب الإضافية التي ستباع أو تخزن، أما الآن فهي مليئة بـ...»

قالت أنجي بينما كانت تقترب أكثر من الباب: «أجل، أستطيع أن أرى أنه ما يزال هناك عمل نقوم به.» لاحظت لوسي، التي كانت تراقب أنجي كل ذلك الوقت، نظرة غريبة في عينيها، فحولت نظرها إلى الخزانة.

«مود بروكتر!»

قالت أنجي: «هذه هي الصغيرة بروكتر.»

سألت لوسي مود: «ماذا تفعلين داخل الخزانة؟» لقد كانت الطفلة مقوقعة نفسها قرب الحائط الداخلي للخزانة، نظرة حاسمة في عينيها، ولا تتفوه بأية كلمة.

قالت أنجي: «إنها مختبئة، هذا ما تفعله. الفتيات الصغيرات

يقمن بذلك كثيراً. على الأقل لقد فعلن ذلك في أيامي. ولكن الأسئلة التي تبرز هنا... لماذا، وممن؟»

لم تصدر مود أي صوت، ولكن كانت عيناها تحدقان بلوسي، ثم عادت ونظرت إلى أنجي التي قالت: «حسناً، لا تحملقي بي هكذا. لو كنت تزوجت قبل بضع سنوات لكنت، أنا، جدتك.» ثم نظرت إلى لوسي وشرحت قائلة: «ألفرد كان رجلاً رائعاً وأنا كنت... حسناً، في العشرينات، لقد عرفت بالمتحررة، هل يمكنك تصديق ذلك؟»

لوسي، التي كانت على استعداد لتصديق أي شيء عن أي شخص، نظرت مذهولة وقالت: «لكن...»

قالت أنجي مقاطعة: «لم أكن سريعة بما فيه الكفاية، لقد كانت هناك منافسة أخرى، يمكنك القول، منافسة رشحت من قبل والدته.»

«لكن...»

«لا تتأتئي، يا لوسي. لقد كنت ساذجة في ذلك الوقت. لقد ادعت... منافستي... أنها حامل. وفي تلك الأيام، يا عزيزتي، كان لهذه المشكلة حل واحد. ألفرد تزوج منها.»

«يا لله.»

«نعم، طفلهما لم يولد إلا بعد أربعة عشر شهراً، وأنا، طبعاً مكسورة الفؤاد. حسناً، لقد تقوقعت قرابة الشهر ثم قمت برحلة إلى جزر الكاريبي، حيث التقيت... حسناً، هذه قصة أخرى.»

حدقت مود بها وقالت: «وهل كنت حقاً، وفعلاً على وشك أن تصبحي جدتي؟»

«نعم، وبالتأكيد، أيتها الطفلة. أخرجي من الخزانة، لا أحد يحافظ على الخزائن نظيفة تماماً هذه الأيام.»

قالت لوسي بنبرة آمرة: «أجل، أخرجي من الخزانة.» ثم سألت نفسها، كيف تراجعت فجأة إلى المركز الثاني في بيتي؟ ثم عادت وسألت مود: «مم تختبئين؟»

«من الكبد والقنبيط، كانت تريدني أن أتناول ذلك على الغداء. يخ!»

«حسناً يجب أن أرسلك فوراً إلى المنزل. فوالدك غاضب مني بما يكفي، لكي نضيف على ذلك فرارك من المنزل!»

«أنا لم أهرب من والدي. إنه لطيف، هربت فقط من الكبد ومنها.» ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وأضافت: «بالإضافة إلى ذلك، لقد تأخرت كثيراً، لقد رأيت القارب يغادر الشاطىء للتو.»

قالت أنجي: «لوكسترا؟ ألم تقولي بأنه ما يزال عليك القيام ببعض الأعمال؟ لماذا لا تتركين الطفلة معي؟ فمن الممكن أن تساعدني في توضيب الأغراض.»

سألت لوسي نفسها، فعلاً، لماذا لا أفعل ذلك؟ لماذا أشعر وكأن الدنيا قد انقلبت رأساً على عقب؟ لماذا أتلقى الأوامر في داري وأدور حول ذلك... الرجل في المنزل المجاور، وكأنه جائزة في اليانصيب؟

لكن، كونها امرأة جد عملية، فقد نفضت عنها أحلام اليقظة تلك، ثم نزلت إلى الطابق السفلي متوجهة إلى المطبخ ثم إلى حيث يوجد الهاتف. وبينما هي تبحث عن أرقام هاتف البنائين ليصلحوا المنزل، كانت تسمع رنين ضحك آتٍ إليها من غرفة النوم. ضحكة فتية... وأخرى عجوز. فقالت لوسي في نفسها بينما كانت تطلب رقم الهاتف، هذه هي مشكلتك، يا مود، كان يجب أن تكون أنجي جدتك.

الفصل الرابع

وصل البناء بعد أقل من ساعة من وصول موظف المصرف جون لدرمان، الذي جاء يسلمها دفتر الشيكات وبعض الأوراق لتوقيعها. تجمّع الثلاثة حول طاولة نصبها البنّاء على الرمل خلف المنزل، واضعاً عليها بعض رسوماته. كان لدرمان يرتدي زي العمل المصرفي، بدلة وربطة عنق، هندرسون كان مرتدياً سروال جينز وقميصاً قطنياً وقد بدا أن سرواله قديم يعود إلى أيام الحرب في فرنسا. أما لوسي فقد كانت مرتاحة في زيّها. فقد ارتدت ثوباً ورديّ اللون فضفاضاً، مريحاً، وتتلاعب بأطرافه نسمات الهواء الرقيقة التي تهب من جهة الشاطىء.

قال موظف المصرف: «إن إغلاق دار المسنين كان عملاً فظيعاً. أليس كذلك؟ لقد تضايقت خطيبتي كثيراً لذلك ولكن قُدّم إليها عرض عمل في مستشفى توبي. أتعلمين، أنا دائماً أؤمن بالقول: لا تكرهوا شيئاً لعله خير لكم.»

أجابت لوسي: «هل حقاً تؤمن بذلك؟ هل أوقّع هنا؟»

«نعم، حيث توجد علامة. أجل، إني أؤمن بذلك.»

قال البنّاء: «أنا لا أؤمن بذلك. اللعنة على أصحاب المصارف، لقد دمّروا البلد عام ألف وتسعمئة واثنين وثلاثين ويفعلون الآن ما بوسعهم ليقوموا بذلك ثانية.»

رد موظف المصرف: «آه، لا أعلم. لا يمكنك أن تنسب الجشع إلى أصحاب المصارف فقط، فجميع الناس في بلدنا ملامون.

حسناً، حظاً سعيداً يا آنسة لوكسترا. أنا متأكدٌ بأن لديك المال الكافي بين يديك لكي...»

قال البنّاء: «إن منزلها بحاجة إلى بناء سقف جديد.»

قالت لوسي بقلق لموظف المصرف: «حظاً سعيداً لك ولخطيبتك.» لقد لمحت بروكتر من زاوية المنزل آتياً ومعه أجيران يعملان عنده، ولأنها لم ترد مزيداً من المشادّات الكلامية، أخذت بذراع لدرمان وقادته حول البيت إلى سيارته. وعند عودتها رأت أن بروكتر والبنّاء كانا يتحدثان. لقد بدا وكأن جيم بروكتر يعرف الكثير عن أعمال البناء... أو ربما خلاف ذلك؟ ربما اختارت هي بنّاء لا يعرف شيئاً عن عمله؟

كان هندرسون يقول لجيم: «لا، فالأمر ليس فقط أن الأعمدة مائلة. فهذا المنزل مضى على بنائه مئتا عام وهذا سبب كاف لميل الأعمدة. المشكلة أن الأساسات تغرق تحت الأرض في الجانب الشرقي. فهذا يصيب معظم المنازل المبنية على رأس البحر. فالمنازل المبنية على مثل هذه الأراضي هي عبارة عن كومة رمل ممكن أن يجرفها البحر. وأعتقد، يا سيد بروكتر، أن منزلك سوف ينهار قبل منزل آل بوردن هذا. كل المنازل الجديدة التي بُنيت هنا بُنيت على الرمل فقط.» ثم توقف عن الكلام ونظر إلى مدير المصرف الذي كان يمسح رقبته بمنديل أحمر قديم. كان وجه بروكتر جامداً خالياً من التعبير. فسعل البنّاء بطريقة جافة.

استطرد قائلاً: «كما في الكتاب المقدس، بنوا منازل على الرمال، أو شيء من هذا القبيل.» فابتسم بروكتر ابتسامة خفيفة. ثم عاد هندرسون وقال: «كل هذه المنازل القديمة المبنية هنا كمنزل الآنسة لوكسترا قد بُنيت على الصخور المتاحة. وبحق السموات لا تشتر أي منزل في منطقة القناة، فهذه

الأرض هناك تتآكل بسرعة أكبر من تلك التي يلعق بها كلبك الحليب!»

ردّ جيم: «حسناً، أرحتني، فليس لدي كلب ولكن فقط ابنة صغيرة ضائعة.» ثم تلفت حوله ونظر متأملاً لوسي وخلفه كان الحارسان يتفحصان الأرض ككلبي صيد.

أثار أقدام على الرمل؟ سألت لوسي نفسها. حتى بعد أن داسوا مراراً فوقها؟ ثم سألت جيم: «هل اختفت ثانية؟» ووضعت يديها خلف ظهرها وراحت تحرك ابهامها بحركة دائرية وحاولت أن تظهر بمظهر البريئة التي لا علم لها بشيء.

«نعم، اختفت ثانية.» أكد لها جيم. «أممكن أن تكوني...؟»

«أنا؟ لا، لم يحدث...»

«لقد اعتقدت ذلك. أستعيدينها إلى المنزل إذا ما رأيتها؟»

«بالطبع. هذا واجب على الجيران. إذن هل سيكون أحد موجوداً في المنزل طوال النهار؟»

«نعم.» ولكن بدا عليه أنه لم يصدق كلمة مما قالته لوسي. وضع كلتا يديه في جيبيه ثم راوح مكانه لبرهة، متأملاً لوسي من رأسها حتى أخمص قدميها. وكان النسيم الآتي من الشاطىء يتلاعب بشعره، لم يزعجه ذلك، ولكنه حاول أن يمشط شعره بأصابعه.

قال: «أنا مسرور أنك قررت ترميم منزلك. فذلك سيعود على الجوار كله بالفائدة. هل تمكنت من الحصول على قرض؟»

التفتت لوسي بعيداً عنه وغرست مقدم قدمها في الرمل ثم قالت: «أجل، حصلت على قرض.»

حرك جيم رأسه ببطء من جهة إلى أخرى وقال: «أنت محظوظة، فإن المصارف تمر بوقت حرج، قريباً سينهار كل شيء.»

«منزلي؟»

«أعمالي. أي مدير مصرف، بكامل عقله، أقرضك المال لهذا...؟»

«حسناً، لدي قوة تأثير كبيرة.»

«بالطبع لديك.» التفتت لوسي لتكتشف أن عيني جيم محدقتان إلى صدرها حيث كان الهواء يضغط فستانها القطني عليه بقوة.

قالت: «لم أقصد هذا المعنى بالتحديد. لا تكن خبيثاً! ألا يمكن لفتاة أن تحظى ببعض الهدوء حتى في حديقة بيتها الخلفية؟»

«لا. أنا أقصد... نعم.» كان يتكلم بارتباك وكأنه غير قادر على تنظيم أفكاره. ثم تابع: «أجل، طبعاً. يبدو أن أحد موظفي المصارف الأذكياء، سيربح كومة مال أو يخسر حتى قميصه بسبب هذا المشروع.» وبنبرة أرقّ قال: «سررت بلقائك مرة ثانية، يا هندرسون فليكن عملك متقناً بقدر مال السيدة.» ثم حيّا لوسي باصبعه وتوجه نحو الشاطىء من حيث أتى.

همست لوسي في نفسها: «إنه مالك.» ثم توقفت حركة أصابعها، ولم تستطع أن تخفي تنهيدة ارتياح صدرت رغماً عنها.

قال هندرسون: «إنه رجل طيب. والآن في ما يخص السقف؟»

قالت لوسي: «نعم، في ما يخص السقف.» لقد كانت لوسي تراقب سير الحارسين خلف رئيسهما فتساءلت، رجل طيب؟ يسير على الشاطىء مثل سفينة قراصنة تلحق بها سفينتا صيد الحيتان؟ أين هي الطيبة فيه؟ تشكلت صور في داخل عقلها: ليلة ممطرة حالكة الظلمة، ونار المدفئة تتراقص في الغرفة، كل شيء في مكانه، جاهز، وهو... ماذا يفعل؟ مستلقياً على سريري دون أن يكون مرتدياً قميصاً؟

«آنسة لوسي؟»

ردّت متنهدة: «آه. نعم. السقف.» ثم فكرت، كل ذلك المال مخزون في مصرفه. مال أكثر مما رأته في كل حياتها. وما هو بحوزتها اليوم زائل غداً؟ قالت: «نعم، أصلح السقف، يا سيد هندرسون. كذلك نحن نحتاج لتركيب حمّام في الطابق السفلي.»

«ذلك يكلّف الكثير.»

قالت محتدة: «أصلح كل شيء. لقد حصلت أخيراً على المال، يا سيد هندرسون. مال يخص غيري. وعندما يكتشف ذلك سوف ـ آه، يا إلهي لقد رست سفينتي!»

«فعلاً.» قال هندرسون فيما توجهت لوسي إلى المنزل. لقد وصل آل هندرسون، لذلك يمكن أن تكون سفينتها قد رست محملة بمكاسب وفيرة بالمعنى الذي أعطاه أهل نيوإنغلند القدامى لهذا التعبير. «أصلح كل شيء، لما لا؟» ردد هندرسون في نفسه: «فكما عهدتهم، آل بوردن لديهم الكثير المخبأ في مكان ما.» ثم حكّ صلعته، بعد ذلك نادى فريق العمال وقال: «تعالوا، هيّا إلى العمل.»

كانت أنجي مور تدندن عندما حركت كرسيها إلى حيث يدخل النور من الشباك الجنوبي. توقفت وابتسمت عندما دخلت لوسي وقالت: «لم يعودوا يصممون المنازل لتناسب أذواق الناس. في الأيام الخوالي، كان لا يمكنك أن تجدي منزلاً من دون أن تكون هناك نافذة في جداره الجنوبي، لكي تدخل منها أشعة الشمس في الشتاء.»

أجابت لوسي: «أنت محقة، لا أعتقد أنك رأيت مود في أي مكان هنا، هل رأيتها؟ لا... تخبريني حقاً أنا لا أريد أن أعرف. أنا...»

«يبدو لي أنك تمضين وقتاً أكبر وأنت تهتمين بشؤونه أكثر من أي شيء آخر تقومين به. إنه ذلك الهاتف يرن من دون انقطاع.»

«أي شخص تقصدين؟» قالت لوسي بحدة.

«ذاك الرجل، الذي يسكن البيت المجاور لبيتك. لقد أضاع ابنته ثانية، أليس كذلك؟»

«نعم. ونحن أول المشتبه بهم. لقد حضر إلى هنا وخلفه حارسان مسلحان. هل يمكنك أن تصدقي أن ثمانية أشخاص بالإضافة إليه طبعاً، يعملون في منزله؟ قد تعتقدين أن ثمانية أشخاص قادرون على تقفي أثر الصغيرة واحدة، أليس كذلك؟»

«أجل... حسناً... لقد ادّعت أنها تودّ الدخول إلى الحمام وأنها لا تستطيع أن تتحمل حتى تصل إلى منزلها، وأنا لم أستطع أن أطلب منها العودة إلى منزلها، هل كان باستطاعتي؟»

«لا تخبريني بذلك، لا أريد أن أعرف. حقاً، لا أريد أن أعرف. من اتصل بي؟»

«رداً على الاعلان الذي نشرته في الصحيفة، ذلك الاعلان عن نادي سباحة للأطفال. لقد سجلت أسماءهم وأرقام هواتفهم، إنها مدونة على ورقة وضعتها على طاولة المكتب تحت الهاتف. أتعلمين، إني مسرورة لأنهم حجزوا على دار المسنين. فأنا لم أنشغل أبداً مثلما كنت اليوم، أو تمتعت بوقتي وأنا في سني هذا! أبداً لم أفعل.»

«من الأفضل ألاّ نعارض رغبات ذلك الرجل.» وكان يمكن لأي شخص أن يلاحظ كيف كانت تعلو نبرات صوتها عند لفظها كلمة الرجل. ثم تابعت قائلة: «أنا لا يهمني أن اختلط معه حتى ولو كانت ابنته ـ لا، لا أريد أن أعرف.»

ابتسمت أنجيلا مور ابتسامة خفيفة في نفسها، ثم ردّت على لوسي قائلة: «لا يهمك أن تختلطي معه؟ لوسي بوردن، على من تكذبين!»

قالت لوسي مكابرة: «أنا لا أكذب، أنا لا أكذب. إنه... أنا...»

«نعم، هذا كل ما في الموضوع، يا لوسي. لا تكابري. إن الحب شيء جميل، وهو أيضاً شاب رائع. جيمبو فعلاً كذلك. ومكتوب على وجهك الصغير الجميل أنك له.»

شعرت لوسي بأن المصيدة أخذت تضيق من حولها، أمسكت بكرسي ثم جلست عليه وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «جيمبو؟»

«جيمبو، هذا ما كان كل الجيران ينادونه به، عندما كان في الخامسة من عمره. أنت لا تسمعين مثل هذه الأسماء في هذه الأيام.»

«أنا لست مغرمة بهذا الرجل.» قالت لوسي وهي تنطق الكلمات ببطء وتشديد وكأنها تتحدث مع أطفال أو مع بُلهاء.

«كما تشائين.»

«أنا لا أحب.» ثم تابعت بتوتر: «من المفروض أنك وقعت في الحب ولك تجارب كثيرة؟»

ابتسمت أنجي ثم اقتربت من لوسي وقالت: «أنا؟ طبعاً أحببت، عدة مرات! ولكن في أيامي لم تكن كلمة تجارب مدعاة فخر، يا عزيزتي. لقد كان لتلك الكلمة تفسيرات أخرى عندما كنت شابة. إذاً، ماذا ستفعلين... ستهربين منه، أم تلاحقينه؟»

«سوف... أختبىء.» ثم انتفضت عن مقعدها وقالت: «سأكون سيدة نادي السباحة.» ثم توجهت نحو طاولة المكتب حيث لائحة أسماء وأرقام هواتف الطلاب المتوقعين.

قالت أنجي: «أجل، اهربي واختبئي. لقد فعلت النساء ذلك في

أيامي، ولكنهن ندمن. ستشعرين بمتعة أكبر إذا أصبحت سيدته، يا حبيبتي.»

صعدت لوسي إلى الطابق العلوي مسرعة ثم دخلت الحمام. كانت راحتا يديها تؤلمانها، ولم تعرف السبب إلاّ حين وقفت أمام المرآة لتلاحظ أن أظافرها كانت مغروسة في جلدها. فصرخت دون وعي: «اللعنة على هذا الرجل!» فإذا بستارة الحمام تفتح ويظهر من ورائها رأس الصغيرة مود.

«أنت تعنين والدي؟ هل ذهب؟»

«مود بروكتر!»

انسدلت الستارة ثانية فقالت في نفسها: حسناً، يا لوسي بوردن. أنت من تسبب بكل هذا. لو لم تكوني حنونة جداً مع الطفلة من أول لحظة أتت إليك، لما كنت في هذا الوضع. كان يجب أن تكوني أشد قسوة مع الطفلة. حنونة! ما أفظع هذه الكلمة! ولكن لم يكن هناك جدوى من إخافة الطفلة.

فتحت لوسي الستارة. بكُلّ لطف، فإذا بالطفلة متقوقعة في زاوية الحوض، ترتجف. ثم قالت لوسي: «ليس هناك حاجة لذلك، يا مود. لن يأكلك أحد.»

«هاه! ماذا تعرفين؟»

«مود. هيا، اخرجي من الحوض في هذه اللحظة!»

ذعرت الطفلة، وحاولت الخروج من الحوض من دون أن تكون قريبة من متناول يدي لوسي، وعندما وقفت قالت: «أنا لن أعود إلى هناك، أبداً.»

مدّت لوسي لها يدها لتساعدها بينما هي تخرج خارج الحوض وقالت بلطف: «كلام خطير، إذن أين ستذهبين؟»

«سأبقى هنا، ولكني الآن أراك مثله تماماً، راشدة لئيمة. لا

أدري ماذا سأفعل، ولكني لن أعود إلى هناك.» ثم خرجت من الحوض ورجعت إلى الوراء بعيداً عن لوسي. توترت لوسي كثيراً نتيجة ما حدث، ولكن أربع سنوات من التعليم زودتها بخبرة عن ردود فعل الأطفال.

«مود، ما الخطب؟»

أجابت الطفلة وهي تلف ذراعيها حول معدتها: «لا شيء.»

«هل أنا فعلاً مثله؟»

«لقد حاولت إخباره ولكنه لم يصغ إلي.» ثم ابتعدت الطفلة أكثر عن لوسي. إنه أمر غريب. فكرت لوسي، مود ترتدي بلوزة قطنية خفيفة وتبدو وكأنها ملتصقة بها في بعض الأماكن، وهناك تلك الرائحة.

سألت بلطف: «أخبريني ماذا كنت ستقولين له؟»

«لماذا؟ ليس هناك شيء تستطيعين فعله حيال الموضوع. حتى أنه لا... يحبك.» ثم انحنت الطفلة من شدة الألم وانهمرت دموعها. حاولت لوسي لمسها ولكن مود أبعدتها. ثم ابتعدت مود أكثر كي لا تقترب لوسي منها. ثم قالت وهي تشهق من شدة البكاء: «لقد كذبت عليك. والدي يحبك كثيراً.»

«مود، اخلعي هذه البلوزة.»

«لا!»

«مود، اخلعي هذه البلوزة أو سأنزعها أنا عنك.»

«لن تتجرئي ـ هل تتجرئين؟»

«ستعرفين ذلك بعد دقيقة، يا فتاة.»

«حسناً، حسناً، أنا... إنها ملتصقة.» ثم حاولت الطفلة فك الأزرار الأمامية للبلوزة البيضاء ولكنها لم تستطع فتقدمت لوسي وفكتّها لها. أخرجت ذراعيها النحيلتين من الكمين القصيرة مع بعض

الصعوبة ثم أدارت لوسي مود وحاولت أن تنزع البلوزة عن ظهرها، لتكتشف أن البلوزة كانت مثبتة على ظهر مود بواسطة سائل ما. ثم اشتمت تلك الرائحة ثانية. ما هي هذه الرائحة؟ فعملت لوسي بلطف وخلعت البلوزة عن جسم الفتاة الصغيرة.

قالت بحدة: «يا إلهي، من فعل هذا؟»

لقد كان ظهر الفتاة مدهوناً بسائل لزج، اشتمت لوسي هذا السائل لتكتشف أنه شراب جدّها المفضل، لقد كان ظهر الفتاة وبلوزتها مبللين بهذا الشراب.

سألت لوسي: «من فعل هذا، هل والدك...»

ردّت مود مدافعة عن والدها: «والدي لا يقوم بأعمال كهذه.»

«إذن من فعل ذلك؟» توقعت لوسي عدم حصولها على ردّ لهذا السؤال... ولكن هل هي بحاجة لرد؟ وأخذت تشعر بحنقها يزيد ويزيد. إذا لم يكن، هو من فعل ذلك، فهو يعلم من مسؤول عن فعل ذلك! ومن دون أي تفكير، غطت لوسي كتفي مود بمنشفة وسحبتها من يدها ثم قالت: «تعالي معي!»

نزلت الاثنتان الدرج بسرعة، حاولت مود إيقاف لوسي لكن من دون جدوى. ثم تعجبت السيدة مور لمنظر الفتاتين وقالت: «آه، يا إلهي! ما هذه الرائحة الكريهة؟»

قالت لوسي بينما كانت تجرّ الطفلة بيد وتحمل البلوزة باليد الأخرى: «يمكنك قول ذلك ثانية.» ثم صفقت الباب بعنف بعد أن خرجتا.

عند عبورهما مكان عمل هندرسون توقف عن العمل وسأل قائلاً: «هل من خطب؟»

قالت لوسي بحدة: «لا شيء حتى الآن، ولكن قريباً جداً سيحدث!»

«إذا احتجت لأي مساعدة، نادني فقط.»

حملقت لوسي في عضلات ذراعيه. فقد بدا وكأنه يستطيع تحطيم برميل كبير بضربة واحدة. ثم أضافت: «ربما لاحقاً.»

بعد أن عبرتا الصخور الفاصلة بين المنزلين، قالت مود: «لا أريد الدخول إلى ذلك المنزل.» وقد بدا أن جرها إلى المنزل أصبح أمراً شاقاً.

«من الأفضل لك أن تستسلمي للأمر، فأنا أقوى منك. هل تريدين أن يراني والدك وأنا أجرك كأنك بريخت الدب؟»

«سيغضب جداً، لا أريد أن أراه على تلك الحالة. أنا لا أريد...»

فصرخت لوسي: «إنه يستحق ذلك.» وبعد أن استعادت السيطرة على نفسها، قالت: «إنه يستحق كل ذلك! هيا، الآن، يا مود، كفّي عن البكاء، فسوف تنتقمين.»

«حقاً؟ أنا لم أنظر إلى الموضوع من هذه الناحية.»

ردت لوسي بينما كانت الفتاتان تعبران المدخل الخلفي لمنزل آل بروكتر: «عليك فعل ذلك. ليس على النساء أن يتحملن ذلك بعد الآن، ليس في هذه الأيام.»

كان أحد الحراس واقفاً خلف الباب الزجاجي. فقال عندما رآها: «هاي، لقد وجدتها، سيدي سيفرح عندما...»

قالت لوسي مقاطعة: «السيد لن يكون سعيداً إلى هذه الدرجة. افتح الباب.» ولم يكد الحارس يمسك يد الباب ليفتحه حتى كانت قدم لوسي قد فتحته. في الداخل، كان كل شيء هادئاً وكأنهما قد دخلتا إلى معبد.

صرخت لوسي: «أهذا مرتع الشيطان؟» فسمعت صدى صوتها آتياً من الردهة. «مرتع؟» عادت الكلمة إليها ثم صرخت ثانية:

«ألا يوجد أحد بحق الشيطان؟» ثم سُمع صوت باب بعيد عن مكان وجودهما يُفتح ثم يُغلق.

ظهر بروكتر يقول: «ما الذي حصل؟» كان يضع قلماً خلف أذنه، وفي يده اليمنى بضع أوراق. ثم قال: «آه... آنسة بروكتر، هذا أنت؟»

اختبأت الطفلة خلف لوسي وهي ترتجف.

قال: «ماذا أستطيع أن أفعل لك، يا لوسي؟»

أجابته: «أول شيء عليك القيام به هو أن تطلب الشرطة. الأمر الثاني هو أن تكف عن محاولتك أن تكون مرحاً. الأمر الثالث هو أن تذكر أن اسمي هو الآنسة بوردن!»

«لديك لائحة مطاليب، أليس كذلك؟»

«فقط أطلب الشرطة، أيها، أيها الوحش!»

اختفت عن وجهه علامات اللطف، صرخ إلى الحارس وأرسله إلى الغرفة المجاورة حيث كان الهاتف موجوداً. ثم قال بنبرة لطيفة ولكن آمرة، حتى أنها مهدّدة: «من الأفضل أن تطليعيني على الأمر.» ارتجفت لوسي لتصبح مثل مود. فهو رجل ضخم ومخيف.

تمتمت بينما كانت تبتعد عنه: «ربما من الأفضل أن أطلب الشرطة بنفسي.»

أشار إلى أحد الكراسي البيضاء المصفوفة قرب الحائط وقال: «ربما من الأفضل أن تجلسي على ذلك الكرسي.» فتوجهت لوسي إلى هناك، وجلست على الكرسي الذي أشار إليه. لقد كان مقعد الكرسي بارداً لذلك فإنها قبل أن تجلس وضعت تنورتها تحتها. اقتربت مود من لوسي ووقفت وراء الكرسي الذي جلست عليه واتكأت إلى الحائط. فنظر إليهما بصمت للحظات.

صرخ قائلاً: «بحق الشيطان ماذا هناك؟ لدى عودتي

إلى المنزل وجدته بأكمله في حال من الفوضى العارمة.»

قالت لوسي بشجاعة: «إن رمي الكحول على الأطفال يعتبر انتهاكاً لهم. إنها جريمة بشعة. ربما لو أنت...»

نهض عن كرسيه واقترب خطوة أو اثنتين ثم قال: «بحق الله عم تتحدثين؟»

«لا يمكنك إخافتي.» ثم قالت في نفسها: يمكن له أن يخيفني بكل سهولة، ليتقدم خطوة واحدة فقط وسأفرّ هاربة من هنا!

سمع صوت باب آخر يغلق بعنف ثم ظهرت الخالة إيلويز ترتدي روباً خفيفاً وتحمل في يدها قطعة قماش رطبة تضعها على عينها، صوت كعب حذائها العالي يقعقع على الأرض الخشبية، وتبين عندما اقتربت أن ما تضعة إيلويز على عينها هو ضمادة ثلج. قالت: «آه، لقد وجدتها!»

رد جيم بروكتر: «لقد وصلتا للتو. كان يجدر بك أن تبقي في الحمام، يا إيلويز، هل تحسنت حال عينك؟»

قالت إيلويز: «أعتقد أنه من الأجدر بك أن ترسل تلك المتوحشة الصغيرة إلى مدرسة داخلية.» ثم شهقت بالبكاء. فقالت لوسي في نفسها: الأداء ليس جيداً. وإذا كان كل ما تستطيع فعله هو البكاء، فإن هذه المرأة خرقاء.

سألت إيلويز: «وماذا تفعل هي هنا؟» ثم عاد صوت بكائها. كيف يمكن لهذه أن تكون دموعاً والضمادة تمنع الدموع، فكرت لوسي. إن المرأة تبالغ في ذلك. عليّ أن أتذكر ذلك يوماً ما.

قال جيم بروكتر: «لقد أعادت مود.» بدا من نبرة صوته المنخفض تعاطفه لبكاء تلك الشقراء النحيلة، ثم مد يده إليها، فأمسكتها إيلويز.

قالت: «إن عيني تتورم، وهناك دعوة إلى العشاء هذا المساء، عليك أن تفعل شيئاً، يا جيمس.»

«سأفعل، اجلسي هناك، يا إيلويز وسأطلب الطبيب حالاً. من المؤكد أنه يستطيع أن يفعل شيئاً من أجل عينك.»

قالت لوسي: «إنك محظوظة جداً.» لقد كان مشهد الحب ذاك يثير اشمئزازها، ثم أضافت: «لا يلبي الأطباء النداء إلى المنازل من أجل العيون السوداء، إنهم يأتون لحالات أكثر جدية.»

قالت إيلويز: «لا أريد أن أستمع إليها.» ثم اقتربت من جيم واتكأت إلى كتفه ثم قالت: «اطردها خارج المنزل.»

قال جيم: «إيه... آنسة بوردن، شكراً لإعادتك ابنتي إليّ. أود التحدث إليك عن كل ذلك... ربما لاحقاً؟ ولكن خطيبتي، ابنتي، وأنا نودّ أن نتحدث حديثاً عائلياً. فإذا لم يكن لديك من مانع؟»

«لدي مانع قوي.» ثم ضربت قدمها في الأرض فأحدثت صوتاً قوياً ثم قالت: «لا أنوي الرحيل قبل أن يُسوّى الموضوع.»

قالت إيلويز: «حسناً، حقاً! من تظنين نفسك؟»

«أنا فقط تلك الجارة الفضولية التي لن تذهب قبل أن يُسوّى الموضوع أو تأتي الشرطة.» ثم ملّست فستانها بيديها وانتصبت واقفة على قدميها.

قالت مود متوسلة: «آه، أرجوك. لا أريد أن يغضب. أنا لا أريد...»

قالت لوسي: «اثبتي، يا مود. يجب أن نتصدى للسفلة بالأسلوب نفسه. فقط اثبتي.»

«طبعاً، بالتأكيد.» أجابت الطفلة، ولما أحسّت لوسي بأن أعصابها على وشك أن تخونها، أسرعت القول.

قالت: «سيد بروكتر، لماذا رميت الكحول على ظهر ابنتك؟»

أكدت مود ذلك وقالت: «ودخل قليلٌ منه في عيني، وهي تؤلمني كثيراً!»

صرخ بعنف: «أنا رميت الكحول على ابنتي؟ أنا أرمي شيئاً كهذا على طفلتي؟» علا صوته، وأقسمت لوسي أنها سمعت اهتزاز السقف.

كررت القول: «على طفلتك. اضطهاد طفل. إنه جريمة خطيرة في الكومنولث.»

زمجر قائلاً: «لا أستطيع أن أفهم، عمّ تتحدثين؟»

احمرّ وجهها، ثم قامت وتمشت في وسط الغرفة ثم زمجرت رداً عليه قائلة: «لقد رميت ذلك السائل على طفلتك وفي عينيها، على كل ظهرها وأخفتها حتى الموت. ما قولك في ذلك، يا سيد بروكتر؟»

قالت مود وهي تبتعد عن الآخرين: «آه، لا، ليس أبي. ليس هو. أرجوك، ليس هو!»

ردّت عليها لوسي قائلة: «فقط ابقِ بعيدة عن الموضوع، وأنا سأتولى هذا...»

قال جيم بروكتر بنبرة أقل حدة من التي كان يتكلم بها: «سبب مقنع، ولكن لا فائدة من ذلك. ما أريد معرفته هو ما حصل لعين إيلويز. مود؟»

نظرت الفتاة الصغيرة إلى عيون الراشدين حولها ثم تنهدت وقالت: «لقد ضربتها.»

قالت إيلويز: «هل سمعت؟ هل سمعت؟ لقد بلغت بها الوقاحة إلى درجة أن تعترف بذلك!»

رفع بروكتر يده طالباً الصمت ثم قال: «لحظة من فضلكن هناك أمر ما في الموضوع.» فرفعت مود ذقنها الصغير، ابتلعت لوسي

ريقها وعدّلت في وقفتها. إيلويز أصبحت هادئة جداً. ركع بروكتر على ركبة واحدة أمام ابنته ونظر في عينيها.

قال بلطف: «لماذا؟ لماذا ضربتها؟»

ترددت مود، تجيب أم لا، ثم نظرت إلى لوسي وبعدها قالت: «لأنني لم أرد أن آكل ذلك الطعام المقرف، ورمت عليّ كأساً كاملاً من ذلك السائل الذي تشربه ودخل بعضه في عيني ولم أستطع التخلص منه، وأرادت أن ترميني بكأس آخر من ذلك الشراب ولكني هربت.»

قالت لوسي في نفسها: هكذا إذاً. لقد اصبت الهدف، ولكني أخطأت في اتهام المذنب الحقيقي. تباً لي ولفمي الكبير. هو لم يضطهد الطفلة، ستنتشر فعلتي هذه في كل مكان لشهور مقبلة! إذاً لقد كانت إيلويز من فعل هذا؟

قال بروكتر بصوت خافت: «من الصعب أن أصدق أنه ممكن لخالتك أن تفعل ذلك.» اقتربت لوسي من مود التي كانت ما تزال تلف المنشفة حول كتفيها، فسحبت لوسي المنشفة برفق ثم رمت بقميص مود الملطخ على الأرض. ارتجفت الطفلة إما من الخوف أو من البرد.

قالت لوسي لمود: «استديري.» ولبّت مود الطلب فلمسها بروكتر باصبع واحد ثم اشتم اصبعه وقال: «كحول.»

قالت لوسي: «إنه من الصعب تصديق ذلك، ولكن أحدهم رماها بكمية كبيرة منه. انظر إلي عينها، إنها حمراء جداً وعلينا أن نزيل ذلك السائل منها!»

ظهر أحد الحراس في الردهة قادماً من غرفة الجلوس ثم قال: «الطبيب موجود عند الباب.» ولم تمض دقيقة حتى كان الطبيب والترز قد دخل، يؤرجح حقيبته القديمة. سنّه قريبة من

الثمانين، ذو ظهر منحن وشعر رمادي، لم يمارس مهنته منذ زمن ولكنه يلبي الطلبات إلى المنازل، توجه مباشرة إلى الطفلة.

قال: «تباً، ضمادة ثلج على عينها لتوقف التورم، ثم فنجان على حجم العين لإزالة السائل، بعض الأقراص ضد الالتهاب. إذا ما كان ذلك حادثاً عليكم أن تكونوا أكثر حذراً وإذا لم يكن كذلك عليّ إبلاغ الشرطة.»

انتصب بروكتر على قدميه وقال: «لقد كان ذلك حادثاً، أيها الطبيب سأعمل على عدم حدوث ذلك ثانية. شكراً على قدومك.»

سألت إيلويز: «ولكن... ألن يفحص عيني؟»

نظر بروكتر إلى تلك الشقراء نظرة قاسية جافة للحظات ثم قال: «الوداع، يا إيلويز.»

قالت: «ولكن... ولكننا كنا سنتزوج قريباً.»

ردّ قائلاً: «الوداع، يا إيلويز، أنا لم أضرب امرأة أبداً، لا تجعليني أكسر هذه القاعدة.»

قال الطبيب: «على الفتاة أن تبقى مستلقية، أن تتناول أقراصاً ضد الالتهاب وأخرى مهدئة وأن تظل تحت المراقبة حتى الصباح.»

صرخت إيلويز: «اللعنة عليكم جميعاً! جماعة من الخاسرين، جميعكم. لم يكن ذلك الزواج لينجح. ولكن كان هناك كل ذلك المال...»

كرر بروكتر: «الوداع، يا إيلويز.» ثم دعا أحد رجاله الذي جاء وجر إيلويز من يدها ليس بالطريقة التي يتعامل بها الرجال مع النساء عادة وهي ما تزال تصرخ ورافقها إلى خارج المنزل.

قالت لوسي: «أنا سأعتني بمود.» ثم أخذت بيد بمود وتوجهت الاثنتان إلى الردهة ثم إلى الخارج. أومأ جيم بروكتر إلى أحد الحراس ليرافقهما. كانت إيلويز ما تزال تصرخ.

رمى جيم بروكتر نفسه على أحد المقاعد ووضع يديه في جيبي بنطاله القصير وقال: «كم كنت مخطئاً!»

قال الطبيب: «كل شخص معرض لذلك الخطأ. الآن، هل لي ببعض التفاصيل كي أكتب تقريري؟»

قالت مود التي كانت ممددة على معدتها على السرير في غرفتها في منزل لوسي: «لم أعد أشعر بذلك الألم بعد تناولي تلك الأقراص.»

قالت لوسي: «حسن، تذكري الآن، لا تفركي عينك، وكي لا تفعلي وُضعت تلك الضمادة.»

«أنا سعيدة جداً أنك كنت هنا، يا لوسي، لقد كنت خائفة، أنا لم أر والدي بهذه الحالة في حياتي كلها. لقد كنت في غاية الشجاعة لكي تكلميه بهذه الطريقة!»

«إذا أقسمت بأنك لن تخبري أحداً بذلك، سوف أخبرك سراً، لقد كنت خائفة لدرجة أني لم أستطع الهرب، قدماي لم تستطيعا الحراك!» ثم حملت زجاجة الدواء التي أعطاها الطبيب لمود ثم قالت: «تناولي الدواء. هل أنت جائعة؟»

لم تسمع لوسي رداً على سؤالها، لقد كانت الفتاة الصغيرة نائمة فهمست لوسي بينما هي متوجهة نحو مقعد عريض موضوع قرب النافذة وجلست عليه: «شكراً لله كونك نمت.» لقد كانت لوسي شبه نائمة، إنها كانت ليلة طويلة، لقد استيقظت باكراً لتقابل البنّاء ثم تزايد الاجهاد أكثر وأكثر. لقد كانت على وشك الإغفاء عندما فتحت عينيها على صوت الباب حيث كان جيم بروكتر يتسلل بلطف ليدخل إلى الغرفة.

قالت لوسي: «إنها نائمة.»

ردّ جيم قائلاً: «أعلم ذلك، أريد التحدث إليك.»

«عليّ أن أعتذر لك، لقد ظننت... لا أعلم لماذا ظننت بأنك أنت من فعل ذلك.»

قال بينما كان يسحب كرسياً ملاصقاً لكرسي لوسي ليجلس عليه: «شكراً جزيلاً.»

«حسناً، بالطبع أنت لم تفعل ذلك.» لقد كان من الصعب رؤيته. لأن الستائر كانت منسدلة وضوء القمر كان خفيفاً وقد بدا جيم كظل معتم عندما كان جالساً على ذلك الكرسي. لقد كان الضوء كافياً فقط لرؤية ملامح وجهه الكئيبة.

قال جيم: «لقد حاولت حمايتها، حقاً حاولت.»

«أعلم ذلك.» ولا شعورياً انتقلت يدها إلى المقعد حيث يجلس جيم لتمسك يده.

قال جيم: «والدتها لم تكن والدة بالمعنى المطلوب. لقد ظننت بأني... تباً، لقد ظننت أنني أستطيع الاهتمام بها وحدي. ولكن انظري كم كنت مخطئاً. لقد كان ذلك القلق الذي انتابنا من جرّاء وضع المصرف المتقلب هو السبب، فعلاً لقد كان كذلك.»

«ما سبب هذا القلق؟» ما كادت تستطيع أن تحافظ على رباطة جأشها.

«الصيف الفائت، كان وضع المصرف يتغير من سيىء إلى أسوأ. ولما أصيب أخي بالانهيار العصبي، كان عليّ أن آتي إلى هنا وأحاول ضبط أحوال المصرف.»

«هل تعني بأنك لم تكن دائماً ال... مدير؟»

«ليس أنا.» واستطاعت أن ترى أسنانه التي ظهرت عندما ابتسم برغم أن الضوء كان خافتاً جداً. ثم تابع قائلاً: «إن هذا المصرف هو ملك للعائلة، وكان والدي يديره، ثم أخي الأكبر حل مكانه... وإذا جاز التعبير، فقد كنت أعيش حياة تجول

بالإضافة إلى إتمامي دورة في القوات البحرية، وأخرى في الطيران المدني... وأمور أخرى من هذا القبيل.»

«و... تسمي كل هذا أموراً عادية بسيطة؟»

«إنها كذلك.» ثم تنهد وعدّل من طريقة جلوسه وقال: «أعتقد أنه يمكنك أن تشملي زوجتي مع تلك الأمور أيضاً. عندما انتهت أيام الهناء... جنيت من المال في امتحانات الطيران التي أجريتها للناس أكثر مما أجنيه الآن بمرتين كوني مدير مصرف. حسناً، ما أن قرأت زوجتي بعض الأسطر المكتوبة على الحائط حتى لمّت أغراضها ورحلت. في منتصف فصل الشتاء، توجهت نحو الشمال، حيث الثلج أكثر مما هو هنا. عبرت الجسر الذي يقطع نهر بنوبسوت. تقرير العمدة قال إن نسبة الكحول في الدم عندها كانت مرتين أكثر من الحد الطبيعي.»

«ومود، هل أصيبت بمكروه؟»

«مود؟ لم تفكر زوجتي بها أبداً. لقد تركتها في منزلنا في نيوتن، وتوجهت إلى حيث كان أصحابها يقيمون حفلة كبيرة في أحد المنتجعات. يا لهم من أصحاب.»

«ولكن ماذا عن مود؟»

«آه، كالعادة، عدت إلى البيت متأخراً.» ثم انحنت لوسي نحوه، شاعرة بسخطه... على نفسه. ثم تابع قائلاً: «والدي العجوز العزيز، دخل إلى المنزل حوالى الساعة العاشرة ليلاً، ليجد مود ودبّها الصغير منزويين في الخزانة، ومود ترتجف. لطالما كانت تخاف الظلمة! لن أدع ذلك يحصل ثانية، يا لوسي بوردن. مهما كان الثمن لن أدع ذلك يحصل ثانية! لم أتخيل أبداً أن إيلويز سوف... تباً، لطالما عاملتني أنا ومود برقة وظُرف والآن انظري. أنا لا أستطيع أن أحكم على النساء كما يجب، يا لوسي.»

«لا تفكر بذلك.» ثم نظرت لوسي لتفاجأ بأن يدها لا تزال موضوعة فوق يده. ثم تابعت: «لم تكن أنت المسؤول الوحيد.»

«عليّ أن أفكر بذلك. لا أستطيع إلا أن أفكر بأن خطتي كانت حسنة، لو لم أخطىء في اختياري المرأة المناسبة. وعند نهاية الشهر يجب أن أذهب إلى واشنطن. يبدو وكأن كل النظام المصرفي سينهار. كل تلك المتاعب هي بسبب تلك القروض التي نقدمها لذوي الأملاك.»

نفض نفسه كما ينفض الكلب الكبير نفسه عندما يريد أن ينفض عنه مياه الشتاء.

قال: «حسناً، ما رأيك؟»

نفضت لوسي نفسها كذلك وبدأت تعيد في ذهنها ما سمعته، قروض كثيرة لأصحاب العقارات؟ قروض لكثير من العقارات غير الصالحة؟ ما رأيي؟ ربما هناك شيء قاله وهي لم تنتبه له، كل شيء معقول. ثم قالت: «أنا... لا أذكر، هل لك أن... ما رأيي في ماذا؟»

انحنى ظله في اتجاهها، فتقلصت في المقعد متمسكة بذراعيه ثم قال: «حسناً، لقد أخبرتك. علي أن أعتني بمود، ولكننا نواجه أزمة مصرفية حقيقية وعليّ أن أحضر الاجتماع في وزارة المالية في واشنطن. ظننت أن ذلك سينجح. أتزوج إيلويز. ومن ثم تهتم هي بمود... و، من يعلم، ولربما نشأت عائلة؟»

سحبت لوسي يدها ليمسك بها ثانية بأصابعه الكبيرة.

قال: «لكن لا، كان يمكن لذلك أن يحصل لو كانت إيلويز بلطفك. بدلاً من أن أتزوج من مجنونة... أتزوج مجنونة أخرى. إذاً هذا هو الموضوع.»

«هذا هو الموضوع؟»

«نعم.» إنها نعم النهائية، وكأنه قد توصل إلى قرارٍ هام.

«أنا...»

«لا شك في ذلك.» نهض ثم سحبها خلفه وقال: «لا شك في ذلك، يا لوكسترا بوردن. الكنيسة جاهزة، لقد طلبت تحضير الزهور، المدعوون تسلموا الدعوات. كل شيء جاهز. بعد أسبوع من يوم الثلاثاء في الساعة الحادية عشرة صباحاً في الكنيسة العامة. هل تعرفين أين هي؟»

همست: «أستطيع أن أستدلّ إلى مكانها.» ثم ضغطت أصابعه على يدها اليمنى وأضافت: «لقد كنت عضواً في الأبرشية لمدة ستة عشر عاماً.»

قال: «حسن.» ثم سحبها معه نحو الباب.

كررت عندما وصلا إلى الردهة: «حسن ماذا؟»

«لماذا، لقد شرحت كل شيء.»

تنهدت ثم قالت: «ليس تماماً.» ترك أصابعها ونقل يديه الاثنتين إلى كتفيها ثم أضافت: «لقد نسيت أمراً، ما شأني أنا في هذا كله؟»

حملق بها مذهولاً ثم قال: «لماذا، أنت مسؤولة عن كل تلك الفوضى. إذاً، بعد أسبوع ابتداءً من الثلاثاء ستتزوجينني وتهتمين بمود. من الأفضل لي أن أذهب، فلدي الكثير من الأعمال لأقوم بها.»

قالت لوسي في نفسها، بينما كانت تطوي يديها على صدرها وتراه يعبر الردهة إلى خارج المنزل، أجل، أراهن على أنه عليك ذلك، سأتزوج منك بعد أسبوع من يوم الثلاثاء؟ سيكون ذلك اذا حل صباحاً بارداً في فصل الصيف، يا بروكتر.

الفصل الخامس

توقفت لوسي عند سماعها البناء يحييها بعد أن لحق بها عندما اقتربت من مدخل المنزل وقال: «مرحباً، يا سيدتي الصغيرة.»

ردت لوسي: «مرحباً بك، هل يسير كل شيء على ما يرام؟»

«ليس تماماً، يا سيدتي. يبدو أن هناك أمراً آخر يستلزم...»

«لا تقل لي. مزيداً من المال؟»

«أجل، يوجد نمل أبيض تحت المدخل الخلفي. فإن أردت لاحقاً أن تبني مخرجاً للكرسي المتحرك الخاص بالسيدة العجوز، ستنهار الدعائم كلها. سيستلزم ذلك... آ... حوالى أربعة آلاف دولار؟»

«المبلغ الذي ليس في حوزتنا؟»

فأجاب بحزن: «المبلغ الذي ليس في حوزتنا.»

«يبدو أن المال يهدر بسرعة أليس هناك أي طريقة أخرى لاصلاحه؟»

«لا.»

وقفت لوسي على الرمل، يداها على ردفيها، تعض شفتها السفلى. ثم أخذت تفكر، قبل أسبوعين كان ليغمى عليها إذا ما فكرت بمبلغ كهذا، الآن... بالاضافة إلى أربعة آلاف دولار لا تملكها... كيف يمكن لذلك أن يكون؟ لا يبدو الأمر كارثياً. سيئاً، لكن ليس مستحيلاً. لكن ربما لم يكن عليها أن تشتري المايوه الجديد، فقد دفعت خمسة وخمسين دولاراً ثمن ثوب تسبح فيه؟ ولكنه جميل ورفع معنوياتها بدرجة كبيرة.

نظرت إلى حيث يقع منزله. سأتزوج منه؟ هل يظن أني حمقاء لأفعل ذلك؟ إذاً، سأقترض مزيداً من المال من مصرفه. ربما بهذه الطريقة يكتشف أن للزوجات أثماناً باهظة جداً! لقد سرت كثيراً بهذه الفكرة إلى حد أنها دخلت إلى المنزل واتصلت بمدير المصرف المفضل لديها.

التقت لوسي بأنجي في المطبخ بينما كانت تحتسي فنجاناً من الشاي، وسألتها أنجي: «مزيداً من المال؟»

أجابت لوسي متنهدة: «مزيداً من المال. لا يبدو لي أن لديهم مشكلة في المصرف، على الأقل هذا ما علمته من موظف القروض الذي أحضر لي الأوراق. وقد حدث أنه سألني عنك ولما علم أن حالتك سيئة، بدا مهتماً أكثر.»

«ما ألطفه، وكم هو مستغرب أن يكون كذلك. أنا لا أعرفه البتة. هل يمكن أن يكون هناك أناسٌ لطفاء في هذا الجيل الجديد؟»

«إنهم غير موجودين بالنسبة لي.» ثم غيرت الموضوع وقالت: «لو كنت اتجرأ على ذلك لاقترضت كل المال الموجود في مصرفه ثم أضحك عليه عندما يأتي لاسترداد ماله.»

«من هو؟»

«أنت تعرفين. جيم بروكتر، جيمبو.» ثم وضعت مرفقيها على الطاولة وأخذت تفكر، وأخذت عينا أنجي الزرقاوان الذابلتان تقييمان لوسي من رأسها حتى أخمص قدميها.

قالت: «أنت تفكرين كثيراً بالسيد بروكتر، أليس كذلك، يا فتاة؟ ما الأمر، هل يذكرك كثيراً بمارك؟»

«يا إلهي، لا.» وضعت يدها لا شعورياً على خدها الذي أصبح احمر كلهيب النار. ثم قالت: «إنه مختلف تماماً عن مارك. يختلف

تماماً. كان مارك أطول وأنحف... مهذباً أكثر. لقد كان رجلاً محترماً بكل معنى الكلمة.»

«وجيمبو؟»

«طويل وعريض المنكبين... فظٌ أحياناً.» ثم قالت في نفسها: وأكثر قوة. مارك يمكنك أن تداهنه. جيم لا يروضه لا الحب ولا المال!

«آه، جيم الأسد، ولا تمانعين في استفزازه أو إغاظته؟ نحن لا نريد مزيداً من المتاعب، أليس كذلك؟»

«بالطبع لا. ولكني لا أدري ماذا أفعل. ما يزال مصراً على الزواج مني. ماذا يمكنك أن تفعلي مع رجل كهذا؟ لقد أخبرته ثلاث مرات أن ذلك لا يمكن أن يحدث، ولكنه كان يضحك فقط ولا يعلق على الموضوع. حسناً، سأريه. نادي السباحة خاصتي سيبدأ اليوم. أربع عشرة فتاة... ومود، طبعاً.»

«هل هو على علم بذلك؟»

«يعلم عمَّ؟ عن نادي السباحة؟ لا، أنا لا أعتقد ذلك، علماً أن هذا ليس من شأنه، أليس كذلك؟»

«عملياً، نعم. فأنت تبنين هذا النادي بماله، وحتى ولو كان لا يعلم ذلك.»

قالت باصرار: «المال المقترض ليس له صاحب. إنه مقترض، قانونياً! هل تظنين أن هذا المايوه هو ربما...؟»

«لا، أبداً. لو كنت فقط أصغر سناً بأربعين عاماً، لارتديته أنا نفسي. آه... ها قد وصلوا.»

«ها قد وصلوا.» تنهدت لوسي. وشربت الشاي بسرعة ثم مشت نحو المدخل الأمامي لتحيي اوائل المنضمين إلى ناديها، قدمت نفسها إليهم، وتلت عليهم القوانين. لم يتحرك

أيّ من الآباء لتفقد المكان. في الواقع، هناك فتاتان أوصلهما السائقان الخصوصيان. فأهلهما قد وجدوا مكاناً لارسال ابنتيهما كي يصبحا طليقين. وإذا جاز التعبير، بعيد عن العين بعيد عن العقل. عند الساعة التاسعة والنصف، كانت كل الفتيات تسبحن في البحر بعد أن وزعتهن لوسي إلى فرق صغيرة حسب مهارتهن. ومن ثم إلى العمل.

انتهت فترة الصباح بسرعة. عند الساعة الحادية عشرة معظم الفتيات كن ممدات على الشاطىء منهكات. لم يكن تركيب غرفة الحمام الجديدة قد أنجز. فقررت لوسي ارسالهن إلى المنزل كما هن. عندما دخلن إلى منزلها، ضج المنزل بأصواتهن. في الحقيقة كل الجوار ضج بهن. ولكن أصواتهن كانت موسيقى عذبة بالنسبة إلى لوسي. وبعد أن ودعت الفتاة الأخيرة، كان ذهنها يحسب كم ستجني من ذلك.

قالت لأنجي: «خمسة عشر دولاراً اسبوعياً عن كل فتاة.»

قالت أنجي التي كانت أسرع في الحساب من امرأة متوسطة العمر: «مئتان وعشرة دولارات اسبوعياً عن جميع الفتيات.»

«واو! أعتقد أني سأذهب وأنفق بعضها!»

«عليك أن تنتظري حتى تعرفي كم ستصبح قيمة قرضك عند استعادة المصرف له.»

«رد المبلغ إلى المصرف، لم أتذكر الموضوع أبداً. لقد حان الموعد سريعاً؟»

«هكذا تسير الأمور، يا حبيبتي.»

صعدت لوسي إلى الطابق العلوي لتستحم وتبدل ثيابها. كانت مود تستحم.

قرعت لوسي الباب وقالت لها: «وفري لي بعض الماء الساخن.»

توقف صوت الماء ثم مدت مود رأسها من وراء الباب وقالت: «ليس هناك ماء ساخن. السيد هندرسون قال إنه...»

«من الأفضل أن أذهب وأكلمه بنفسي.» عادت مود إلى حوض الاستحمام ولوسي نزلت إلى الطابق السفلي ثانية. كانت أنجي وضعت للتو سماعة الهاتف في مكانها وبدت على وجهها نظرة اضطراب.

«ما الأمر؟»

«لا شيء مهماً. لقد وصل الشيك الذي يحمل تقاعدي السنوي ووضعت بعضاً منه جانباً.»

«راهنت بالبعض الآخر؟»

«أدخلي لسانك إلى فمك، يا فتاة. لقد بدأوا الجولة الثالثة وحصاني لم يصل بعد!»

مع قليل من الاخبار السارة، خرجت لوسي إلى الحديقة الخلفية للمنزل حيث كان كل شيء هادئاً. كان السيد هندرسون يجلس، وبيده بقايا شطيرة. كان على وشك القيام عندما رأى لوسي ولكنها لوحت له بيدها ثم، اقتربت وجلست بقربه.

قال هندرسون: «لقد تمتعت الفتيات بوقتهن، لقد جعلتني أتمنى لو أني لم أكن أنا نفسي كبيراً في السن.»

«إلبس ثوب السباحة خاصتك وانزل إلى الماء.»

«أنا لا أملك ثوب سباحة، لم أتعلم.»

«ليس عندك ثوب سباحة؟ وأنت تعيش قرب البحر؟»

«لا. أجل. هذا يحصل كثيراً في هذه الأنحاء.»

تلت هذا الحديث فترة صمت حيث لم يكن يسمع سوى صوت طيور النورس تغطس في الماء ويداعب بعضها بعضاً، وفيما الأمواج تداعب الشاطىء، وتلقي الشمس بأشعتها على رؤوسها،

وتظهر على صفحة الماء السمكة الصغيرة التي تحاول الهرب من أن تكون غذاء للسمكة الأكبر حجماً فيها. وكذلك كانت الشمس دافئة، ورائحة البحر كانت تنظف الجو من الروائح التي يسببها عبث الإنسان. أخذت لوسي نفساً عميقاً وتمتعت بتلك الرائحة.

قالت لوسي: «الماء الساخن.»

«لقد نزعت الخزان القديم، وسأركّب الخزان الجديد في غضون يومين أو ثلاثة، إنه أكبر حجماً من القديم. أما الآن أعذريني، يا سيدتي الصغيرة، عليّ أن أعود إلى العمل.»

«أنا كذلك.» قالت وبدأت بالبحث عن الرفوش لتنظيف الشاطىء، فصف السباحة في اليوم الأول ترك الكثير من القمامة.

قرابة الثانية بعد الظهر، خرجت مود إلى الشاطىء واعتذرت للوسي قائلة: «لن تصدقي ذلك، ولكني غرقت في النوم. أنا لا أنكر متى كنت تعبة إلى هذا الحد.»

قالت لوسي محاولة الابتسام وهي تعطي الطفلة رفشاً: «هذا لايهم ولكن لا تدعي ذلك يحصل ثانية.» قالت لوسي بنبرة جافة وكأنها تصحح للطفلة جريمة فظيعة اقترفتها. ابتسمت مود لها وتابعتا التنظيف.

عند الساعة الرابعة ظهر جيم بروكتر مرتدياً بنطالاً قصيراً قديماً وفانيلا قديمة مطبوعاً عليها «فريق هارفرد للتجذيف دوويتغ.» لقد بدا ذلك البنطال وتلك الفانيلا وكأنهما قد غرقا مع سفينة التيتانيك ثم انتشلا من قاع البحر.

سأل: «عمل شاق؟»

أجابت لوسي بعد أن انتصبت وهي تئن: «آه، لا. في المجتمع الحديث يقوم الرجال بكل الأعمال الشاقة.»

قالت مود بتعجب: «أنت لا تصدقين ذلك!»

أجابت لوسي: «لا، ولكن والدك يصدق.»

احتج قائلاً: «الآن، انتظري لحظة. لا أريدك أن تنسبي لي هذا الكلام يا سيدة. بالمناسبة، إن هذا الثوب يناسبك جداً، البيكيني لا يناسبك، هذا رأيي.»

«فعلاً، البيكيني لا يناسبني، فأنا لا أؤمن في المبالغة في التعري.»

«لماذا كل هذا الاصرار على تنظيف الشاطىء؟»

«لأننا افتتحنا اليوم نادياً للسباحة.»

«نادياً لتعليم السباحة؟»

قالت لوسي موافقة: «نعم. لقد جمعنا عدداً من الطالبات، ونعطي دروساً. أنا بحاجة إلى المال.»

«حسناً، الآن.» قال بروكتر، ثم حمل مود وأخذ يداعبها، تأثرت لوسي كثيراً لهذا المشهد فقد قامت به قبل أن يحضر جيم بحوالى ساعتين. وأخذ الاثنان يلهوان بينما لوسي تشاهد ذلك. أخيراً، وضع جيم مود على الرمل. ثم قال: «لا يمكن أن تقومي بانفاق المال من أجل هذا... لا، لا يمكن أن تكوني حمقاء إلى هذه الدرجة.»

أحست لوسي برجفة تسري في ظهرها. هل ظهر عليّ شيءٌ مما أخفيه؟ كيف له أن يعلم مدى حماقتي؟ ثم هزت رأسها ولكن معصميها كانا ما يزالان متشنجين.

قالت: «لماذا، هل هناك خطب في أن أنفق المال من أجل خدمات عامة؟» ولكنه كان صعباً عليها أن تتكلم بنبرة صوتها العادية.

«ليس عامة. ولكن هذه المنطقة هي سكنية فقط، وغير

مسموح لأحد أن يدير أعمالاً تجارية هنا... يعني، من دون ترخيص من مجلس البلدة.»

تدخلت مود قائلة: «حسناً، إن هذه حماقة. إذ أنه لا يمكنك إدارة نادلتعليم السباحة من دون أن تمتلك شاطئاً، على النادي أن يكون قرب الماء. ما خطبك، يا لوسي؟ تبدين... شاحبة للغاية؟»

«فجأة لم أعد أشعر أني على ما يرام.» استدارت لوسي وهرعت إلى المنزل. وقف جيم ومود يراقبانها وهما يهزان برأسيهما.

قالت مود: «إنها تعمل بجهد كبير.»

رد جيم: «أجل، أستطيع رؤية ذلك.» ثم أمسك بيد الطفلة وتوجها إلى منزلهما.

في تلك الأثناء، نجحت لوسي في تجنب الارتطام بكرسي أنجي وهي في طريقها إلى غرفة الحمام ولم تخرج إلا بعد خمس عشرة دقيقة.

سألت أنجي: «هل هذا سببه شيءٌ أكلته؟»

أجابت لوسي: «لا بل شيء سمعته. لقد قال... آه، يا إلهي، لا أريد أن أتذكر ما قال. ما رأيك في الدجاج على العشاء؟»

لقد كان العشاء فظيعاً، ليس لأن الدجاجة لم تطبخ جيداً، أو لأن طعمها كان سيئاً. لقد كان فظيعاً لأن معدة لوسي كانت مضطربة بسبب كثرة انشغال بالها. ولكن عندما لا تنتاب أنجي مور إحدى نوباتها المرضية تكون رفيقاً مرحاً. وقد شعرت لوسي بحاجتها لأن تكون كذلك. بعد انتهاء كل ذلك، أصبحت أنجي كتلة من الأوجاع والآلام بينما لوسي تعاني فقط من معدة مضطربة. لقد كان الوقت، من تحضير العشاء إلى أن حان وقت النوم، مليئاً بالأحداث والحركة. وبعد أن أنهت كل شيء، بدلت

ثيابها ونزلت لتمشي قرب الشاطيء وتفكر في حل لمشكلاتها.

لقد كانت ليلة هادئة، والقمر ظهر بدراً من الشرق. طيور النورس تقوقعت في أماكنها حيث تنام، هدأت أمواج الشاطيء، وخدّرها صوتها وهي تضرب الشاطيء ورجعت لوسي إلى الصخور الفاصلة بين منزلها ومنزل ذلك الرجل، اتكأت على الحائط، مفكرة في لا شيء.

لم يكن عندها أي فكرة كم من الوقت قد مضى؛ كانت قد بدأت تشعر ببرد الليل، ولكنها تكاسلت عن الدخول إلى المنزل واحضار سترة. وفي تلك اللحظة بالذات أحست بأحدٍ آتٍ من خلفها بصمت، بحركة خفيفة ساعد صوت الموج على خفت صوتها، هي أحست فقط.

ماتابويست بلدة صغيرة ولكنها تمتلك كل مشكلات أي بلدة أميركية. وقت الليل على الشاطيء لم يكن في الحقيقة يناسب وجود فتاة وحدها. ليس لأنها شعرت بخوف، ولكن لأنها استطاعت تمييز كل الحركات التي يقوم بها القادم خلفها. عطر ما بعد الحلاقة، الأمر الذي لا يوصف ويدعى الرجولية. فجأة شعرت بشيء يلف كتفيها. فاستدارت ببطء ونظرت لتجد سترة رجالية، مجهولة اللون إذ أن نور القمر أضاءها باللون الفضي ثم شعرت بذراع حولها. إنها تشعر بالدفء، الحماية، الراحة. رعشة صغيرة لذيذة تحركت في عمودها الفقري صعوداً ونزولاً، ثم ضغطت اليد عليها.

«لوكسترا؟»

ردت: «حسناً، أنت تعرف أنها هي. فلا يوجد أي فتاة حتى بعد ميل من هنا يا جيم؟»

«حسناً، طبعاً، من غيري يمكن أن يضمك وأنت على الشاطيء

في هذه الساعة من الليل؟» قامت بحركة صغيرة فضغطت يده عليها ثانية ثم قال: «لا، لم يحن الوقت لكي تذهبي وتختبئي. استرخي.»

كان ذلك أمراً، ولكن لوسي لم تكن من ذلك النوع من النساء الذي يستجيب للأوامر بسهولة. ولكن هذه الليلة كانت ليلة خارج الزمن، أمراً لم تستطع مقاومته. لذا استرخت.

مرت فترة طويلة من الصمت، مرت خلالها أضواء قارب يعبر الخليج، ثم اختفت. وأضواء ليل المدينة القليلة عكست توهجاً عن يمينها. كان ينظر إلى النجوم، ثم تبعته هي في ذلك، ولكنها عدلت جلستها، فرأسها أصبح على كتفه ثم سمعت صوته الخفيض يقول: «جميلة.»

استرخت لوسي أكثر وإذا بجنبه وكتفه يسندانها تماماً، ثم قالت: «أجل، إنها دائماً كذلك.» ثم ضغطت يده ثانية حول كتفيها.

قال: «أنا عنيتك أنت، يا سيدة لوكسترا، وليس النجوم.»

لقد كانت تلك مجاملة مفاجئة ولكنها تركتها غير مرتاحة. حاولت أن تتحرك ولكنها لم تستطع التخلص من يده.

«ألم يقل لك أحد أبداً أنك جميلة؟»

«لم يقل أحد ذلك منذ وفاة جدتي.»

تبع ذلك لحظة صمت ثم قال: «هل وقعت في الحب؟»

«ليس مؤخراً، لقد اغرمت بهاري تيلمان، ولكن ذلك لم يدم.»

«هاري تيلمان؟ هل يسكن في هذه الأنحاء؟»

«آه، بحق اللّه. لقد كنا في السنة السادسة الابتدائية معاً. أنا لم أره منذ... أنا لا أذكر. سنين وسنين خلت.»

«آه، حسناً، هذا يجعل الأمر على ما يرام.»

رفع ذقنها وقبل جبهتها وقال: «أنا لا أحتمل المنافسة.»

«المنافسة؟ أنا لا أفهم.» ثم قالت في نفسها، ولكني لن أخبره عن مارك!

«حسن، سنستمر في ذلك.» ثم رفع يده عن كتفها وداعب شعرها وهبت نسمة من الشاطىء. كانت لوسي، عادة، تلم شعرها عندما يحدث ذلك؛ ولكنها في هذه اللحظة تركت الهواء... وهو... يفعلان ما يريدان.

«وأنت، هل وقعت في الحب؟»

أخذ فترة من الوقت ليجب، فقالت لوسي في نفسها بسخط، سؤال أحمق، عندما بدأت الأمور تسير على خير ما يرام، فتحت فمك الكبير وتفوهت بما يجب ألا تتفوهي به. لقد كان متزوجاً وعنده طفلة. حمقاء! ماذا يمكن أن يجيب؟ قال بصوت يكاد لا يكون مسموعاً: «اعتقدت أني أحببت ولكني الآن أقول بأني لم أفعل. لقد كانت غلطة فظيعة لكلينا. أرادت... نمط حياة مختلفاً عن الذي أردته أنا. أشعر بذنب كبير عندما أقول ذلك الآن، ولكن عندما انتهى ذلك كنت... مرتاحاً.»

نفضت لوسي نفسها ووقفت ثم قالت: «أنا آسفة لأني تدخلت في ما لا يعنيني، ولكن الوقت متأخر وستأتي الفتيات باكراً، و...»

مهما كانت تنوي قوله اختفى من ذهنها تماماً. لقد أدار وجهها ليواجه وجهه... ما يزال لطيفاً، مقنعاً. ماذا أفعل الآن؟ سألت لوسي نفسها. أأقف هنا وألبي أو...؟ وفي تلك اللحظة، لم يعد القرار قرارها. فقد لفّ ذراعيه حولها، وعانقها.

تائهة في الأرض الأبدية حيث يصبح الشخصان شخصاً واحداً، حيث يصبح ذلك الاندفاع حتماً لأن العواطف والأحاسيس هي وحدها الحاكمة، أما الجسد فإنه محكوم بالانفعالات. تائهة

في مكان تستجيب فيه أعصابها بأشكال مختلفة، وحيث السماء كانت مضيئة...!

ابتعد عنها، كانت تستطيع أن تسمع لهاثه ثم قال: «بحق السماوات ما كان هذا؟» أبعدت لوسي نظرها عنه، ثم اكتشفت أن السماء كانت فعلاً مضاءة، لأنه كان هناك في الميناء من أطلق النور الكشاف.

قالت: «كشاف، إن خفر السواحل يقومون بتدريب ليلي.»

«أود لو أقتلهم جميعاً.» تمتم قائلاً.

قالت لوسي في نفسها: وأنا كذلك. أين كنا؟ ماذا حصل؟ لم يخبرني أحد قط أن معانقة الرجال مضرة بصحتي.

قال جيم: «أنت ترتجفين.»

«أجل... أنا... إن الطقس أصبح أكثر برودة. أعتقد أن عليّ الدخول إلى المنزل. هناك أمور يجب أن أحضر لها لنهار غد.» ثم تابعت في نفسها، وأحلام لأتفحصها و... لقد أفقدني صوابي! أنا أعتقد أن ذلك كان فقط رغبة... أو مهما كانوا يطلقون عليها هذه الأيام. ولكن مهما كانت، عليّ أن أفكر ثانية قبل أن أتكلم مع هذا الرجل مجدداً.

قالت: «عمت مساء.» ثم سحبت نفسها من بين ذراعيه وهرعت إلى الباب الخلفي لمنزلها.

نادى بلطف بصوت خفيض كي لا يزعج الجيران: «لوسي.» ولكنها لم ترد عليه ودخلت إلى المنزل وهرعت إلى الطابق العلوي. وأمضت ما تبقى من الليل تتقلب على سريرها الذي تحوّل فجأة إلى سرير غير بريء.

تمشى جيم بروكتر على الشاطىء جيئةً وذهاباً عدة مرات آملاً أن تظهر ثانية، ولكن بعد أن أدرك بأن ذلك لن يحصل، تمتم

بكلمات غير مفهومة، رمى بعدد من الحصى في الماء، ثم أوى إلى فراشه وحيث هو أيضاً أحس بصعوبة النوم.

في اليوم الخامس من افتتاح النادي، كانت الشمس قد بدأت بالمغيب بينما كانت الفتيات يقمن بسباق قرب الشاطىء حين وصلت سيارة الشرطة.

صرخت السيدة مور: «لوسي.» لقد كان المدخل الخلفي قد عدل بطريقة تمكن أنجي من الخروج بكرسيها المتحرك إلى الخارج. ثم صرخت ثانية: «لوسي! هنالك شرطي يريد أن... إنه هو.»

رجل طويل بزي الشرطة، يتتبع الصوت. مر من خلف زاوية المنزل ثم توجه نحو الشاطىء. أعطت لوسي بعض التعليمات لطالباتها الأكبر سناً اللواتي نفذن ما قالته كونهن المرشدات ثم تركن الشاطىء.

قالت لوسي: «أردت رؤيتي، أيها الضابط؟»

«حسناً... آ... نعم.» لقد كان طويلاً، شعره أسود، أصغر سناً من لوسي نفسها. ثم استأنف: «إن كنت أنت مالكة هذا العقار، أنا أريد رؤيتك.»

«أنا كذلك، في الوقت الحالي.»

«في الوقت الحالي؟»

«نعم. المصرف يملك جزءاً من هذا العقار وإن تم الحجز، لماذا... حسناً، هذا لا يهم. في الوقت الحالي أنا مالكة هذا العقار.»

«وأنت تديرين نادٍ خاص؟» لقد كان بحوزته دفتر يدون فيه كل الأسئلة وكل إجابة عنها.»

«نعم للاثنين.»

«سيدتي؟»

«أعني نعم. إنه نادٍ خاص وأجل، أنا أديره، لكن لا، لا يمكنك الدخول إلى هذا النادي لأنه خاص بالفتيات فقط. وأنت تعلم ذلك.»

«فهمت.» لقد كان واضحاً أنه لم يكن من مكان في دفتر، لمثل هذا الجواب لكنه نظر فقط للتأكد من ذلك. ثم استأنف قائلاً: «لا، أنا لم أرد أن أدخل إلى المدرسة. هل أنت...؟» ظهر لسانه عند زاوية فمه بينما كان يتحقق من القائمة التي بحوزته ثم سأل: «هل هذا ناد استثماري؟»

«من الصعب التكهن.» وهزت رأسها بأسى ثم استأنفت قائلة: «لقد كان الهدف من انشائه أن يكون كذلك، لكن يبدو أنه ليس كذلك حتى الآن، وأشك في أن يكون كذلك حتى نهاية الفصل.» ثم نظرت بسرعة لشخص ما يقف معها ولكن للمرة الأولى لم يكن البناء في الجوار. فتنهدت باشمئزاز استدارت ثانية إلى الشرطي. وقالت في نفسها: هذه صفة مهمة لأي رجل، لا يكون موجوداً عندما تحتاجين إليه.

عاد الشرطي ونظر إلى دفتره، ونظرة اشمئزاز تبدو على وجهه، ابتلع ريقه، وضع قائمته خلف ظهره ثم قال: «هل تتقاضين أجراً لقاء قدوم الفتيات إلى هنا للسباحة؟»

«نعم، بالطبع، برغم أنه غير كاف. ثم شردت للحظة إذ أن مود خرجت من الماء لتستمع إلى ما يدور ثم بدأت بمناداة أحد من منزلها.

«هل لديك ترخيص لتديري عملاً كهذا هنا، يا سيدتي؟»

«ترخيص؟ أتمنى ألا تنادوني سيدتي. فأنا لست كبيرة في

السن إلى هذا الحد، لوسي هو اسمي. لوسي بوردون.»

«أعرف اسمك يا سيدتي.» لقد كان الشرطي الفتي مأخوذاً بها. ربما بسبب ثوب السباحة خاصتها، فلونه كان يناسب لون بشرتها البرونزية وكان يؤثر جداً في الرجال الذين هم في سنه. ثم استأنف قائلاً: «أنا أعرف اسمك. لقد كنتِ في المدرسة نفسها مع أخي.»

«آه، من كان...؟»

«اسمعي، أيتها السيدة، لم آت إلى هنا كي نتحدث. هل لديك رخصة من مجلس البلدة لكي تديري نادياً في منطقة سكينة؟ لدينا شكوى ضدك.»

حملقت لوسي بالشرطي. لقد كان ذلك ضد القانون وهي تعرف ذلك. لقد كانت عيناه بنيتي اللون ومع كل رفة لجفنيه كانت ترى دولاراً يختفي. وفيما هو يحملق بها وهي تحملق به وفمها مفتوح، تلاشت مائتا دولار وذهبت هباء. فتمتمت: «النجدة.»

ولكن لم يكن هناك من ملاك حارس في الجوار يساعدها. ثم قالت بصوت لا يكاد يسمعه: «إذاً، ماذا يعني ذلك؟»

«لماذا، إني اسلمك هذا الانذار. لقد خالفتِ قانون البلدة، وعليك أن توقفي هذا المشروع. إن أردت الاستئناف، عليك أن تقدمي التماساً للجنة وتطلبي منهم منحك ترخيصاً.»

«أنت...الا تعتقد بأني أستطيع إدارة النادي حتى تجتمع اللجنة؟ أنا أعرف أن ذلك يستغرق بعض الوقت لكي... لا، هه؟» لقد كان الضابط يهز رأسه. مبتسماً، مرحاً، ولكنه يعطيها الإجابة السلبية لسؤالها. فحملقت به ثم قالت: «أنا أراهن بأنك لو كنت أخاك لاستطعت تدبير ذلك الأمر لي.»

«لو كنت أخي؟»

«أنت تذكر، الذي كان معي في المدرسة نفسها.»

«حسناً، لربما هو فعل ذلك. ولكن لسوء الحظ، هو الآن في المملكة العربية السعودية يعمل في حفر آبار البترول.»

«أنا لم أستطع أن أنهي برنامج الصباح، لقد تبقى ساعة واحدة...» ثم قالت في نفسها، عليّ أن أعود إلى رشدي. لكن الرجل الفتي ابتسم ثانية وقال: «لا تظني أن ذلك فيه خطأ» ثم تحقق أخيراً في قائمته وقال: «سأمر من هنا ثانية عند الساعة الثانية، ومن الأفضل لك أن تكوني قد أنهيت كل ذلك.»

قالت بنبرة حزينة: «أجل، أجل، طبعاً.» كان هناك كلمات أخرى كثيرة أرادت أن تقولها له، كلمات بذيئة، لكن ليس في هذا المكان. وعلى الفتاة أن تكون مهذبة مع الشرطيين الفتيين في كل الأحوال. ثم أضافت: «شكراً لك.»

هز رأسه محيياً إياها وابتسم، ربما كان ليقول شيئاً لكن شيئاً ما كان يحدث خلفها، فحرّك قبعته ووقف مراقباً لذلك.

سمعت لوسي صوتاً آتياً من خلف كتفها اليسرى، صوتاً مليئاً بالسخرية يقول: «لدينا هنا بعض المشكلات، أليس كذلك؟» فالتفتت لوسي حولها ثم نظرت إليه وقالت في نفسها، جيم بروكتر، في هذه اللحظة الحرجة!

قالت باحتجاج: «لا. ليس أنت.»

ردّ جيم: «بلى، أنا.» جاء من خلفها. وقال: «قل لي الآن بماذا تتهم خطيبتي؟»

كانت لوسي قد بدأت بالاعتراض على ذلك ولكنه ضمها إلى جنبه ضاغطاً على خصرها ليوصل لها رسالة قرأتها هي: «اصمتي، يا سيدتي الصغيرة، بينما نحن الرجال نسوّي الأمور!» مما جعلها أكثر غضباً، ولكنها صمتت.

قال الضابط: «حسناً، الآن. لدينا شكوى بأنه الـ... خطيبتك تدير عملاً تجارياً في منطقة سكنية.»

سأل جيم: «من يمكن أن يتقدم بدعوى كهذه؟ تلك العجوز في الجانب الآخر من الشارع؟»

عجوز في الجانب الآخر من الشارع؟ التفتت لوسي حول منزلها فإذا بمنزل قديم في الجانب الآخر من الشارع، بعيد عن شارعهم إلى حد لا تكاد تنظره.

أكّد الضابط كلام جيم قائلاً: «السيدة تشيس لم تحتمل الضجة، الفتيات يتجولن نصف عاريات... انزلقت من على السلم عبر الشباك عندما صعدت عليه لترى ماذا يحصل على الشاطيء ولوت كاحلها وقالت إنها ستجعلكم تدفعون العطل والضرر.» تبادل الرجلان الابتسامات فقالت لوسي إن تلك الابتسامات هي ككلمة سرٍّ بين ذكور الحيوانات ثم عضت على لسانها كي لا تتفوه بأي شيء من هذا القبيل.

«لكن بالطبع، يا سيد بروكتر، نحن أمام مشكلة قانونية. لقد تفحصنا التراخيص الممنوحة بدقة. إذا أرادت... السيدة... أن تدير هذا النادي هنا، عليها أن تحصل على موافقة من سكان البلدة. وحتى يتم ذلك...»

قال جيم: «دعنا لا نكون متهورين. عليك أن تدرك أن ذلك ليس عملاً تجارياً بحتاً. إنه كعمل رياضي تجمع معه لوسي أكثر من اثنتي عشرة فتاة يمنع وجودهن هنا الوقوع في مشكلات أخرى. أنا متأكد من أنك تعرف واحدة أو إثنتين منهن؟»

«أجل، في الحقيقة أعرف ثلاثاً: آباؤهن أغنياء، وهن فتيات مدللات. أجل، أنا لم أفكر في ذلك. إلا أنه...»

قال جيم مقاطعاً: «إذن، الحقيقة أنها لا تدير مشروعاً تجارياً صح؟»

هز الشرطي رأسه موافقاً.

«إذاً، ليس هناك حاجة لأن توقف المشروع بسرعة... لأنها ستتقدم بطلب ترخيص فوراً على كل حال. فأنت لا تريد أن تنزل تلك الفتيات إلى الشارع ثانية...» أشار إلى الفتيات اللواتي يحطن بهم.

أجاب الضابط: «لا، أنا لا أريدهن في الشارع. ولكن ذلك لن يستمر سوى لفترة وجيزة، أنت تفهم ذلك.» ثم وضع دفتره الصغير، في جيبه، ابتسم لبروكتر ابتسامة رضى ثم توجه نحو سيارة الجيب خاصته.

راقبت لوسي الشرطي ينعطف بسيارته من خلف المنزل ثم نظرت إلى جيم ثانية وسألته: «لكن ماذا يعني كل هذا؟»

«ذلك يعني أنك خرقت القانون منذ ستة أيام، وليس أنك فقط لا تملكين ترخيصاً لإدارة نادٍ خاص ولكنك أيضاً لم تدفعي الضرائب المتوجبة لمثل هذا المشروع. فاجئتني. قولي لي إنك دفعت.»

«أنا لم أدفع بعد.» ثم قالت بثقة أكبر وبصوت أعلى من السابق: «لم تتوقع مني أن أفاجئك، إذن لماذا أنت تفعل ذلك؟ ماذا سأفعل الآن؟ أنا أمتلك ترخيص. تعلم ذلك.»

«من لجنة البلدة؟»

«حسناً، ليس بالضبط. من الصليب الأحمر. هذا يجعل الأمر يبدو نوعاً ما قانونياً، أليس كذلك؟»

«أعتقد أنه عليك أن توقفي العمل لبعض الوقت أو أن تباشريه من دون مقابل.»

«من دون مقابل.»

«نعم. لا تتقاضي أجراً لفترة وجيزة، أعلم أن ذلك ممتع بالنسبة لمود، وسأقوم بجولة على الأهالي لتقديم المساعدة، وفي الوقت نفسه سأكلم محامي المصرف وسيقوم باللازم، أتوافقين؟»

«يا إلهي، يا لهم من حمقى. لا يبدو لي ذلك عملاً شريفاً!»

«لكنك لا تريدين أن تخسري ناديك، هل تريدين؟ لقد تكلمت إلى أنجي قبل بضع دقائق، فأخبرتني أنك بحاجة ماسة للمال.»

«حسناً، أيتها الفتيات، هذا نادٍ وليست مكاناً للثرثرة. لتعد جميعكن إلى الماء.» صفقت بيديها ورجعت الفتيات إلى الماء ترتسم على وجوههن ابتسامات عريضة. ثم أضافت: «أنت أيضاً يا آنسة بروكتر.»

أجابت مود: «لكن أنا أريد...»

قال جيم مقاطعاً لمود: «اذهبي بينما يُسمح لك.» فنظرت مود إليه، اخرجت لسانها في وجهه ثم ركضت. وقال جيم: «الآن، أنت حقاً تريدين المال لأنك...»

«لا أعتقد أن هذا من...»

«لوسي!»

«فعلاً، أنا لا أعتقد أن هذا من شأنك، وأنا لا أنوي الزواج منك، ولا أنوي أن...» أنتهت جملتها الأخيرة بصرخة عندما شدها إليه وعانقها بينما كانت هي تحاول أن تتملص من بين يديه.

قال: «الآن، اسمعي. أنا لا أمانع بأن تكوني مستقلة بذاتك بين الحين والآخر. ولكنك أحياناً، يا لوسي تجعلين صبري ينفذ. الآن لماذا تريدين المال في هذا الوقت بالذات؟»

كانت لوسي على وشك القول، لكي أرد القرض لمصرفك. لكنها لم تجرؤ على ذلك. وتساءلت، لماذا أروّض النمر؟ إذا

اكتشف أن مصرفه أقرضني كل المال الذي أحتاجه لتصليح منزلي، فلا شك انه سيجن! وأنا كذلك لا أحب الطريقة التي يعاملني بها ولكني سأصحح هذا لاحقاً! فقالت بحذر: «هناك فواتير عليّ تسديدها.»

«إذا كان هذا كل ما في الأمر، كان يمكنك قول ذلك. أعطني لائحة بتلك الديون وسأطلب من سكرتيرتي أن تسددها. لتكون جزء من المهر، إذا جاز التعبير.»

رفعت لوسي يديها وقالت بحدة: «أنت لا تصغي، أنا لن أتزوج منك، وأنت لا تستطيع شرائي، إذاً لن يكون هناك أي مهر، أو... آه، لقد أثرت غضبي!»

«أجل، هذا ما تمنيت فعله.» ثم ابتسم لها ابتسامته المعتادة وقال: «عاملي ابنتي الصغيرة بلطف.» ثم قالت لوسي في نفسها، إن ربت على رأسي، فإني سوف... وفي تلك اللحظة بالذات ربت جيم على رأسها. لسوء الحظ، رافق تلك الحركة مداعبة لأذنها ثم عانقها ثانية بقوة، فمحا ذلك كل ما كانت تنوي القيام به من ذهنها. ثم رجع إلى الوراء وتأمل ما فعل تاركاً إياها واقفة في الهواء الطلق، تتأرجح. وهي تشعر بالدوار.

قال: «أجل، هذا يكفي لليوم.»

«عمّ تتكلم؟» صرخت لوسي بينما كان هو متوجهاً إلى منزله.

«لا تنسي. بقي خمسة أيام للزفاف!»

لقد أرادت أن تلحق به، أن توقعه في الرمل، أن... ثم خطرت ببالها فكرة حمقاء. لم يكن أن تخطر لها، فتخلصت منها ولكن ليس بسهولة ثم توجهت إلى الشاطىء مرة أخرى. في نهاية الأمر، ما تزال هناك أربع عشرة فتاة في انتظار مدربتهن.

اللعنة على هذا الرجل!

بعد وقت، ليس بقصير، على انصراف الفتيات أخبرت لوسي أنجي بكل شيء وقالت: «وهكذا يجب أن أبدأ بتسديد القرض ابتداءً من الأسبوع القادم، إنه قرض كبير والدفعات ستكون شهرية، و...»

قالت أنجي: «أعرف أن الموضوع معقد جداً ولكن لا بد من وجود حل بسيط، على الأقل للدفعة الأولى.»

«بسيط؟»

ذهبت أنجي إلى المكتب حيث يوضع الهاتف ثم قالت: «بالطبع بسيط. مصرفه يتولى اقراضك المال، صح؟»

هزت لوسي رأسها إيجاباً، عيناها مفتوحتان بينما السيدة العجوز بدأت بطلب رقم هاتف.

قالت أنجي: «إذن اذهبي إلى المصرف مجدداً واقترضي مالاً يكفي لتسديد الدفعتين أو الثلاث الأولى، يا عزيزتي.»

كانت لوسي ما تزال تقف هناك فاغرة الفم عندما ردت على أنجي صاحبة الرقم الذي طلبته. قالت أنجي: «أبيجال، أبيجال تشيس؟ أنجي مور تتكلم. اسمعي، يا كومة من العظام. كيف تتجرئين على تقديم شكوى ضد حبيبتي لوسي؟» ثم غمزت السيدة العجوز بينما كانت تستمع إلى وابل من الكلمات من الجهة الأخرى من الخط. «حتماً، لم أكن أريد لك ذلك النمط من الحياة يا أبيجال، على الرغم من أنني واحدة من القلائل في الجوار اللواتي يتذكرن الأعمال المضحكة التي قمت بها على الشاطىء أيام الحرب العالمية الثانية أنت وذلك الـ ماذا كان اسمه؟ أتذكرين ذلك؟»

وابل آخر من الكلمات من الجهة الأخرى، ولكن أنجي قاطعتها قائلة: «لا يمكنك أن تنسي، أبيجال، بأن منزلك مرهون لي وقيمة

الرهن كبيرة، أليس كذلك؟ يمكنك أن تحزمي أمتعتك سريعاً وترحلي، يا عزيزتي. ففي البلدة الكثير من الشقق المفروشة التي تلائم العجائز. غرفة وحمام، ستحبين إحداها. و... آه؟ حسناً، أعتقد إن سحبت الشكوى يمكن للأمور أن تتغير. أجل، إلى اللقاء.» ثم وضعت سماعة الهاتف مقلوبة وابتسمت وقالت: «أرأيت، يا لوكسترا، لديك بعض الأصحاب في الجوار.»

وضعت لوسي يديها على وجنتيها الحمراوين وقالت: «لكن أن أقترض مزيداً من المال؟ أليس ذلك غير شريف؟»

«أبداً. القانون المسيحي القديم يعتبر أي فائدة تفوق نسبة ستة في المئة رباً. أصحاب المصارف يستحقون كل ما ينالهم! تناولي عشاءك، يا حبيبتي، ثم اذهبي إلى فراشك. غداً سيكون يوماً عارماً من الاقتراض.»

أسرعت لوسي بوردن إلى الطابق العلوي، استحمت سريعاً. ثم غرقت على فراشها. وطوال الليل كانت الجملة التي قالتها أنجي تدور في ذهنها ولكن بمعنى آخر. أصحاب المصارف يستحقون كل ما ينالهم! فقالت في نفسها: هل من الممكن أن ينالني جيم بروكتر؟

الفصل السادس

استيقظت لوسي بوردن في صباح اليوم التالي من حلم مريع لقد كان جيم بروكتر منحنياً فوق سريرها، كان وجهه مخيفاً، يقول ويكرر: «المال، المال... وإلا! لا أحد يحتال علي.» جلست لوسي في سريرها، لا تكاد تستطيع فتح عينيها. ها هي كانت نائمة وفي لحظة استيقظت وجلست في سريرها حائرة، تتمتم: «المال. اقترضي المال؟» ثم بعد لحظة حيرة قالت: «وإلا؟»

جالت فكرة أخرى في ذهنها وقالت: «كيف يمكن أن تكون أنجي صاحبة رهن ذلك المنزل الواقع على الجانب الآخر من الشارع؟ ثم فركت عينيها، محاولة إخراج الرمل منهما ثم تمتمت ثانية: «المال. عليّ أن أحصل على بعض المال.»

كانت أنجي مور مستيقظة حين نزلت لوسي إلى الطابق السفلي، وساعدتها على ارتداء ملابسها، ثم ادخلتها إلى المطبخ وسألتها: «أتتناولين طعام الفطور؟» فابتسمت إبتسامة عريضة ولكنها نوعاً ما ألطف من تلك التي ابتسمتها للوسي في الأسبوعين الماضيين. ثم قالت: «أريد اللحم مع البيض، والقهوة.»

قالت لوسي: «أنجي... أنت تعلمين أن الطبيب منعك من شرب القهوة.»

إن ذلك الطبيب هو كلب صغير وقح، ماذا يعرف عن الطب؟ أين القهوة!»

تنهدت لوسي، هزت كتفيها وقالت: «حسناً، القهوة.» تأخر

طعام الإفطار إذ أن لوسي كانت تتحرك تحرك الأموات الأحياء. بعد أن وضعت الطعام على الطاولة أخذت رشفتين من القهوة، استعاد تفكيرها نشاطه.

قالت وفمها مليء بالبيض المخفوق: «الرهونات.»

«الرهونات؟»

«لقد قلت لتلك السيدة على الهاتف إنك تملكين رهن بيتها، يا أنجي. وطوال كل ذلك الوقت ظننتك مفلسة!»

«حسناً، إن ذلك صحيح، يا طفلتي. إنني مفلسة، يعني لا أمتلك أي مال، ولكن لدي من المستندات ما يملىء كيساً من الخيش والتي كنت أراكمها منذ خمسة وعشرين عاماً، لقد انفقت كل ما معي من مال، وكل شيء آخر رميته في الخزانة.»

«لكن...»

«أنت فضولية؟ لماذا لا تلقين نظرة؟ كل تلك المستندات المكدسة في تلك الخزانة الموضوعة قرب سريري، لا أظن أنها تساوي الكثير، ولكني قصدت أن تكون بحوزتك على أي حال.»

«ألا تمانعين؟»

«لا، أبداً، هيّا إفعلي ذلك.»

«أنت لست فضولية؟»

«أبداً. ليس هناك شيء ممل أكثر من خزانة مليئة بالمستندات إنها تجمع الغبار وأنت تعلمين أن ذلك يهيج الربو.»

«أنا... ربما في يوم ممطر. ليس هناك صف لتعليم السباحة اليوم. وعلي أن أكون في المصرف الساعة التاسعة تماماً.

«من الأفضل أن تسرعي، يا حبيبتي.»

دخلت مود وهي تقفز في تلك اللحظة، مليئة بالحيوية والنشاط ثم قالت: «سأكون أنا جليستك اليوم. وأنت، يا لوسي،

من الأفضل لك أن تسرعي. إنه يتجول مثل نابليون، يلقي الأوامر بتوتر. لا أعتقد بأنه ذاهب إلى المصرف.»

قالت أنجي: «ما ألطف هذه الطفلة.»

ردت مود: «أبي يقول إني شابة وقحة، ماذا يعني ذلك؟»

ردت أنجي: «هذا يعني أنه يحبك كثيراً. الآن، ماذا سنفعل وأنت تجالسين جدتك؟»

إطمأنت لوسي بعد سماعها ذلك وتأكدت من أن الأمور ستسير على ما يرام في المنزل، فتركت المنزل متوجهة إلى المصرف. كانت ترتدي بدلة خضراء فضفاضة، موشحة باللون البرتقالي عند الأطراف، شعرها مربوط كذيل الحصان. لقد بدت وكأنها فتاة في السادسة عشرة من عمرها. كانت شمس الصيف دافئة وقد بدأت تهرول عندما مشت أولى خطواتها في شارع ندبوينت. ما كادت تسير عشر أقدام حتى توقفت سيارة خلفها وأطلقت بوقها. فقفزت لوسي في مكانها.

قالت: «لا تفعل ذلك.» ثم نظرت إلى المرأة الجانبية للكاديلاك السوداء صرخت: «لا تفعل ذلك! لقد ارعبتني وطيرت ما كان بذهني من فطنة!»

قال جيم بروكتر وهو يبتسم ابتسامة رائعة: «هل أنت تسلكين الطريق نفسها التي سأسلك؟».

«إلى أين أنت ذاهب؟»

«إلى مبنى البلدية.»

«لا... إنني لست ذاهبة بهذا الاتجاه!» برغم أنها لم تقطع مسافة طويلة بعد، لكنها بدأت باللهاث وقلبها بدأ ينبض بسرعة شديدة لا يمكن أن يكون سبب ذلك التعب الجسدي!

«وإن قلت لك إنني متوجه شمالاً نحو الطريق السريع؟»

«لا. إنني غير متوجهة إلى هناك أيضاً... شكراً لك.»

إنحنى جيم وفتح الباب الملاصق للمقعد الجانبي للسائق وقال: «لوسي بوردن، لا تغيظيني. إن كنت لن تسلكي أحد هذين الطريقين فليس هناك مكان آخر تذهبين إليه في هذه البلدة سوى إلى الميناء. الآن، توقفي عن إضاعة وقتي وإصعدي إلى السيارة!»

«لن أفعل ذلك ولن تجعلني أفعل ذلك!» ثم قالت في نفسها، ذلك سيوقفه عند حدّه لأنه رجل ضخم لا يستطيع أحد أن... لماذا يخرج من السيارة؟

قالت: «جيم بروكتر! لا تجرؤ...» ثم رجعت خطوة إلى الوراء عندما تقدّم من أمام مقدمة السيارة، ثم عادت فقالت: «لا يمكنك أن تترك السيارة وسط الشارع!»

«آه، لا أستطيع؟ ولا أجرؤ؟ ولا يمكنني أن أجعلك؟ هاه!» لقد كانت تلك الـ «هاه» تحمل معنى آه حقاً؟ بعدها وجدت نفسها تتأرجح بين ذراعيه محشورة بين صدره ونقنه. في الواقع، كان ذلك مكاناً مريحاً يتواجد فيه الإنسان للحظات. قاومت لوسي ذلك ثم تذكرت هدفها وقالت في نفسها، ليس هنالك من طريقة أخرى للحصول على مزيد من المال من مصرفه، ليس بعد الطريقة التي عاملني بها عند الزيارة الأولى. حتى كان ذلك منذ أعوام مضت! أو حقاً كان ذلك منذ أسبوع فقط!

قالت وفمها قريب من أزرار سترته: «انزلني، أيها الرجل المتوحش.»

«ماذا قلت؟»

«لقد قلت، أنزلني!»

«نعم لقد سمعت ذلك، هل لاحظت أننا نلم الناس حولنا؟»

«ذلك لأنك أبقيت سيارتك وسط الشارع، ولا أحد يستطيع أن يعبر أحد الاتجاهين، أيها الأبله!»

«آه كلمات لطيفة ودودة.» ثم ضحك وداعبها في ضلوعها فنزلت عن يديه ولكنها لم تتخلص من قبضته.

قالت: «أنا أكره هذا النوع من التصرف، أكرهه. أضف ذلك إلى لائحتك، يا سيد مهما كان اسمك!»

«بروكتر. فقط، حاولي تكراره وأنت لن تنسيه، وفي نهاية الأمر، سيكون اسمك، واسم مود كذلك.»

«أبداً. اتسمع ذلك؟ أبداً لو أن عمري أصبح ألف عام لن أتزوج منك أبداً، أنت الـ...!» مرة ثانية قام بالمستحيل، فقد أسكتها بعناقه.

لم يكن شهر آب أكثر الأشهر عملاً في العالم. علق عدد من الناس حولهما وتجاوبوا عندما عانقها. صفقت النساء، وهلل الرجال.

تورّدت وجنتا لوسي لذلك، حاولت من دون جدوى التملص من يديه ثم همست في أذنه: «أنظر ما فعلته بي؟ الجميع يعرفني! لقد أحرجتني تماماً.»

«تماماً.»

«أجل، تماماً. أنزلني في هذه اللحظة!»

لكنه بدلاً من إنزالها ضمّها إليه بقوة أكبر، أخذ نفساً عميقاً ثم قال: «سيداتي سادتي.» ثم توقف الجميع ليستمع فقالت لوسي في نفسها، إن صوته قوي جداً، من المحتمل أن يكون قد وصل إلى الميناء وربما إلى براندت بوينت. لم تستطع أن تمنع نفسها من الارتجاف. لقد تجمع حولهما حوالى خمسة وعشرون شخصاً كانوا متوجهين إلى أعمالهم. وقفوا ليراقبوا ذلك المشهد.

استأنف قائلاً: «لقد علمت أن معظمكم يعرف الآنسة لوسي بوردن، وهي تشعر بالحرج إذ تمّ تقبيلها علناً.»

همست لوسي بينما كانت تحاول أن تغطي وجهها: «توقف.»

تابع قائلاً: «حسناً دعوني أوضح لكم أن ذلك أخلاقي ومحتشم تماماً وقانوني، الثلاثاء المقبل لوسي ستشرفني بزواجها مني، سيكون زفافنا في الكنيسة العامة هنا في هذا الشارع. وأريد من كل من يستطيع، أن يحضر الزفاف. وحفل الاستقبال بعد ذلك على الشاطىء خلف منزلي. المرطبات ستقدم بكميات كبيرة، تأكدوا من إعلام كل أصدقائكم!»

ارتفعت أصوات أخرى مهللة. أنزل جيم لوسي عن ذراعيه ولكنه ظل يضمها إلى صدره وقال بلطف: «لماذا، تبكين؟» ثم مسح قطرة من دموعها بإبهامه الكبير وعاد فقال: «الآن يا لوسي، ليس هناك ضرورة للبكاء. من الآن فصاعداً سأحميك من الجميع. هيا، الآن.»

قالت: «ومن سيحميني منك؟»

كان هناك وقفة صمت طويلة ثم ابتعد عنها ليس أبعد من قدم، ربما، ولكن لوسي أحست وكأنها عشرة أميال. فارتعشت وخبأت وجهها بين يديها.

قال جيم: «هكذا إذن؟» ثم وضع يده على السيارة وحملق بها والإرتباك بادٍ عليه. أخيراً، هز بكتفيه، صعد إلى السيارة، نظر إليها من نافذة السيارة لحظة أخرى، ثم أدار المحرك وابتعد من دون أن يقول كلمة واحدة.

وصلت لوسي إلى المصرف في الساعة التاسعة تماماً، فتح أحد الحراس الباب وأدخلها. كان السيد ليدرمان يتكلم إلى

موظف آخر في المصرف. ولكن ما أن رآها حتى أتى مسرعاً واصطحبها إلى مكتبه.

قال بينما هو يشير إلى الكرسي الموضوعة قرب مكتبة لتجلس عليها: «حسناً، يا لها من طريقة جميلة أن ابدأ اليوم بها.»

حاولت لوسي رسم ابتسامة على وجهها مجاملة له. لقد كان شخصاً لطيفاً، السيد ليدرمان، ولكنها لم تستطع أن تخفي امتعاضها ثم قالت: «هل تعرف خطيبتك بأنك تتكلم بهذه الطريقة يا سيد ليدرمان؟»

ضحك ضحكة صفراء وقال: «تعلم؟ بل هي تشجعني على ذلك، يا عزيزتي. لقد تلقينا عرضاً هي وأنا من مدينة في ولاية أريزونا حيث الشمس، والهواء النقي. وما إلى هناك من أمور. بماذا أستطيع أن أخدمك يا آنسة بوردن؟»

«هل ممكن، يا سيد ليدرمان... قرض آخر صغير؟»

«لماذا، بالطبع هذا ممكن. في الواقع، هذا سيكون تصفية ملفات.»

«آوه؟»

«آه، طبعاً لقد مضى على عملي في المصرف عامان حتى الآن وهذا سيكون آخر قرض أقدمه. الآن كم تحتاجين؟ وهل نضيف ذلك إلى قيمة الرهن؟»

«لماذا... اعتقد إذا كانت تلك الطريقة الوحيدة.» ثم بصوت خفيض أخبرته كم المبلغ الذي تريد. ليس كبيراً بالطبع. فقط يكفي حسب قيودها لتسديد أربع دفعات من قيمة القرض. وبعد ذلك؟ الله يدبر الموضوع، لقد قالت أنجي مور ذلك. لكن أنجي لم تكن ملتزمة دينياً، ولوسي لم تكن متأكدة تماماً إذا ما

كان الله يهتم. أي نوع من المسيحية هي تلك السيدة العجوز؟

«إنه مبلغ بسيط. وبما أن لجنة القروض موجودة في هذه الغرفة حول مكتبي، لنبدأ بتمرير الأوراق لتوقيعها، هلاّ بدأنا؟»

لقد كان ذلك ما تنتظره لوسي ولا تستطيع رفضه وقّعت على ثلاث أوراق مختلفة ثم لحقت ليدرمان بينما كان يقوم بتمرير الأوراق على أعضاء اللجنة. وبعد ذلك، أوصلها إلى باب المصرف ثم ودّعها.

لكن ذلك كان مؤثراً، بالنسبة للوسي الحساسة فيما هو يفتح لها الباب لفّت يديها حول رقبته وعانقته بمحبة.

فإذا بجيم يقف خلفها ويقول بنبرة فيها أسى: «حسناً! أمام مدخل مصرفي، ومع مسؤول قسم القروض! اللعنة، ولا عجب أن لا يحصل الرجل على فرصة في هذه المدينة!»

ابتسم ليدرمان الذي كان يحضنها بقوة وقال: «أيها الرئيس إنني أقوم باتمام آخر عمل لي يا سيد بروكتر. لقد أنهيت كل أعمالي، وكنت فقط أقوم بمرافقة لوكسترا إلى الخارج قبل أن أسلّم حساباتي وأرحل.»

سأل جيم: «لوكسترا؟ إلى أريزونا؟»

أضافت لوسي: «حيث الشمس، والهواء النقي.»

نظر إليها بروكتر نظرة ثائرة وقال: «أنت ستذهبين معه؟»

«لا، ليس أنا فهو لديه فتاته، أنت تعرفها، ماري نورسي، الممرضة.»

بدت على وجه جيم علامة الارتياح. فمن الواضح أنه ليس لديه أدنى فكرة عمن تكون ماري نورسي هذه، ولكن وجودها اراحه، ثم قال: «آه. أجل طبعاً، الممرضة. أتمنى لك التوفيق وداعاً، يا ليدرمان.» ثم مدّ له يده.

صافحه ليدرمان راسماً ابتسامته المعهودة، ثم قبل لوسي فوق أنفها.

قال جيم: «من الأفضل لك أن تسلم حساباتك.»

ردّ ليدرمان: «نعم بالطبع. آه، قبل أن أنسى، كيف حال الآنسة مور؟»

قالت لوسي: «تتحسن، بالطبع تتحسن.»

قال ليدرمان: «آه؟ هذا... سيء جداً.» ثم عاد إلى مكتبه.

سأل جيم: «وماذا تعتقدين أنه يعني بهذا الكلام؟»

«لا أدري. فهو يقول كلاماً كهذا كلما التقينا معاً.»

«لا فرق، إسمعي يا لوسي، لقد كنت أحمق نوعاً ما هذا الصباح. أتمنى أن... حسناً، مود وأنا سنقوم بالابحار بعد ظهر هذا اليوم. هل ترافقيننا لأجل الـ... الهواء النقي وكل ذلك؟»

«أنا حقاً أحب ذلك، ولكن أنت تعلم أني لا أستطيع ترك أنجي بمفردها في المنزل.»

«سأرسل واحداً من العاملين عندي ليمضي معها فترة بعد الظهر، هل يفي ذلك بالغرض؟»

«فقط إذا كان ذلك الشخص يعجب أنجي، لا يمكن أن يكون مجرد أي شخص.»

«مدبرة منزلي، إنها سيدة لطيفة وأنا واثق من أنها تعرف كيف تتصرف مهما كانت علاقتك بالآنسة أنجي مور.»

«مجرد صديقتين، صديقتين حميمتين ليس بيننا علاقة البتة، ذلك لأقول لك الحقيقة. لكن أنجي كانت صديقة جدتي وأنا بقيت على اتصال بها بعد وفاة جدتي.»

أخذ يدها بيده ثم توجها إلى مكتبه. تمتم وهو يجلسها على أحد الكراسي الكبيرة الهزازة. «أنت غريبة الأطوار نوعاً ما.» أما

بقية الكلمات فلم تكن واضحة، لكن لوسي، قالت في نفسها إن البقية شيء مثل: «إنهم لا ينجبون القديسين هذه الأيام، أليس كذلك؟»

أضاف قائلاً: «لن أتأخر سوى بضع دقائق فقط، هل تنتظرينني؟»

أجاب قلب لوسي، لم لا؟ فهي لا تكاد تستطيع هز رأسها ثم قالت في نفسها: في النهاية، هناك تغير واضح، أن اعتبر قديسة بعد أن اعتبرت كل تلك السنوات شريرة!

خارج مكتبه، حيث تجلس السكرتيرة، سمعت لوسي جيم بروكتر يقول: «اعثري لي على مكان ماري نورسي، إنها الممرضة التي تخرج بصحبة السيد ليدرمان. ارسلي إليها أربع دزينات من الورود. البطاقة؟ فقط اكتبي عليها: شكراً لله ولك.»

مدركة حسنات وسيئات استراق السمع، تجمدت لوسي في مكانها، تمسكت بذراعي الكرسي كتمسكها بالحياة الغالية، وحبست أنفاسها كي لا يلاحظ أي شيء.

فقد أكدت لنفسها، أن الحياة تزداد جمالاً! أهذا ما يسمونه الوقوع في الحب؟ ولكنه رجل وقح، عليها أن تبقي ذلك لنفسها أو سيدخلها ويتركها وسط الطريق! سيري بحذر، يا لوكسترا بوردن!

سأل جيم وهو يوقف السيارة: «ماذا يحصل هنا بحق الجحيم؟» لقد كانت هناك سيارات كثيرة متوقفة أمام منزل آل بوردن أكثر من كل التي رأتها منذ أسابيع، ولكنها لم تكن تعرف أكثر مما يعرفه جيم.

قالت محاولة أن تكون هادئة وقد احسنت استخدام ذلك

القناع: «لا أعرف.» ثم خطر لها فكرة وصرخت: «ربما حدث مكروه لأنجي.»

نزلت لوسي من السيارة قبل أن توقفها المكابح تماماً، وعلى الرغم من صوت المكابح استطاعت أن تسمع أصواتاً آتية من خلف المنزل. كان الباب الأمامي مقفولاً، بحثت لوسي عن مفتاحها ثم فتحت الباب.

لم يحصل لأنجي أي مكروه، فقد كانت تجلس على كرسيها المتحرك المتوقف بالقرب من الباب الخلفي المفتوح وظهرها إلى مدخل المنزل، هرعت لوسي إلى حيث تجلس أنجي التي التفتت فجأة.

سألت لوسي بقلق: «هل أنت بخير؟»

أجابت أنجي: «لم أكن أحسن حالاً مما أنا عليه اليوم.» ثم أشارت إلى الخارج وأضافت: «لم أتمتع هكذا منذ أن ذهبت مع والدي في الرحلة الأخيرة لوكالة أولد فول ريفر للرحلات البحرية!»

«إذاً مود؟»

«إنها تقوم بالعجائب. إذهبي وأنظري.»

نظرت لوسي ولكن إلى الخلف حيث كان يقف جيم على بعد بضعة امتار ينظر إليها من نافذة السيارة. فهي لا تريد، وهي في تلك الحالة النفسية، أن تقدم على أي عمل من دون جيم فابتسم لها، فتشجعت وتقدمت.

أخذت لوسي نفساً عميقاً ثم توجهت إلى المدخل الخلفي الذي ما يزال قيد الإنجاز، مستعدة حتى لمحاربة التنانين. ولكن عوضاً عن ذلك وجدت جموعاً من الأهالي الواقفين أمام عتبة الدرج غير قادرين على التقدم إلى المدخل لأن هندرسون

لم يكن قد أنهى عمله. كانت مود تقف على أعلى الدرجات ويداها على ردفيها، وميض تحدٍ في عينيها، تحول إلى دموع فرج، عندما رأت لوسي تقف بقربها.

قالت مود: «إنهم مجانين، قطعاً مجانين!»

قال رجل ضخم يقف في مقدمة الجموع: «من الأفضل لك أن تصدقي ذلك، لقد خططنا لاجازة مدتها شهر. والآن أنت تعيدين لي ابنتي زوجتي. سوف أثير عاصفة من الجحيم، يا سيدة!»

صرخت إمرأة تقف خلفه: «أريد استرجاع مالي، مع التعويض. سأراك في المحكمة يا سيدة بوردن!»

تقدمت لوسي إلى الصف الأمامي من الجموع، فإذا بالأمور تهدأ بشكل غير عادي. ثم مر في ذهنها خاطر، إن طولي سبع أقدام، أمتلك عضلاً قوياً وهم قادمون للتحدث فقط وليس للقتال! ابعدت هذا الوهم عن ذهنها عندما شعرت بيد حول خصرها وعندما إنحنت إلى الخلف قليلاً اكتشفت أن رأسها أصبح على كتفه. جيم بروكتر، طبعاً. فقالت لوسي في نفسها: وهكذا، لن يستطيع أحد ايذائي. ثم انحنت إلى الخلف أكثر متكئة على جسمه كله.

خاطبت الجموع قائلة: «أنا آسفة لهذا الازعاج. لكن علي إما أن أوقف النادي أو أن أذهب إلى السجن!» علت أصوات احتجاج بين الجموع. فقالت لوسي في نفسها: والآن حان الوقت لبعض السحر، بعض ما اسمته جدتي بالأكاذيب الأميركية. وقالت: «وخطيبي قال إنني لن أذهب إلى السجن.» وعلت أصوات الجموع ثانية. ثم تابعت لوسي: «بما أني دائماً أفعل ما يقوله لي، أوقفت النادي.» فسكنت الجموع.

اقترب جيم بروكتر من أذنها وقال: «يا لك من كاذبة لئيمة.» ثم تولى الكلام عنها.

حاولت لوسي الاستماع ولكن الكلام كان ما يكاد يصل أذنيها ولكن حسبما تتذكر فإنه قد بدأ بتحية للدستور. ثم انتقل إلى الحديث عن حسنات العمل، تكلم عن تاريخ ولاية نيوإنغلند ثم لخص الخطاب ببعض التهديدات المبطنة لمن يفكر باغضاب صاحب مصرف البلدة. بدا وكأن الجميع اقتنعوا بكلامه ثم أخلوا المكان كل إثنين أو ثلاثة معاً.

راقبت لوسي ذهاب الجموع وفمها فاغر من المفاجأة. إقترب جيم منها وهمس في أذنها: «هكذا يعالج الموقف، يا خطيبتي العزيزة.»

استجمعت لوسي قواها، ثم استدارت لتواجهه ثم قالت وهي تنظر إلى ازرار قميصه: «أنا لست خطيبتك العزيزة.» ثم رفعت نظرها قليلاً إلى حيث كانت ذقنه تعلو فوق رأسها وقالت: «كانت تلك خدعة، وكل إنسان يحق له ذلك أحياناً ونحن لن نتزوج.»

«أخبطي بقدميك على الأرض، يبدو قرارك أكثر اقناعاً عندما تفعلين ذلك.»

«سيد بروكتر.» ابتعدت عنه وقالت في نفسها إن عليها أن تغير لهجتها وكانت على وشك فعل ذلك عندما تذكرت ما قالته أنجي ذلك الصباح. أكوام المستندات المكدسة. ومن يساعدها في دراستها غير...؟

قالت بلطف شديد: «سيد بروكتر، جيم. لقد نسيت شيئاً، لا أستطيع الابحار معكما. أنجي وأنا... لدينا مشكلة.»

قالت مود مقاطعة: «أنا أيضاً لدي مشكلة، ومشكلتي أهم. هل ستتزوجين من والدي؟»

صرخ جيم: «مود!»

ردّت مود: «حسناً، يا أبي، إن ذلك أهم شيء في العالم بالنسبة لي. هل ستتزوجين من أبي؟»

قالت لوسي: «أنا... لم أفكر كثيراً في الموضوع. إنها خطوة مهمة جداً، الزواج وما إلى هناك، ووالدك...»

قال جيم مقاطعاً: «ليس ألطف رجل في العالم. الآن أتركي لوسي تقرر ذلك وحدها. نحن لا نريد أن تتزوج مني لأننا ضغطنا عليها لتفعل ذلك، هل ممكن أن نفعل ذلك؟»

قالت مود: «بالطبع نفعل ذلك وبكل الوسائل الممكنة. فأنت ليس لديك مشكلة كبيرة، فيمكنك الخروج مع نساء أخريات في البلدة ولكني بحاجة إلى والدة!»

سألت لوسي: «ماذا عن تجوله في البلدة مع النساء؟»

قال جيم بسرعة: «فلننظر إلى مشكلتك الأخرى أولاً يا لوسي. للحيطان آذان. مود، إذهبي إلى المنزل وأطلبي من السيدة ونترز تحضير بعض الطعام لنا، ولينقل أحد الرجال الطعام إلى هنا، وسنأكل جميعاً في منزل لوسي.»

قالت مود: «ولكن...»

قال: «إذهبي!»

تمتمت مود: «لا أحد يهتم لأمري.» ثم مرت من بينهما، وحضنت لوسي بقوة وهمست بأذنها: «أحبك.»

ردت لوسي: «وأنا أيضاً أحبك.»

قال جيم بملل: «غداً، سنذهب للابحار غداً.»

قالت لوسي له: «ولكن الساعة العاشرة والنصف فقط. إنه الجزء الأخير من الليل.»

قال متنهداً: «أجل. هل هناك من شيء آخر في هذا الكيس؟»

أجابت لوسي: «ليس في هذه.»

«أتعنين أن هنالك حقيبة أخرى؟» نظر جيم بعد ذلك إلى طاولة الطعام، ثم مدّ يده إلى آخر الطاولة وسحب كومة من الأوراق، بعضها كان قديماً إلى حد أنه تشقق عندما سحبه.

«فقط واحدة. لماذا لا نتوقف ونستريح قليلاً؟»

«فكرة حسنة. أنظري إلى تلك الكومة لم أرَ مثلها سوى في المتحف ولا أعلم صدقاً، إن كان لها أي قيمة أم لا.»

«وهذه الكومة هنا؟»

«تلك مفيدة، إذ أنها سندات حكومية. لها أهمية عندما يحين موعد الاستحقاق وما بعد ذلك إلى الأبد ويمكنها أن تقبض الكثير. يا إلهي... ليس لدي أدنى فكرة. لم تدفع أي فائدة. قد دفعت منذ أن كان القيصر صغيراً. وهذه الكومة هنا ـ أنا لست أكيداً، ولكني أقسم بأنها أموال الحكومة الانفصالية وقت الحرب الأهلية. من أين حصلت على كل هذا، يا إنجي؟»

أجابت أنجي: «أنا لست أكيدة. تلك المستندات هي حصيلة الارث عندما توفي عماي الاثنان في الأسبوع نفسه. أنا أتوقع أن يكون عمي ويلي هو من احتفظ بها، فمعروف عنه أنه يحتفظ بكل شيء، من الخيط حتى تذاكر مباريات البايسبول.» تبع ذلك سكون تام، لقد كانت السيدة العجوز متعبة، فقد فات ساعتان على موعد نومها... لكنها سعيدة. لم تكن تلك مزحة، فكرت العجوز. الآن يمكنها أن تورثها شيئاً إذا لم تسر الأمور على ما يرام. ووعدت: «إنني لن أقامر ابتداء من هذه اللحظة.» ضحك الآخرون، ثم ساعدتها لوسي للذهاب إلى فراشها.

عند عودتها إلى غرفة الطعام، تمددت لوسي، حانية ظهرها. محركة يديها كما تفعل القطة عندما تخدش الفراش.

سألها جيم: «ألم في ظهرك؟»

أجابت: «من كثرة الانحناء على الطاولة، وعيناي أيضاً. لم أكن أعرف أبداً أن ضوء هذه الغرفة خافت إلى هذه الدرجة. إنني مسرورة بأننا بدأنا بذلك، لقد شعرت أنّ حال أنجي أصبح أفضل بكثير. فهي لم تكن تشعر أنها بخير مؤخراً. ربما ما يزعجها أنه منزل كبير ولكن غرفه صغيرة جداً. أنا لا أستطيع أن أكف عن القلق بشأنها.»

«ستظلين تقلقين بشأنها.» ثم شدها لتجلس قربه وتابع: «ضمير كل العالم موضوع في يديك، يا لوكسترا بوردن. كله موضوع في داخلك الصغير.»

«أنا لست صغيرة.» توردت وجنتاها ولكن لم يكن هناك أي قوة في جملتها هذه. هل حياتها كانت بسرعة تصبح... هادئة؟ أمثل البقرة تمضغ الحشيش في المراعي؟ كالمرأة التي جرفها تيار الحب ولا تأبه أين يسحبها التيار.

«لا، بالطبع أنت لست صغيرة.» ثم قال في نفسه: في الواقع، إنني راض جداً بالحياة إلى حد أنني أوافق على أي شيء. لو أني فقط أستطيع التأكد.

«ماذا تعتقد أن علينا أن نفعل بعد ذلك؟»

«لماذا، أعتقد أنه يتعين علينا تقبيل بعضنا حتى الموت.»

ضربت كتفه بإحدى يديها وقالت: «ليس بشأننا، ولكن ماذا نفعل بشأنها، بشأن أنجي؟»

«هذا النوع من الأمور عليك بحثه مع صيرفي لايجاد حلول له، عندي موظف أو ربما اثنان يستطيعان القيام بالجرد والتثمين وكل تلك الأمور. ولكن أيضاً علينا أن نوكل محامياً ماهراً ليهتم بأنجي.»

«أحب ذلك عندما تقول... علينا! هل نحن حقاً نحن. يا جيم؟»

«حقاً، طبعاً. لا يوجد شيء يفرّقنا الآن، يا حبيبتي لوسي.»

«أتمنى لو أنك لم تكن تضحك عندما قلت ذلك.»

«لقد صليّت عندما قلت ذلك.»

«يجب أن اخبرك، أنا لا أعرف شيئاً عن الزواج وكل تلك الأمور. لقد توفيت والدتي منذ زمن بعيد، و...»

«هذا ما أحتاجه. كل ما أريدك أن تعرفيه عن الزواج سأعلمك إياه.»

«هذا لطف منك، يا جيم ولكن أريد أن اتأكد من أسنانك قبل الزفاف. فأنا أتذكر قصة ذات الرداء الأحمر. فقد وثقت بكلمة الذئب... والذئاب هم ألطف بدرجة أو اثنتين من المصرفيين. إذ أنهم سيئوا السمعة.»

«لماذا، يا لوسي بوردن. لماذا تحكمين علي بسرعة، كيف اكتشفت ذلك؟»

«حسناً، اليوم الذي تلى ذلك اليوم الذي التقيتك به، قمت بالحجز على دار المسنين وكان عليهم إخراج كل أولئك المرضى إلى الشارع، ألا تعتقد أن ذلك عمل خسيس؟»

«لا بد وأنك ظننتني صيرفياً آخر، أنا متأكد بأني لم أحجز على الدار. إنّ ذلك ممكن إذا كنت أنا صاحب الرهن ولكني لست كذلك.»

تحركت لوسي قليلاً جاعلة إياه يحس بمشاعر أكثر من التي أراد هو إظهارها. ثم قالت: «أنا شاكرة لله، إذن لم تكن أنت، لكن هل كنت لتفعل ذلك؟»

«من دون شك. فأن لست مالك المصرف، أنت تفهمين أن هنالك مودعون وشركاء. أنا أدير المصرف وأحاول جني

بعض المال لي وللشركاء وأنا استخدم أموال المودعين لأفعل ذلك. فأي شخص يتلاعب بالرهون في مصرفي عليه أن يدفع في الوقت المحدد، وإلا!»

ليس من السهل على إمرأة أن تقرر إن كان حبيبها يتكلم بصدق أم لا، خصوصاً إذا كانت يداه تداعبان ظهرها صعوداً ونزولاً وعيناه تكادان أن تجحظا من التركيز عليها. وعندما تداعب تلك الأصابع ظهرها ثم يقول ببعض الإنزعاج: «كيف يمكن فك ذلك الشيء؟» عند ذلك على أي فتاة تحترم نفسها أن تفهم بأن علاقتهما لن تكون علاقة أفلاطونية.

قالت: «هناك بعض الأزرار الصغيرة في الأسفل من الجهة الأمامية.» ولكن عندما تحركت يده في ذلك الاتجاه، قفزت مبتعدة عنه.

«إذاً هذه هي نهاية اللهو اليوم؟»

«من الأفضل أن تصدق ذلك.»

«لن نقوم بشيء إلى ما بعد الزفاف؟»

«آه، يا إلهي. جيم.» ثم رمت بنفسها بين ذراعيه، وتابعت: «لا أعرف ما حصل لي، أعتقد أنني أقع في حبك وأنا حتى لا أستلطفك.»

«يمكننا دائماً قضاء الليل معاً ثم نرى ما سيحصل، ليس هناك أي تورية في كلامي.»

«شكراً على هذا العرض، باب غرفة نومي لن يفتح إلا بعد عقد القران، هذا ما قالته لي جدتي، وأنا أؤمن به. من الأفضل لك أن تذهب إلى بيتك وتخلد إلى النوم. قد تسير مود في نومها مجدداً.»

«لن تفعل. لم تقم بخطوة واحدة أو بأي أنين منذ رحيل خالتها اللطيفة إيلويز. آه، إنك حلوى قاسية، يا لوكسترا بوردن.»

حذرته: «وأنام وأنا مفتحة العينين. عمت مساء، يا سيد بروكتر.»

لقد كان يضحك عندما عبر باب المنزل الذي أغلقته لوسي ووقفت خلفه، تحلم بما فاز به قلبها. ثم جال في خاطرها كلامه: «من يتلاعب بالرهونات في مصرفي عليه أن يسدد في الموعد المحدد وإلا!» وفي لحظة واحدة تحول حلمها إلى كابوس. فمن غيرها في البلدة سيحاول أن يسدد الأقساط؟ من غير لوكسترا بوردن؟ ثم فكرت. وحين يكتشف الحقيقة؟

هذا ما جعلها ترتعش بينما كانت تصعد إلى الطابق العلوي متوجهة إلى سريرها. توقفت للحظة في ردهة الطابق العلوي، ونظرت من النافذة إلى الشارع. في الجانب الآخر من الشارع كان يقف شخص في الظلام تحت شجرة. لم يكن شكله يختلف كثيراً عن الحارس. أشعل سيجارته، ثم أخذ يتمشى. شعرت لوسي بمعدتها تهدأ بينما كانت تنظر. ثم قالت في نفسها، إنه حارس جيم، وتوقفت عن الارتعاش. إنه يحرسنا تحت أي ظروف! ومن شيمه أن لا يتبجح بما يفعل. ربما أنا أحبه؟

الفصل السابع

نزلت لوسي في صباح اليوم التالي إلى الطابق السفلي، تبتسم، تملؤها السعادة، لتمتعض عندما لاحظت حال الطقس. فالضباب آت من فوق المحيط الأطلسي، كان من الصعوبة بمكان رؤية الطريق إلى مرفأ ماتابويست. أما الأبنية الواقعة على رأس ماتابويست فكانت مغطاة تماماً. قالت: «تباً.» ودخلت من الرواق الخلفي. «كنا سنبحر اليوم!»

قالت أنجي: «لا تبتئسي، يمكنكم الابحار داخل الميناء، تعلمين، ليس عليكم الابحار في المحيط. ماذا لدينا لطعام الفطور؟»

«أتصدقين، فطيرة البطاطا؟»

«أعتقد أن وزني ازداد خمس باوندات منذ أن رجعت إلى المنزل... أقصد، منذ أن تركت ال...»

«كنت على صواب في الجملة الأولى.» ثم مشت لوسي من خلف أنجي وحضنتها بلطف. «منذ أن وصلتِ إلى المنزل.»

«تعرفين بالضبط ما تقولين. لكن فقط، افترضي...»

«أفترض ماذا؟»

«افترضي، في لحظة جنون، أنك قررت أن تتزوجي هذا المصرفي. ماذا بعد ذلك؟»

«لا شيء.» حضنتها ثانية. «الأمور ستبقى كما هي، أنا لم أخبره بعد، لكن... إذا تزوجنا عليه أن ينقلنا جميعاً إلى منزله.» ثم استطردت: «بالطبع، أنت تعلمين أنه ليس هناك قرار حاسم بشأن الزواج.»

«إنه لا يفكر بتلك الطريقة. كل ما عليك فعله أن تراقبي عينيه، يا فتاتي، عندما ينظر إليك. يا إلهي، أليس ذلك أمراً يغيظ؟ عندما تصبحين راشدة كفاية لتعرفي ما يفكر به الرجال، تكونين قد كبرت كثيراً لتفعلي شيئاً حيال ذلك! الآن، ما رأيك ببعض البيض المخفوق إلى جانب الفطيرة؟»

كانت الاثنتان منهمكتين بالتهام الطعام، عندما سمعتا صوتاً آتياً من خارج المنزل، وصوت وقع أقدام ثم دخلت مود ووالدها من الباب الأمامي. مود مرتدية زي سباحة لونه أصفر فاتح وشعرها مجدول. ولكن بدا أن والدها يرتدي ثياباً عادية، ولكن ما أن وقف مقابل الضوء حتى لاحظت لوسي أن ثيابه كانت رائعة؛ لقد كان يرتدي بنطالاً أبيض، كنزة زرقاء وحذاءً رياضياً نظيفاً.

نظرت لوسي إلى بنطالها الجينز القديم وقالت في نفسها: هذا الرجل سيسبب لي عقدة نقص دائمة!

قال جيم: «لقد نسيت تماماً أن الدرج الخلفي ليس للاستعمال. صباح الخير، يا جميلتي.» ثم قبّل أنجي مع هذه التحية، وأسرع إلى لوسي وقال: «وأنت أيضاً، يا لوسي.» ثم قبّلها. لقد كان ذلك رائعاً، تورّدت وجنتا لوسي ثم رجعت بضع خطوات بعيداً عنه.

كانت مود أكثر نشاطاً، فهرعت إلى لوسي وقفزت قبل أن تصل بقليل وكادت الاثنتان أن تقعا أرضاً ثم قالت: «نحن ذاهبون للصيد. أنت وأنا ووالدي!»

قالت لوسي: «آه، حقاً؟ لكن عليّ أنا وأنجي أن ننهي الفطور و...»

قالت مود: «سأساعدك.»

هزّ جيم كتفيه وقال: «مود! لقد قامت للتو عن مائدة الطعام.

والسيدة ونترز ستكون هنا بعد بضع دقائق، ستمضي الصباح برفقة أنجي.»

قالت لوسي بينما كانت تنظف الطاولة: «أودّ أن أشكرك، لكن ذلك لم يكن ضرورياً حقاً، هل كان؟»

سأل جيم: «تشكريني؟ على ماذا؟»

قالت لوسي: «على الحراس أمام منزلنا الليلة الماضية، إن ذلك يعطي الفتاة إحساساً بالأمان، تعلم ذلك.» عانقته ثانية. الأمر الذي قبله بكل سرور.

قال: «هيا، الآن. ها هي السيدة ونترز آتية. هل سيكون كل شيء على ما يرام، يا أنجي؟»

قالت السيدة العجوز: «كل شيء. تمتعوا بوقتكم وابتعدوا عن الصخور. هل يمتلك أحدكم رخصة صيد؟»

قال جيم ضاحكاً: «لا. لكن لا أحد منا لا يملك طعماً أيضاً.»

كان قاربه عبارة عن مزلجة بحرية، طولها أربعة عشر قدماً، مصنوعة من الفايبر غلاس، عريضة من الوسط لتضيق عند الأطراف. كان راسياً على بعد حوالي عشرة أقدام من رصيف المرفأ مقابل منزله. كان الموج عالياً، فسألت مود: «هل علينا أن نسبح؟»

أجاب جيم: «نعم، إلا إذا أردت استعمال القارب المطاطي الموجود هناك، هيا أحضريه.»

وبينما ذهبت الطفلة لتفعل ما طلبه منها والدها، انتهزت لوسي الفرصة للاستفسار عن بعض الأمور وقالت: «ما الهدف من هذه النزهة، يا سيد بروكتر؟»

«هذا يسمى موعداً.» ثم ابتسم وتابع: «بالطبع، أنا غير معتاد

على أن أخرج بمرافقة ابنتي، لكن ظننت أن علينا المحاولة معاً. إنني أتودد إليك، يا آنسة بوردن.»

«حقاً؟» ثم عضت على شفتها السفلى وابتسمت قائلة: «تتودد لي؟ حسناً، سأحتفظ برأيي عن ذلك، في الوقت الحاضر.»

لم يبدُ مسروراً كثيراً وقال: «تعالي الآن.» ثم توجه نحو القارب المطاطي، تبعته لوسي وهي تفكر.

كان القارب المطاطي مليئاً بالأغراض التي ما كادت تترك مكاناً لثلاثة أشخاص. لكنهم تمكنوا أخيراً من دفع القارب بعد أن علا صراخهم وصياحهم.

أبحر القارب ذو الشراع الواحد باتجاه الجنوب الشرقي محاذياً الشاطىء الممتد إلى ندبوينت ثم انعطف شرقاً وأبحر بموزاة شاطىء كرنسيت، ثم انحرف جنوباً حتى وصل إلى ستروبري بوينت، حيث توقفوا. رمى جيم المرساة وأنزل الشراع. وبسبب الريح الخفيفة، استغرقت رحلتهم ساعة برغم قصر المسافة.

قال جيم: «هيا نصطاد السمك الآن.» كانت لوسي متمددة على مقدمة القارب، إحدى يديها على الدفة والأخرى على جنبها. توجه جيم إلى حيث لوسي قابعة، ثم أجلس نفسه بين الدفة وحيث كانت يد لوسي الثانية فلم يعد هناك مجال لأقل حركة. الأمر الذي لم يكن شيئاً، برأي لوسي! عندما وضع يده حول كتفيها، بدا ذلك أيضاً أمراً عادياً.

قالت: «ليس لدينا صنانير للصيد.»

«مود معها واحدة، أنت وأنا نراقب فقط.»

لم يكن هناك شك بأن الفتاة كانت تعرف ما عليها القيام به، فقد أخذت الصنارة ورمت الخيط في الماء.

همست لوسي: «وكل ما نفعله هو أن نشاهد ذلك؟»

«نفعل ذلك... وأي شيء آخر يخطر في بالنا.»

«هل سبق لأحد أن اصطاد السمك في هذه المنطقة؟» وجدت أنه من المستحيل أن تبقي صوتها عادياً عندما كانت يده الملتفة حول كتفيها تداعبها.

«لم أسمع بذلك أبداً. لكن هذا لا يهم، ومود لا تهتم لذلك الأمر أيضاً. فسيكون لدينا سمك لنقليه.»

ازدادت مداعبته فقفزت لوسي متوترة. هل أنا سمكة أخرى للقلي؟ ثم قالت: «أنا... أنا جائعة. إن كان هناك شطيرة في السلة، فإني سوف...»

«يا إلَهي، لقد نسيت. هل أنت متأكدة من أنك لست متحدرة من السكان المتزمتين؟»

«آه، لكني كذلك. والحجاج أيضاً و...»

نادت مود وبعض القلق في صوتها: «والدي؟»

لما التفت إليها قالت: «والدي، لقد اختفت البلدة.»

نظر جيم إلى الخلف ليرى أن الضباب قد غطّى المرفأ وحجب رؤية كل شيء. في الوقت نفسه، شيء ما في جيبه أصدر صوتاً. فأخرج جهاز الالتقاط الصغير من جيبه وقال: «هاي، أنا أعتذر.» قال للفتاتين. «لكن أحدهم في المصرف يريدني. من الأفضل أن نعود إلى المنزل بأسرع وقت ممكن.»

همست لوسي في أذنه: «أنت محظوظ إذ أنك تملك جهاز التقاط كي تصرفنا.»

قال جيم بنبرة حاول أن يجعلها تبدو عادية: «لماذا، يا لوسي؟ أنت لا تثقين بي؟»

ردّت: «ليس أنا. لكني أعتقد بأننا إذا لم نصل إلى الشاطىء في غضون نصف ساعة، سيتعين علينا البقاء هنا كل الليل!»

«لا تحاول أبداً خداع أهل الشمال، هاه؟» انتصب واقفاً، وسحب مرساة القارب في وقت قياسي، ثم رفع الشراع ثانية. انطلق القارب ببطء عابراً الأمواج المرتفعة وتوجّه نحو ندبوينت. خلفهم، عند مدخل كايب كود أصبح الضباب في كلفلاند ليدج يغطي المنطقة.

قالت لوسي بينما كانت تتمدد مسترخية: «حسناً، هذا ممتع. كل ما علينا فعله هو أن...»

قالت مود معلقة: «نصلي.» كانت الفتاة الصغيرة فعلاً في موقف صعب؛ لقد توقفت الرياح الخفيفة التي كانت تدفع الشراع للأمام ببطء الأمر الذي أدّى إلى توقف القارب.

قالت لوسي: «أنا لست أكيدة، لكن أعتقد بأننا نخسر السباق ضد تروي الأحوال الجوية. ماذا علينا أن نفعل بعد ذلك، يا كابتن؟»

قال جيم: «الأمر بسيط جداً.» ثم مرّ من تحت ذراع الشراع المتأرجح وعاد بعصوين طويلتين.

قالت لوسي: «آه، لا.»

قال جيم: «هل من خطب؟ إنهما مجذافان، يا فتاة.»

ردت بحدة: «لا تكلمني عن التجذيف. كنت قد خرجت في موعد مع هوغي سميث، منذ ست سنوات، ونفد الوقود فيما لفنا الضباب عند انجليكو بوينت. لقد جذفنا لمدة أربع ساعات قبل أن نصل المرفأ.»

سألت مود: «وماذا حصل له؟»

«لا أعرف. فأنا لم أره أبداً منذ ذلك اليوم!»

قال جيم بروكتر: «أنا سعيد لأنك تجيدين استخدامها. لوسي، تولّي أنت جهة يسار القارب، أنا سأتولى جهة اليمين ومورد، أنت تولي الدفة. اتفقنا؟»

قالت لوسي: «اتفقنا. كم تبلغ المسافة التي سنجذف بها، ومن يعرف متى علينا إدارة الدفّة؟»

«إنّ نِدبوينت تبعد ميلاً واحداً فقط. يجب ألا يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، لا؟ إنه قارب خفيف، وأنا سأعطي التوجيهات. يا إلهي، أنا أعرف مكان كل صخرة ومكان المياه الضحلة في هذه المنطقة.»

قالت لوسي بكآبة: «أنا أراهن على أنك تعرف.» ثم وضعت المجذاف في الحلقة المخصصة له وحاولت أن تختبر قوتها؛ حتى قبل أن يتحرك القارب، شعرت بألم في عضلها.

تطلّب إعطاء مود التعليمات دقيقة واحدة. قال جيم: «لا نريد أن نجذف في دائرة فقط.» بعد ذلك توجّه إلى مكانه والتقط مجذافه.

بسبب خفة القارب، لم يتطلب تحريكه منهم غير بضع ضربات، وعند كل تجذيفة إلى الأمام، كان الضباب يغطيهم أكثر. تدريجياً، غطّاهم الضباب تماماً، تاركاً إياهم وسط عالمٍ سعته خمسون قدماً.

قالت مود بخوف: «أبي، أنا لا أحب ذلك.»

قال جيم ملاطفاً: «لا تقلقي. أنا أعرف مكان كل صخرة وكل عوامة في الجوار.» كان قد سُمع خبطة في تلك اللحظة ثم ارتفع القارب وانخفض ثانية، ثم تحرك ثانية إلى الأمام. فقال جيم: «أرأيت، ها هي إحدى العثرات نتجاوزها.»

قالت مود: «هذا مضحك.» بينما كان والدها يحرك الدفّة قائلاً: «لوسي؟ افعلي شيئاً!»

ردّت لوسي: «إنني أفعل.» كان تنفس لوسي يتقطع، وتلك العثرة غيّرت اتجاههم. انحنت فوق مجذافها تحاول مطابقة حركتها مع حركته برغم صعوبة الأمر. خلع جيم قميصه وبدأ يجذف بمجذافه كأحد القراصنة، لم يكن مظهره يدلّ على مهنته... مصرفي... كانت عضلات يديه نافرة كالاسلاك. لقد كان يجذف وكأنه كان في بركة في الحديقة حيث لا يوجد أي بقعة ضباب تعيق حركته.

قال جيم: «تحلمين مستيقظة؟» فقفزت لوسي، إذ أنها كانت متكئةً على مجذافها تراقبه وذهنها شاردٌ مسافة مليون ميل.

قالت: «فقط... أراقب كيف تفعل ذلك. هل نحن سائرون في الاتجاه الصحيح، يا مود؟»

أجابت مود: «لا أدري، فكل الاتجاهات تبدو متشابهة.»

صرخ جيم بمود: «فقط راقبي البوصلة.» لقد كانت تلك المرة الأولى التي تسمع فيها جيم يصرخ في ابنته، الأمر الذي جعلها تتوقف عن التجذيف ثانية وتراقبه.

صرخ جيم بلوسي: «لا تحملقي بي. جذفي! جذفي الآن.»

قالت لوسي: «إني أجذف.» ثم استجمعت كل قوتها وأخذت تجذف، لكن ذهنها كان مشغولاً بالتفكير بأمر آخر. سايمون ليغري الروماني، أيام العبيد كان يقول: احمل ذلك البرميل، احمل تلك الرزمة، جذف. شكراً لله لأنه لا يحمل سوطاً!

كان قد مضى على تجذيفهم أكثر من ساعة عندما قالت مود ثانية وهي على وشك البكاء: «إني خائفة.»

قالت لوسي من دون أن تكون واثقة مما تقول: «كل شيء

موضوع في أيدٍ أمينة. والدك يسيطر على الأمور كلها.» ثم اتكأت لوسي على عمود الصاري بينما أخذت مود تشهق باكية.

عادت وقالت: «أنا خائفة، سأكون الفتاة الوحيدة في الصف الابتدائي الثالث التي تضيع في البحر وتغرق.»

قالت لوسي: «هذا هراء. نحن في وسط مرفأ محدد ومغلق. هناك مئات الأشخاص من حولنا يقومون بأمور عادية. ووالدك يعرف كل شيء وعلينا أن نثق في حكمته ومهاراته.» ثم بحثت في السلة الموضوعة بين قدميها عن بلوز خفيفة وكانت على وشك ارتدائها حين انتزعتها ثانية ورمتها للفتاة التي كانت ترتجف وقالت: «هاك، ذلك أفضل!»

قالت مود: «أفضل. قولي لي إنني لست خائفة.»

«أنت لست خائفة، يا طفلتي. ليس هناك ما يستدعي الخوف.»

علق جيم قائلاً: «ولا أي شيء، ولكن سيكون الأمر أسهل بكثير إذا لم تتوقفي عن التجذيف، يا امرأة! كل شيء على ما يرام، أنا أعرف بالضبط أين نحن و...» يا إلهي، عبر قاربهم ثانية فوق صخرة أخرى فارتفع وانخفض.

صرخت مود بفرح: «هناك ضوء. أستطيع أن أرى نوراً!» فالتفت جيم لينظر، لقد كان هنالك ضوء بالفعل، تماماً مقابلهم، ضوء كبير.

قال جيم ضاحكاً: «هاي، لقد نجحنا، لقد...» وفي تلك اللحظة بالذات عبر القارب فوق صخرة أخرى دفعت بهم إلى بقعة صغيرة من الرمل وإلى الشاطىء نفسه. التوقف الفجائي أدّى إلى وقوعهم في القارب. ثم استعاد وعيه بسرعة.

سأل: «مود، هل أنت بخير؟»

قالت: «لقد ارتطم ذراعي.»

سأل: «وأنت، يا لوسي؟» قالت في نفسها: أليس ذلك حسب الأولوية؟ يسأل ابنته أولاً؟ هل أنا أغار؟ ربما قليلاً. إنه يتصرف، على التأكيد، حسب الترتيب الصحيح.

ردّت لوسي: «أنا بخير، هناك بعض الكدمات والرضوض وأنا بخير.»

قال جيم: «فتاة طيبة.» بعد ذلك ذهب لينزل الصاري الذي كاد يقع على رؤوسهم لولا أن أزاحه.

جلس جيم بروكتر في المكان الذي يجلس فيه القبطان عادة ثم قال بتعب: «أرأيتم، ها قد وصلنا.»

سألت مود بالحاح: «إلى أين؟» بعد ذلك هبت الرياح لتبعد الضباب، لقد كان القارب على بُعد بضع بوصات عن الرمل.

قال جيم: «لماذا... في المكان الذي توقعت.» لقد كانوا أمام منارة ندبوينت. ثم قال: «لينزل الجميع من القارب!»

ليس كل من يسكن قرب البحر بحاراً، ليست كل امرأة جرفها تيار الحب، عندها القوة لتقاوم مخاوفها الداخلية عندما تواجه الخوف الخارجي. لقد كانت لوسي واحدة من تلك النساء، لقد كانت الثقة ترشح منها. بعد أن شعرت بارتياح، ضمت مود لوسي بقوة ثم تمتمت: «لم أكن خائفة.»

أجابتها لوسي مؤكدة: «ولا أنا. وبرغم كل شيء كان والدك معنا ليرعانا.»

قال جيم بينما كان يضم الاثنتين بين ذراعيه: «لا تمدحيني. على الأقل أستطيع الآن أن أعترف. لقد كنت خائفاً...»

قالت لوسي: «جيم!»

عدّل في كلامه وقال: «لقد كنت قلقاً. هيا، هذه هي نهاية الطريق بالقارب. ابتداءً من هنا علينا السير!»

ابتسم جيم لمن معه ثم أنزلهما من القارب إلى الرمل وناولهما السلال. ندبوينت هي عبارة عن حديقة صغيرة، تقع في منتصفها المنارة التي، لسنوات خلت، كانت الدليل لمدخل المرفأ. كان هناك بضعة مقاعد حيث يجلس الناس ليتأملوا البحر في أحوال جوية، على التأكيد، أفضل من هذه. تسلق الثلاثة المنحدر، اختاروا أحد المقاعد ثم جلسوا.

«حسناً.» قال الثلاثة في وقتٍ واحدٍ ثم بدأوا بالضحك.

قالت مود بثقة: «لقد كنت واثقة من أننا سنكون بخير، فوالدي يستطيع القيام بأي شيء.»

أخذ جيم سندويشاً من السلة ثم قال: «تناولي سندويشاً واصمتي.»

قالت لوسي: «ابنتك، قطعاً، على حق.»

للمرة الأولى في حياتها القصيرة تشعر لوسي أن ذلك صحيح. فمنذ أن توفي والدها لم تشعر لوسي بتلك الراحة عندما تعتمد على شخص أقوى منها. ثم قالت في نفسها، بينما كانت تأخذ سندويش سمك التونة الثاني من جيم: ولكنه لا يجسد والدي. إنه... إنه فارس أحلامي بسلاحه القاطع! بالطبع، لقد كان عملاً غبياً أن نقوم بالابحار في يوم يغطيه الضباب لكنه تجاوز ذلك القرار التعيس، واعتمد على خبرته في أن يرجعهما سالمتين إلى الشاطىء، و... ليس هناك من رجل كامل، لكن جيم بروكتر هو قريب من الكمال بالنسبة لما تتمناه فتاة مثلي. ربما ليس صحيحاً أني لا أحبه! أليس كذلك؟

كان طعم سندويش سمك التونة كطعم سندويش طعام مالح جداً. بدأت مود بالتذمر من طعمه ولما نظرت إلى والدها توقفت عن التذمر. إذ أن شكل جيم قد بدا وكأنه قد نزل لتوه من فلك نوح.

كان جيم يقضم السندويش ويتلفت حوله. عندما رن جهاز الالتقاط ثانية، فهز رأسه قائلاً: «اخترت العمل المصرفي كي لا أضطر إلى العمل أبداً أيام العطلة. ولكن انظري إليّ الآن، إنه ظهر يوم السبت، وهم يحاولون الاتصال بي.»

كان ذلك أمراً سخيفاً. وما زال الضباب يغطي عالمهم، وكان كل شيء رمادياً في ما بعد دائرة الخمسين قدماً التي تحيط بهم والمنارة. ولكن جهازه كان ما يزال يرن داعياً إياه إلى عالم سيارات الكاديلاك والحسابات.

قالت لوسي العملية: «حسناً، كل ما علينا فعله هو أن نسلك هذا الطريق. لا يمكن أن تبعد أكثر من نصف ميل حتى نصل إلى مدخل منزلنا. سوف نترك السلال...»

قال جيم بروكتر مقاطعاً: «والقارب.»

قالت مود: «هناك أشياء كثيرة مبعثرة.»

قال جيم: «لكننا سنرسل أحداً ليحضر كل تلك الأغراض...»

أكّدت لوسي: «بعد أن ينجلي الضباب. هيا، هيا، تحركا.»

قالت مود بعد ذلك بلحظات: «أتمنى لو أنك كنتِ سوبرمان، لكنت طرت بنا...»

قال جيم موبّخاً إياها: «لا تلعني حظك، امشي الآن.» كانت مود تتراقص بينما كانت تمشي أمامهما. شبكت لوسي ذراعها بذراع جيم وقالت بصوت منخفض حتى لا تسمع الفتاة: «ما الذي حصل؟»

سأل: «بماذا؟ الضباب؟»

«ليس الضباب، أيها السخيف. اليوم. لماذا؟»

«آه، هذا الموضوع.» ثم وضع يده بيدها بينما كانوا يبطئون خطواتهم: «آه، إنها عادة قديمة تسمى موعداً. ومؤكد أن امرأة حسنة المظهر مثلك، قد خرجت في موعد من قبل؟»

«حسناً أجل، لقد فعلت. لكن أبداً لم أكن بصحبة أشخاص أخذوني في الضباب و...»

قال مقاطعاً منزعجاً: «إذن ربما لست ماهراً في تلك الأمور. لقد أمضيت كثيراً من الوقت محاولاً جمع المال. زوجتي الأولى كانت كهدية مغلفة أرسلت لي بالبريد.»

«على الرغم من الضباب، وكل شيء، لقد كنت رائعاً، خاصة في التصرف مع ابنتك. إنها المرة الأولى التي أخرج فيها مع رجل وابنته، ولكم كان ذلك ممتعاً. ربما نكرّر ذلك ثانية؟» ثم شدّت أكثر على يده، فتوارى انزعاجه ومشى الاثنان بارتياح خلف مود. النقط الرطبة التي كانت تسقط على لوسي بسبب الضباب لم تعد تزعجها أبداً. ثم قالت في نفسها: ربما يمكن لنا تكرار ذلك. كان الثلاثة يمشون معاً يتشاركون عالماً دائرياً قطره لا يزيد عن خمسين قدماً، وقد كان ذلك كل ما تحتاجه لوسي.

لم يكونوا قطعوا أكثر من ربع المسافة إلى منزلهم عندما كانت سيارة بونتياك تمشي خلفهم ببطء، ثم توقف السائق.

قال جيم بينما كانوا يصعدون إلى السيارة: «إنه يوم غير مناسب للخروج إلى أي مكان.»

قال السائق: «أجل.» كان كبيراً في السن، وجهه أحمر ولحيته بيضاء. ثم استأنف قائلاً: «لقد قمتم بالعمل الصحيح، امشوا متى تستطيعون ذلك. ما كنت لأخرج أنا أيضاً لولا أن أحمق أرسل إشارة لاسلكية من زورق لي. أنا أعمل في خفر السواحل. ونحن نجيب كل النداءات. لقد تمنيت لو أن ذلك الأحمق قد خطط بطريقة صحيحة لرحلته. ولكم أن تتخيلوا؟ لقد دخل منطقة الضباب من دون رادار أو أي شيء؟ ولا يملك الوقود الكافي ليرجع إلى الشاطىء؟»

قال بروكتر بينما كان يسكت ابنته في اللحظة نفسها: «لا، لا يمكنني أن أتصور ذلك. ها هو منزلنا، شكراً لك على توصيلنا.»

همست لوسي في أذنه بينما كان يخرجها من السيارة: «أنت رجل محظوظ.» حملق بها ثم سارا سوياً.

هرعت أنجي والسيدة ونترز إلى الباب عندما سمعتا وطأ أقدام وصوت محرك السيارة. قالت أنجي: «لقد بدأنا نقلق عليكم. هل كل شيء على ما يرام؟»

قال جيم بينما كان يتوجه إلى الهاتف: «كل شيء على ما يرام، لقد واجهنا مشكلة صغيرة ولكن الجميع يواجه ذلك في يوم كهذا. آلو؟»

قالت مود: «لقد كان سائق السيارة من خفر السواحل، قال لنا بأن أي شخص يبحر في يوم كهذا عليه أن يفحص رأسه.»

قالت لوسي: «أعتقد أنه من الأفضل لك أن تصعدي إلى الطابق العلوي وترتدي شيئاً أثقل، لقد تركت بعض الثياب هنا، في آخر مرة بت هنا.»

قال جيم بينما كان يضع سماعة الهاتف في مكانها: «اللعنة! لا يمكنني تصديق ذلك.»

سألت أنجي: «أن تصدق ماذا؟»

قال جيم باشمئزاز: «إنه بعد ظهر يوم السبت، وقد وصل فريق من المدققين الفدراليين للتحقق من الحسابات. إنه أسوأ من...»

قالت لوسي: «سأوصلك.»

قال جيم: «لا داعي. لقد طلبت من سائقي الحضور. ولكني أكون ممتناً لو أبقيت مود عندك، وسأعود حالما أنتهي من هذا الهراء. لقد نسيت بأني منحت حارسيّ عطلة، إذ أني اعتقدت

بأننا...» لقد كان هناك لمعان شديد في عينيه، إحدى يديه ربتت على كتف لوسي.

قالت لوسي بينما كانت تبتعد عنه: «هكذا تسير الأمور، انتبه. إنه الضباب في كل مكان، أعتقد أني أضرم النار كي تبعد الصقيع. ربما يمكننا تناول الهوت دوغ المشوي على النار. سيدة ونترز؟ لا حاجة لك للبقاء هنا إذا كان بامكانك الوصول إلى البلدة.»

قال جيم بينما كان ينظر من النافذة: «سأقلها معي. لقد وصل السائق.»

قالت أنجي معترضة: «لكنك مبلل، يا جيمبو. بالتأكيد يمكنك تغيير ثيابك قبل أن تذهب إلى العمل؟»

ردّ جيم: «لا تقلقي. إنني منزعج الآن إلى درجة تجعلني أجفف تلك الثياب بعد بضع دقائق من الغضب. لا تقلقوا جميعاً، يوماً سعيداً، لوسي لقد كان يوماً جميلاً... ربما يمكننا القيام بذلك مرة أخرى.»

قالت لوسي مدركة أنه يودّ ذلك بقوة: «ربما يمكننا ذلك.» ثم سألت نفسها: هل أحاول بقوة أن أمنعه؟

نزلت مود من الطابق العلوي بينما كان والدها متوجهاً إلى الخارج. لقد كانت ترتدي بنطالاً قطنياً وقميصاً أبيض، وشعرها مفروق جانبياً ثم قالت: «والدي؟» وهرعت إليه ورمت بنفسها عليه، فحملها وقبلها. فسألته: «ألا أستطيع الذهاب معك؟»

أجاب: «ليس هذه المرة، يا حبيبتي. ستبقين هنا مع لوسي وتصنعان الغداء فوق النار.»

ردّت مود: «أحب ذلك، إنني ولوسي...»

فصححت أنجي: «لوسي وأنا.»

قالت مود: «نعم، على لوسي وأنا أن نتعرّف أكثر، هاه؟ سيدة ونترز هل تعلمين بأن لوسي ستكون والدتي الجديدة؟»

اعترضت لوسي: «حسناً... ذلك سابق لأوانه قليلاً. نحن لم...»

قال جيم مقاطعاً: «بلى، فعلنا. اعتبريه وكأنه تم. صباح الثلاثاء المقبل، في الكنيسة العامة، الساعة الحادية عشرة.» ثم توجه خارجاً وضرب الباب خلفه.

قالت لوسي بينما كانت تضع كلتا يديها على الباب: «أووه! إن ذلك الرجل يثير غضبي! يعتبر كل شيء يقوله وكأنه أمر مقدس! ولا يصغي إلى غيره أبداً. لقد قلت له لا، مئة مرة! أودّ لو أضربه في وسط أنفه!»

سألت أنجي بلطف: «إذاً لماذا لا تفعلي؟»

ردّت لوسي: «لأني... أنا... أخاف أن يردّ لي الضربة.» ثم وضعت لوسي وجهها بالأرض تفادياً لاحراج العينين المتسائلين. بعد أن أمضت ما مرّ كأنه أسابيع، تفكر من هو هذا الرجل، لم تستطع أن تجد طريقة سليمة لتعلن أنها غيّرت رأيها بشأنه. فمن الصعب على الانسان أن يعترف لمن يحبه مباشرة، أليس كذلك؟

قالت أنجي: «آه.»

قالت مود: «أنا لن أدعه يفعل ذلك، ولو كان أبي، أنا أريدك أن تكوني والدتي. إذا رفع يده بوجهك، يا لوسي، أنا سوف... أنا سوف أعضه من كاحله!»

قالت لوسي: «وذلك على الأرجح هو أفضل عرض تلقيته منذ أسابيع. هل لنا أن نبدأ بتحضير الغداء؟»

الفصل الثامن

قالت لوسي بينما كانت تستلقي على المنشفة على بطنها: «إنني متشنجة.»

قال جيم: «سأضع لك قليلاً من هذا الكريم يحمي جلدك من حروق الشمس.» أخذ يقوم بذلك من دون أن تبدي لوسي أي اعتراض. ابتسمت عندما أراحها ذلك.

قالت بينما تقلبت على ظهرها محاولة إغاظته: «ليس سيئاً بالنسبة لمصرفي.»

قال: «لا تقولي ذلك، فممكن ألاّ أكون طول الوقت مصرفياً، هناك مليون شيء يمكن أن أكونه.»

ركضت مود إليهما وقالت: «هل ستجلسان أنتما الاثنان هنا على البطانية طيلة اليوم؟»

قالت لوسي: «سنكون معك بعد لحظة.» ركضت الطفلة إلى البحر وغطست فيه.

قال متنهداً: «يا إلهي، يا له من أسلوب للتودد.»

«آه؟ هل هذا ما يحصل اليوم؟ اعتقدت أنك اكتفيت من ذلك يوم أمس؟»

«ليس تماماً، يا امرأة. ليس هناك وقت كاف، سنتزوج يوم الثلاثاء.»

قالت لوسي في نفسها: آه، حقاً؟ لماذا لا استطيع تصديق هذه الفكرة بالذات؟ حتى لو كنت أريد ذلك؟ هذه الفكرة فقط لم تكن تستطيع تفسيرها.

لم تحتج إلى تغيير الموضوع. إذ أن جيم فعل ذلك. قال ونظرة شك مرتسمة على وجهه: «ولا تقولي لي إنك لا تشعرين بتحسن.»

«لن أعترض. لكن ابنتك تراقبنا وأعتقد أنها متوجهة نحونا.»

في لحظة الصمت التي تلت كانت الأمواج تقوم برقصة الفالس على الشاطىء. وعادت طيور النورس تصطاد لتؤمن طعامها. بعضها قد أصبح أليفاً، يلحق بالقوارب في المرفأ، ينتظر المارة ليرمي لها بالفتات. وما يزال بعضهما الآخر غير أليف، يصطاد المحار الذي يرمى به على صخر مجاور لتواجدهما ومن ثم محاربة الآخرين لنيل المحتويات. تنهدت لوسي، فكل ذلك كان وطناً بالنسبة إليها: الشاطىء، البحر، الطيور، المنزل والرجل؟

أمر جيم لوسي: «استديري.» ولا شعورياً أطاعت لوسي جيم وقامت بذلك.

سألت لوسي: «هل سمعت أخباراً عن إيلويز؟»

«البارحة فقط. في الحقيقة من والدتها. إيلويز في حالة اكتئاب ووالدتها ستأخذها في رحلة حول العالم. لقد أرادت أن تعرف... الجدة، إن كانت تستطيع أن تصطحب مود معها.»

«آه، يا إلهي... أنت لم؟»

«لا. لقد أخبرت الجدة أني أودّ أن تبقى معي لأنها مصابة بمرض الجدري.»

«الذي هو مرض لم تُصب به الجدة؟»

«فتاة ذكية، مرض لم تصب به الجدة.» حملقت لوسي بعد ذلك بالتجاعيد الخفيفة الموجودة على وجهه الأسمر ثم قالت في نفسها: كل العدل فيه، لكن من دون رحمة. ولو حدث أن انتهى بي

الأمر أمامه لينفذ بي حكم الاعدام رمياً بالرصاص؟ فهو سيضغط على الزناد من دون تأنيب ضمير!

دقّت أجراس الكنيسة في الجوار فقالت لوسي: «إنها العاشرة، يا الله، سأتأخر عن القداس ثانية. هذا يجعل...»

قال جيم بينما كان يشدّها إلى الرمل ثانية: «يا لضميرك. مع هذه الزيارة كم يصبح عدد زياراتك هذه السنة؟»

«لا أستطيع التحديد لكنها مرات قليلة. حسناً، لأقول الحقيقة، إنها كثيرة جداً.» وقفت ثانية وأزاحت يديه عنها. نادمة على ما قامت به. لكنها تقوم بما يمليه عليها ضميرها. فقالت في نفسها: إنه عمل سيء أن أكون مستلقية على الشاطىء صباح الأحد، أتمتع بالحياة، مع رجل بينما يفترض بي أن أكون في الكنيسة!

«لقد تأخرت كثيراً الآن، إذاً لماذا العجلة؟ بعد يوم البارحة علينا أن نتمتع بيوم هادىء. لكان ممكن أن نبحر سوياً، لكن عندما أعادوا المركب، وجدوا ثقباً في مقدمته.»

وقفت لوسي ونفضت الرمل عنها، فوقف جيم أيضاً يحمل بيده زجاجة الكريم وعلامات الانزعاج بادية على وجهه فقبّلت خدّه ثم قالت: «إنني أغيّر رأيي فيك، أنت حقاً تتحول إلى رجل لطيف.»

«أنا مسرور لأنك تشعرين كذلك، موعد الزفاف ما يزال يوم الثلاثاء، تعلمين ذلك.»

«حسناً، أنا لا أدري بأنك لطيفٌ لهذه الدرجة.» ثم ركضت وتوجهت نحو البحر فلحق بها كمقاتل يلاحق فريسته التالية.

تناول آل بروكتر طعام الغداء مع لوسي وأنجي. لقد بدأ ذلك الأمر يصبح عادة، الأمر الذي أعجب السيدتين. حوالى الساعة الثالثة، عندما لم تعد مود تستطيع فتح عينيها، قدّم جيم

اعتذاراته واصطحبها إلى المنزل. أخذت أنجي ولوسي تراقبانهما من الرواق الخلفي بينما كان يمشي وابنته على كتفيه كمن يركب فيلاً.

سألت لوسي: «تحبينه، أليس كذلك؟»

أجابت أنجي ونظرة حزن ظهرت على وجهها ثم اختفت: «أجل، إنه رجل لطيف. لو كنت تعرفين عائلته، يمكنك القول بأنهم ينجبون رجالاً لطفاء ونساء ألطف.»

أحسّت لوسي بتغيّر تعابير وجه أنجي، فاقتربت من الكرسي المتحرك حيث تجلس أنجي، وملّست شعر أنجي الأبيض الخفيف الذي كان يتلاعب فيه الهواء وقالت: «أنت لست على ما يرام، أليس كذلك.»

«آه، إنني بخير.»

«لا تقولي لي ذلك. ربّما أكون فتية وحمقاء ولكني لست عمياء، هيّا، الآن، اعترفي.»

وضعت أنجي يدها على يد لوسي. فوبّخت لوسي نفسها قائلة: لم ألاحظ، أن جلدها كالورق الشفاف، إنها تذبل أمام عيني وأنا لم ألاحظ. ثم غزا ذهنها احساس قوي بالذنب.

«لا أحد يعيش إلى الأبد، إنني أتوق ليأتي يوم الثلاثاء.»

«الثلاثاء؟ لماذا الثلاثاء؟»

«لأنني أصغي وأراقب، يا حبيبتي، وأعلم أنك ستتزوجين منه يوم الثلاثاء.»

«يا إلهي، هل الأمر بادٍ عليّ لهذه الدرجة؟ إنه لا يعلم ذلك، برغم كل كلامه.»

«آه، ستتزوجين منه، حسناً. و... تعيشين سعيدة إلى الأبد. أليست الأمور تجري هكذا؟ وتعرفين شيئاً آخر؟»

«لا، ماذا؟»

«يوم الثلاثاء سيصبح عمري ثلاثة وتسعين عاماً.»

«يوم الثلاثاء؟ لم أكن أعلم ذلك! ثلاثة وتسعون؟ واو!»

«واو بالفعل.» ثم بدا صوتها أضعف وأضافت: «إني أعيش فقط لأرى ذلك اليوم، يا لوسي. أريد حقاً أن أرى ذلك اليوم قبل أن...»

«هاي، لا أريد سماع هذا الكلام. إني أعرفك منذ زمن ولكني لم أكن أعلم أنه يوم مولدك. علينا أن نحتفل، أليس كذلك؟»

«أجل. مباشرة بعد حفل الزفاف، ألن يكون ذلك رائعاً؟»

«أجل. سيكون ذلك رائعاً. متعبة، أليس كذلك؟»

«نعم. إنه أمر غريب. لقد توقفت عن أخذ القيلولة منذ خمسة وثمانين عاماً، ولكني أكيد بأني أودّ أخذ قيلولة الآن.» ثم ربتت على يد لوسي وقالت: «أنت فتاة لطيفة، يا لوسي. يالك من مخلوقة رائعة. أتمنى أن يكون يستحقك.»

«أو النقيض. هيا، الآن، لنبعدك عن الهواء.»

«لا، لا تقولي ذلك أبداً. لا أريد أبداً أن أبتعد عن الهواء والبحر. في الحقيقة عندما أموت أنا...»

«يا إلهي دعينا لا نتكلم عن ذلك الموضوع. لن يموت أحد، ما يزال أمامنا الكثير من السنين.»

«الجميع يموتون، يا لوسي. الموت هو جزء من الحياة مثل... يا إلهي، فتاتي، لا تبكي عليّ!»

«أنا لا أفعل.» ثم مسحت لوسي دموعها.

«آه، لوسي، عندما أموت أودّ أن ترثي كل ما هو لي.» رفعت لوسي يدها لتعترض ثم تابعت أنجي: «لا، لا، لا تناقشي. ليس عندي أحد غيرك. لقد أخبرت محاميّ الأسبوع الفائت، وصيّتي

موجودة في علبتي، في الخزانة. لم يبق أحد من أقاربي على قيد الحياة، إنني الوحيدة المتبقية. وهناك شيءٌ أودّ منك أن تنفذيه لي، أودّ أن أحرق وتنثر رفاتي على المرفأ.»

«حسناً، يكفي ما قلناه في هذا الموضوع.» استجمعت لوسي قواها، وبعد لحظات كانت السيدة العجوز في سريرها ولم يمض أكثر من عشر دقائق حتى كانت نائمة.

قالت لوسي في نفسها، بينما كانت تجلس على الكرسي الملاصق لسرير أنجي: لاحظي كم هي شاحبة. لقد كانت تجارينا، تقوم بكل شيء، تشاركنا بكل شيء ولكنها أهلكت نفسها! هل عليّ أن أتصل بالطبيب؟ حسناً، ربما ليس بعد. غداً بالتأكيد!

قالت لوسي في نفسها: ها هو الغد، والغد هو الاثنين حسب برنامج السيد. إنه يوم اثنين مشمس. أنجي كانت ما تزال نائمة عندما مددت لوسي عضلاتها وخرجت على أطراف أصابعها وصعدت إلى الطابق العلوي للاستحمام. لقد أمضيت الليل جالسة على ذلك الكرسي الملاصق لسرير أنجي. لقد تقلبت السيدة في نومها، تبتسم، تبكي، تستعيد صوراً من حياتها، تحلم. ومع ذلك كانت تمسك بيد لوسي وتعترض إذا سحبت لوسي يدها. عندما بدأ الفجر، كانت أنجي مستلقية على ظهرها، تتنفس بصعوبة، غارقة في النوم، وتركت يد لوسي.

كانت المياه الساخنة منعشة، أرخت عضلات لوسي، وزادتها قوة لمواجهة الحياة. قوة مؤقتة لكنها جديدة. اليوم كان يوماً جديداً. ابتسمت بينما كانت تنظر إلى خزانتها. اليوم هو بالتأكيد سوف... أو ربما هي بالتأكيد سوف تقول شيئاً سيجمعهما طول العمر. لقد كانت فكرة مذهلة، فكرة لم تخطر ببالها من قبل أبداً.

أرادت شيئاً خفيفاً تلبسه، شيئاً زاهياً. لقد كان ذلك تغيراً جذرياً؛ القطن ليداعب جسمها بلطف، لونه ذهبي ليعكس سعادتها. وفراشة صغيرة على شكل قلب مطرز على صدر الفستان المبطّن تحته فقط، لأنه، على الرغم من كل شيء، كان شهر آب، وآب شهر الحر الشديد، وخفّ لأنه كان يصعب تحمل الحذاء. عادت بعد ذلك إلى الطابق السفلي، أنجي كانت ما تزال نائمة، والشيء الأول الذي عليها فعله هو الاتصال بالطبيب.

قال الطبيب هالبرن: «السيدة مور كبيرة في السن، معظم أعضائها تالف ولكن إن كان ذلك يسعدك، لوسي، سأرسل لك سيارة الاسعاف مع ممرضين... آه، لنقل قرابة الساعة العاشرة، وهما سيقلانها إلى المستشفى إذا كان ذلك ضرورياً.» فقالت لوسي في نفسها: إنه أفضل شيء أقوم به. فلا أطباء يلبون دعوات للمنازل هذه الأيام، حتى في أميركا الجميلة. إن كنت فعلاً مريضاً، فإن سيارة الاسعاف تقلك إلى المستشفى حيث العلوم الطبية تحلل وتداوي وتكون التكاليف باهظة جداً! إذاً، يصل العلاج مع فريق من المسعفين الذين قد ينقلون وقد لا ينقلون أنجي إلى المستشفى.

أخذت لوسي تتجول في المنزل على أطراف أصابعها تفادياً لاصدار أي صوت، تتحقق بين وقت وآخر من حالة أنجي، ثم حضرت طعام الفطور لها. في زاوية المطبخ كانت هناك طاولة تكفي لشخصين قرب شباك يطلّ على عالم البحار. جلست لوسي إلى تلك الطاولة وتناولت قطعة من الخبز المحمص وفنجاناً من القهوة، وبعد تفكير، أكلت بيضة مع قطعة خبز أخرى بينما كانت تشاهد المراكب تدخل وتغادر المرفأ، مبحرة وراء الأفق إلى مكان يعلمه الله.

في الساعة الثامنة، ظهرت مود التي أسكتت على الفور بعد شرح للموضوع. فتسللت مود إلى غرفة أنجي ثم عادت إلى المطبخ وجلست إلى طاولة لوسي ثم سألت: «أليس هناك طعام فطور؟» فقدّمت لها لوسي قطعة خبز متبقية.

قالت مود: «لا فطور. لقد استيقظ باكراً وذهب إلى المصرف.» لم يكن هناك داعٍ للقول من هو. ثم تابعت مود قائلة: «لقد اتصلت السيدة ونترز وهي مريضة أو شيء من هذا القبيل. لا، لقد كان ابن خالها مريضاً.» فقال والدي: لماذا لا تذهبين وتزعجي لوسي قليلاً؟ وأنا قلت: هذه فكرة حسنة، فهي تحضر طعام فطورات لذيذاً أفضل بكثير من الذي تحضره أنت. وقد بدا عليه وكأنه أراد أن يلقي بي من النافذة، أودّ بيضتين، لو سمحت.»

«للفطورات؟»

«نعم، أنت تعلمين، أنها جمع لكلمة فطور، ألا تعلمين ذلك؟»

«أعتقد أنني لا أعرف، يا حبيبتي. حسناً. بيضتان، عصير البرتقال، الحليب.»

«قهوة.» ثم أخفضت الطفلة رأسها.

«متى كانت آخر مرة سمح لك فيها والدك بتناول القهوة مع الفطور، يا سيدتي الصغيرة؟»

«ولا مرة. لكني فكرت بأنك، أكثر لطفاً منه، ستجعلينني أجربها؟»

وهكذا أحضرت لوسي، الموافقة على أنها. «أكثر لطفاً من جيم.» كل ما طلبته مود. اعترتها الحيرة سوف يكون هذا اليوم مجيداً. الطبيعة الأم تمهد المسرح، ولكن مرض أنجي كان ينغص عليها ذلك اليوم. ربما كانت السيدة العجوز نائمة فقط، بالطبع. لقد أمضوا بضعة أياماً ممتعة، تلك العائلة الصغيرة. لكن

يبدو أنها فقط متعبة أكثر من العادة. لذلك ستتعامل مع الأمور ببساطة في هذا اليوم، وترى ما الذي سيحصل. يداها بعيدتان عن عقلها، حضرت لوسي طعام الفطور.

في كل مرة كانت لوسي تعبر المطبخ ذهاباً وإياباً، كانت حركتها هذه تتضمن إلقاء نظرة على سرير أنجي، لم يتغير شيء. وفي كل مرة تحاول مود قول شيء، كانت لوسي تسكتها بوضع اصبعها على فمها. لذلك لم يكن الأمر مفاجئاً أنه، عندما دخل جيم بروكتر إلى المنزل، مود ولوسي أسكتتاه.

قال بعد أن احمرّ خدّاه من شدة الغضب: «ماذا يحصل بحق الجحيم؟ أريد التحدث إليك، يا آنسة بوردن!» من الواضح أنه لم يكن ليسكت. لذلك، أخذته لوسي من ذراعه وخرجت عبر الباب الأمامي بعيداً عن المنزل.

قالت لوسي: «أنجي ما تزال نائمة. الآن، ماذا في الأمر؟»

«تعرفين تماماً ماذا في الأمر، مدققو الحسابات أتوا في العطلة لأنه لم يكن لديهم الوقت الكافي للقيام بكل ما أرادوا القيام به. مصرف آخر في تاوتون أغلِقت أبوابه يوم الجمعة بسبب عدم وجود ضمانات لأموال مستثمرة في قروض لأصحاب العقارات. الأمر نفسه الذي يسود كل نيو إنغلند.

حاولت لوسي أن تُظهر تفهمها للموضوع برغم أنها لم تفهم شيئاً.

تابع جيم القول: «لذلك، تحققوا من بعض القروض التي منحناها. ثم بدأ صوته يصبح أكثر خشونة عندما قال: «إذن، ماذا تعتقدين أنهم اكتشفوا؟»

لوسي، التي ليس عندها أدنى فكرة، هزّت كتفيها فقط ليمسك جيم حينها بكتفيها ويشدّ عليهما. ثم تابع: «لا، بالطبع لا تعرفين

ماذا اكتشفوا.» هزها ثانية الأمر الذي جعل الدنيا تبدو لها دائرية، ثم قامت باحتجاج صغير.

صرخ جيم قائلاً: «لا تتظاهري بذلك، سأخبرك ماذا اكتشفوا. اثنان وأربعون ألف دولار قروض للوكسترا بوردن، من دون أي ضمانات. كل تلك القروض، حسب موظفنا السابق السيد ليدرمان، منحت تحت عنوان توقعات. الآن، بحق الجحيم، ماذا يعني ذلك؟» ثم هزّها مرة أخرى وكأنه يريد تحريك ذهنها، فكرت لوسي لكن كان لتلك الهزّة أثر عكسي.

قالت: «اثنان وأربعون ألف دولار. لا تفعل ذلك.» ثم استطاعت أن تتخلص من قبضته وفركت كتفيها ثم قالت: «لم أعتقد أن القرض كبير لهذه الدرجة، لكن بعد فترة، لم يبدُ لي مهماً أن أعرف قيمته، أنت تعلم.»

«لا، لا أعلم أيتها الماكرة الصغيرة. بحق الشيطان، لماذا تحتاجين كل ذلك المال؟»

«لماذا؟ لأصلح المنزل. لقد كان السقف يرشح ماءً.»

«اثنان وأربعون ألف دولار لإصلاح هذا الخم القديم؟»

«أتمنى ألاّ تستمر في قول ذلك.»

«قول ماذا؟»

«قول اثنان وأربعون ألف دولار. فأنت تجعل ذلك يبدو لي غير أخلاقي لكي أقترض... ذلك المبلغ كله. لقد كان كل شيء قانونياً، وأتمنى ألاّ تصرخ في وجهي بهذه الطريقة لأني...»

همس بصوت لا يكاد يكون مسموعاً بعد أن كان يزمجر: «لأنه لم يكن لك أية نية لتسديد ذلك القرض، أليس كذلك؟» سألت لوسي نفسها بيأس هل هذا الرجل الذي كانت ستتزوج منه؟ هل هذا الرجل الذي كان سيحبها ويشاركها كل حياتها؟ هل هذا هو الرجل؟

قالت بحدة: «بالطبع كنت سأسدد لك القرض. إن الدفعة الأولى من متوجبات التسديد موجودة في درج آلة الخياطة خاصتي. من، بحق السماء، تظنني أكون، يا سيد بروكتر؟ لصة؟»

«لديك المال؟ من أين لك... من أين حصلت عليه؟» لقد كان يتقدم نحوها خطوة خطوة، بينما هي كانت تتراجع إلى الوراء اصطدمت بشجرة القيقب المنتصبة قرب المنزل. لقد كان ذهنها المتعب يعمل في كل الاتجاهات في الوقت نفسه. كل ما تستطيع تذكره هو أن عليها الابتعاد عن ذلك المهووس الثائر.

«إنه أمر بسيط. لقد ذهبت إلى المصرف واقترضته. أليس المصارف موجودة لذلك؟»

«ماذا فعلت؟ ذهبت ثانية إلى مصرفي واقترضت مزيداً من المال لتسددي القرض؟ أي نوع من الخدع تمارسين؟»

«أتوسلك.» وكانت على وشك البكاء.

«تتوسلين إليّ؟ هل تظنين بأنك ستنجين بفعلتك بقولك أرجوك؟»

لقد كانت تلك الجولة الأخيرة من الصراع. تذكرت لوسي بعدها الكثير من العدل ولا ذرة من الرحمة. والآن هو يقلب كل شيء على رأسها، فأخذت نفساً عميقاً.

قالت: «انظر. إن كنت تظن أنني قمت بعمل غير قانوني، اذهب إلى مخفر الشرطة واطلب منهم إلقاء القبض عليّ، هل تظن حقاً أنني سأتزوج منك غداً بعد كل...»

«انسي الموضوع، لقد ألغي الزفاف. أين ابنتي؟»

تمتمت قائلة: «تتناول طعام الفطور.» ثم اسندت ظهرها إلى الشجرة ولكنه ذهب من دون أن يرمقها بأي نظرة.

قالت لوسي في نفسها: تلك بداية ليوم جميل! لقد غلبني لكني

لن أجعله يبكيني. لن أفعل ذلك. إذا لم يكن قد بقي لي أي شيء في العالم فأنا أمتلك كبرياء آل بوردن. لن يجعلني أبكي، لا أحد يستطيع أن يجعلني أبكي! لا أحد!

ابتعدت عن الشجرة ومسحت دموعها، ثم نفضت فستانها الذهبي اللون، فستان السعادة، ثم رجعت إلى المنزل حيث كانت مود قد اختفت. قالت لوسي: «حظ سيء لكلاهما.» لكنها كانت على علم بأنها لا تقصد شيئاً مما قالته. ولكن ما أن سمعت صوتاً آتياً من غرفة أنجي حتى تحوّل كل تفكيرها إلى هناك حيث توجهت فوراً. نظرت إليها أنجي وفي عينيها بريق قوي ولكن خديها كانا شاحبين كالرق ثم قالت: «صباح الخير، يبدو أنني نمت كثيراً.»

قالت لوسي: «إنها التاسعة فقط وأنت بحاجة للراحة، سنساعدك على الجلوس وعلى تناول الفطور كذلك. لقد اتصلت بالطبيب لأنني كنت قلقة عليك، سيرسل أحداً هذا الصباح. الآن، هل ننهض؟»

«أنا... أنا أفضل ألاّ نفعل، لا يبدو أن لدي القوة الكافية للسيطرة على قدمي هذا الصباح. ربما يمكنني تناول الفطور في السرير؟»

«بالطبع يمكنك ذلك. ماذا تحبين؟» وبينما كانت تصغي وتسجل في ذهنها ما كانت تسمع، بدت أكثر انزعاجاً. لا بد أن أنجي كانت تعاني من تقلبات داخلية ما تزال تؤثر عليها، فقد كانت السيدة العجوز تتصرف بشجاعة أكثر مما تسمح به صحتها فقد بدت غير قادرة على تحريك يدها اليسرى.

قالت أنجي: «الشاي، لسبب ما أشعر أني بحاجة لفنجان من الشاي. لطالما تناولت ذلك حين كنت فتاة صغيرة أتعلمين. بأني

أحبّ ذلك. الشاي والخبز المحمص. أو الفطائر؟ هل صدف أن حصلت مرة على الفطائر؟»

«بالطبع حصلت على بعضها. ستكون جاهزة بعد دقيقة وتريدين معها قليلاً من العصير المنشط؟ أنت لا تودين أن يأتي الفريق المسعِف لاصطحابك وأنت هزيلة، أليس كذلك؟»

«وقميص النوم الجديد، لم أرتده أبداً بعد، إنه موضوع في الدرج الثاني لمكتبي.»

إذاً، مع صباح مليء بالعمل تعرضت له لوسي، وعندما وصل الفريق المسعف وقرع جرس الباب الأمامي، كانت أنجي على استعداد لكل شيء.

عند الباب، اكتشفت لوسي أمراً لم تكن تتوقعه، فبدلاً من أن يكون الفريق المسعف وحده، كان يرافق الفريق ممرضة قدّمت نفسها قائلة: «مالوري سمول، أنا مساعدة الطبيب هالبرن. هل يمكننا رؤية المريضة؟»

تبع الفريق والممرضة لوسي إلى غرفة أنجي التي رحّبت بهم بكل رحابة صدر ومعنويات مرتفعة، متحملة إهانة قيام الفريق بكل الفحوص اللازمة ثم قيام الممرضة بالفحص الخاص بها متحدثة بهدوء إلى أنجي بينما كانت تفعل ذلك. عندما أنهوا عملهم، طلب الثلاثة الإذن من أنجي ثم توجهوا إلى المطبخ للتشاور.

قالت أنجي: «حسناً، هذا ما كان عليك القيام به، يا لوسي. أن تصبحي ممرضة.»

قالت لوسي: «مساعدة طبيب، إنها شهادة توازي تقريباً شهادة الطبيب لكن... حسناً، أتعلمين، لقد فكرت بنيل شهادة كتلك عندما كنت في الثانية عشرة من العمر. عندما كنت ذات يوم في المطبخ مع والدي أحضر شيئاً. نسيت ما هو وفجأة جرحت

اصبعي وأتذكر أني وقفت في وسط المطبخ أحملق في ذلك الجرح ونقاط الدم تتساقط على الأرض وقال والدي إنه ليس خطراً. لكن الدم... عندما رأيت الدم أغمي عليّ وعندها قرّرت ألاّ أنتسب إلى مهنة الطب!»

قالت أنجي: «يا لحماقتك، فقط جرح صغير؟»

قالت الممرضة: «عذراً، يا آنسة بوردن، هل يمكنك الخروج معي دقيقة؟»

قالت أنجي: «أراهن على أنها أخبار سيئة.» لكن أنجي لم تبدُ مهتمة كثيراً للموضوع، حتى أنها رسمت ابتسامة على وجهها.

قالت لوسي ممازحة: «على الأرجح الفاتورة.» ثم توجهت إلى خارج المنزل حيث كان الفريق الطبي.

لقد كان الرجلان يحزمان أمتعتهما عندما قالت الممرضة: «علينا أحياناً أن نكون قساة في هذا العالم، يا آنسة بوردن. أستطيع أن أرى أن المريضة مقربة وعزيزة على قلبك؟»

أجابت لوسي: «بالطبع يمكنك قول ذلك. حسناً، عزيزة على الأقل. كل أقارب أنجي متوفون وهي وحيدة في هذا العالم. لكن لا حاجة لأن تمهدي للأمور ماذا هناك؟»

أجابت الممرضة: «حسناً، قبل أن آتي إلى هنا، اجتمعت مطوّلاً مع الطبيب هالبرن وقد أكدت التحاليل التي أجريتها كل ما كان الطبيب على يقين منه. لأكن صريحة معك، يا آنسة بوردن، لا يوجد حقاً أي شيء يمكن فعله للسيدة مور، فكل أعضاء جسمها تالفة وهناك بعض العقاقير التي ممكن أن تجعلها مرتاحة أكثر. ومن الممكن أن استلقاءها على السرير سيساعد على إراحتها. أو يمكننا أن ننقلها إلى المستشفى ونحاول، بمساعدة الأجهزة، الابقاء عليها حية. من جهة أخرى،

مجرد وضعها في سيارة الاسعاف لمسافة عشرين ميلاً قد يعجل بوفاتها فوراً.»

سألت لوسي: «تعنين...» ظهرت آثار فظاعة الأمر على وجهها فوراً. ولكنها قالت في نفسها بقسوة: لكني لن أبكي، لم أبكِ على جيم، ولن أبكي على أنجي. سأحافظ على رباطة جأشي حتى لا تشعر أنجي بأي انزعاج وأوفر دموعي إلى... وقت لاحق. ثم عادت فقالت: «تقصدين أنها قد تموت؟»

أجابت الممرضة: «في أي دقيقة، أي ساعة. كل ما يمكننا القيام به هو أن نجعلها مرتاحة. والسؤال الوحيد الذي أريد له جواباً منك هو هل نتركها هنا في منزلها، والمحيطين بها الذين تحبهم، أو ننقلها إلى المستشفى إذ لربما استطعنا القيام بشيء أفضل لها؟»

«أنا... أفهم ذلك. تقديرك للحالة؟ هل هناك من أمل؟ هل أن نقلها إلى المستشفى سيكون أفضل لها؟»

«نسبة واحد في الألف. أنا أعتقد أنه يمكنك الاعتناء بها هنا، هل تريدين الاعتناء بها بنفسك؟»

«أجل، أودّ ذلك.» ثم هزّت رأسها بدهشة، ففي الصباح الباكر ضربتها صاعقة والآن واحدة أخرى. ذلك يعني أنه في غضون ساعات قليلة قلبت يد القدر حياتها رأساً على عقب. فماذا تفعل؟

قالت لوسي: «أنجي تخاف المستشفى.»

«كل المرضى الطاعنون في السن هم كذلك.»

«وأنا أمثل كل ما بقي لها في هذا العالم.»

«أجل. لذلك سآمر بأن تبقى معك هنا.»

صلّت لوسي بصمت وقالت، يا الله قل لي ماذا أفعل. قل لي ماذا أفعل. لكن الشمس أشرقت، الريح هبت، الطيور غردت، ولا

أحد كان هناك ليرفع الهم عن كتفيها الصغيرتين وقالت أخيراً: «أنجي أخبرتني أكثر من مرة أنها لا تريد أعمالاً بطولية تبقيها على قيد الحياة. إنها المرأة الأخيرة في العالم التي لا تريد أن تتوقف حياتها بينما هي في المستشفى تحيط بها آلات لا تكاد تستطيع ابقاءها حية. أجل، اتركوها معي.»

«حلّ سليم. الآن، إذا تدهورت حالتها فجأة لا تترددي بالاتصال بنا ثانية.»

«لن أتردد.»

«الطبيب هالبرن طلب بعض العقاقير من الصيدلية التي ستسلم لك بعد قليل. كل التعليمات موجودة على علب العقاقير.» بحكم طبيعة عملها كممرضة، لقد صادفت مالوري حالات كثيرة كحالة أنجي، لذلك فإنها هزّت رأسها تعاطفاً مع لوسي ثم خرجت لتنضم إلى الفريق. أما لوسي، التي أمضت حياتها تتخذ قرارات بسيطة فقط فقد عادت ببطء إلى غرفة أنجي تجرّ قدميها جراً بعد أن قامت باتخاذ أهم قرار في حياتها الصغيرة.

كانت أنجي ما تزال جالسة على السرير وابتسامة مشرقة مرتسمة على وجهها وقالت: «كل الأخبار سيئة؟»

ردّت لوسي: «أنا... أنجي، أنا لا أعرف ماذا أقول.»

«أن تكوني صريحة، يا لوسي، هي الطريقة الأسلم دائماً.»

«سينقلونك إلى المستشفى، إذا كنت تودين ذلك، لكن...»

«لكن ليس هناك أي شيء يستطيعون القيام به؟ أنا أعرف أن الأمور ستكون كذلك، يا حبيبتي لا، أفضل البقاء هنا، محاطة بالأمور الصغيرة التي أحب. هيا، يا طفلتي، لا عليك الآن، إن كنت تساعديني على الاستلقاء ثانية، أعتقد أنني سأغفو قليلاً

بعد.» أنجز ذلك سريعاً، أحضرت لوسي فنجانين من الشاي لأنجي ولها.

قالت أنجي: «هذا حسن، تذكرين... لا، بالطبع لا تذكرين عندما كنت في سن السادسة عشرة، أخذني جدي وأخوتي... كنا ستة أشخاص حينها، أخذنا جدي جميعنا لقضاء العطلة في نيويورك، ونزلنا في الريتز وشاهدنا كل المتاحف، لكن ابن عمي بوب، الذي كان في الواحدة والعشرين من العمر آنذاك، أخذني سراً في إحدى الليالي إلى أحد ملاهي برودواي تلك، وآه، لقد شعرت بالحرج كثيراً! وبعد ذلك...»

لقد كان ذلك الصوت يضعف ويضعف إلى أن اختفى تماماً وغرقت أنجي في سبات عميق. ما كادت لوسي تستطيع أن تمنع وقوع فنجان الشاي، بعد ذلك لم يتبق شيء آخر للقيام به سوى المراقبة.

بعد مرور ساعة سُمع صوت أحدهم يقرع الباب الأمامي. لوسي، التي كانت تجلس على الكرسي الملاصق لسرير أنجي وتمسك يدها، نهضت فجأة لكن عقلها المتعب عاد سريعاً إلى الواقع، كان البنّاء السيد هندرسون، يقف عند الباب الأمامي.

كان يقف منحني الرأس، قبعته في يده ونظرة قلق تبدو على وجهه العريض ثم قال: «لقد سمعت من أهل البلدة أن السيدة العجوز ليست على ما يرام؟»

«هذا صحيح. أنا... إنها ليست على ما يرام أبداً.»

«لذلك، فكرت بأن أذهب أنا والعاملون معي إلى شارع

تشيرش حيث لدينا بعض الأعمال ننجزها ونتركك بسلام لبضعة أيام؟»

«إنها فكرة رائعة.» ثم حاولت رسم ابتسامة خفيفة وقالت: «لن تنسونا بعد ذلك؟»

«لا، أبداً، يا سيدتي الصغيرة. إنني أرى أشخاصاً يحملون الأثاث على عربات في المنزل المجاور.»

«آه؟» توجهت لوسي إلى المدخل الأمامي لترى. لقد كان ذلك صحيحاً. رأت عربة شحن متوقفة أمام الباب الأمامي وأشخاصاً ينقلون الأثاث إلى العربة. فقالت لوسي في نفسها: لقد ألغي الزفاف، والآن هو ينتقل إلى مكان آخر. كيف سمحت بوصول الأمور إلى ذلك الحد؟ كان ممكناً لي أن أحمل حبه في قلبي وأتفادى وجع القلب هذا. لكن لا، آنسة بوردن الجميلة يجب أن تتابعي اللعب مع الذئب الكبير السيىء، والآن انظري من هُزِم! أتساءل... ماذا حصل لمود؟

«إذن، سأذهب الآن.»

«أنا... أشكرك على كل شيء.»

«لم أفعل شيئاً. انظري، يبدو أن الفتاة الصغيرة تتوجه نحوك.» لوّح الرجل الكبير بيده مودعاً ودخل إلى سيارته المتوقفة خلف حافة الطريق.

الفتاة الصغيرة قادمة؟ توجهت لوسي إلى الخارج تاركة الباب مفتوحاً في حال نادت أنجي. كان ذلك صحيحاً، لقد كانت تعبر الشارع وكأن ابليس يجري خلفها.

صرخت مود: «لوسي.» خرجت لوكسترا بوردن إلى أسفل الدرج وانتظرت. عبرت الطفلة حوض الزهور عند زاوية المنزل الأمامية وتوقفت.

قالت وهي تنحب: «آه، لوسي.» ثم رمت بنفسها بين اليدين المفتوحتين المرحبتين بها.

انهمرت دموعها. دموع الغضب ودموع الألم. بعدها قالت مود: «إنه يقول بأنك لن تكوني والدتي!»

ردّت لوسي: «أخشى أننا لن نكون يا حبيبتي. نحن... والدك وأنا... اختلفنا حول أمور كثيرة، ونتيجة لذلك فإننا لن نتزوج.»

«إن ذلك ليس بسببي؟ ليس بسبب خطأ قمت به؟»

«لا. لا شأن لك بذلك أبداً، أنا ما زلت أحبك، ما زلت أود أن تكوني ابنتي. لكن ذلك مستحيل، أخشى أن والدك يفضل أن يقتلني على أن يتزوجني. هيا، الآن، يا طفلتي.»

«لكني أريدك أن تكوني والدتي.» ولفّت الذراعين الصغيرتين حول رقبة لوسي وتمسّكت بها بقوة وقالت ثانية: «أنا أريدك أن تكوني...»

صارعت الدموع في عيني لوسي لتجاري دموع الطفلة. لكنني لن أبكي. أمرت لوسي نفسها، لا من أجل مود، ولا من أجل أنجي، وأهم شيء، لا من أجله هو. لن أبكي!

قالت لمود: «عليك أن تفهمي، يا مود. الأمر ليس فقط منوطاً بي وبك، هناك ثلاثة أشخاص على السواء. أعتقد أن والدك يعتبرني قدوة سيئة. على الأقل هو يظن أني...» ثم توقفت لفترة قصيرة. مهما اعتقد جيم بروكتر أنها قد تكون، فسيميزها بصفتين دائمتين: لصة وكاذبة.

قالت: «والدك رجل طيب، يا مود. إنه يحبك. سيفعل كل ما بوسعه ليجعلك سعيدة. إني متأسفة للغاية بأن زواجي منه لم يكن من بين تلك الأمور. علينا أن نتعلم كيف نتعايش مع الواقع. أنت وأنا معاً، الآن، امسحي دموعك وعودي إلى المنزل. أنا حقاً...

لن أحبذ أن يأتي والدك إلى هنا ليأخذك. كوني فتاة شجاعة. ربما التقينا يوماً ما، وإذا حصل ذلك سنبتسم عندما نتذكر ما قمنا به. هيا اذهبي.»

أسدلت مود يديها ورجعت خطوة إلى الوراء. انهمرت بعدها دموعها بغزارة، ثم قالت: «لا أعتقد ذلك. لا أشعر بأني سأكون فتاة شجاعة ولن أضحك أبداً عندما أفكر بك، وبوالدي... الديكتاتور... وأنا.» ثم هرعت مسرعة إلى خارج المنزل متوجهة إلى البحر حيث الراحة الأبدية بينما لوسي تعضّ على شفتها السفلى حتى سال منها الدم ومسحت دموعها بمنديل عثرت عليه في جيبها. على أعلى التلة، كانت لوسي تستطيع رؤية جيم بروكتر يخرج من منزله، باحثاً عن ابنته، قالت لوسي في نفسها: ولا أستطيع تحمل النظر إليه ثانية، ولا أريد أن أكون موجودة هنا إذا حضر إلى هذا المكان!

لذلك أسرعت لوسي إلى داخل المنزل وهي تقنع نفسها بأن أنجي بحاجة لرعايتها. الأمر الذي لم يكن صحيحاً.

Dalyia

الفصل التاسع

تقلبت لوسي في مقعدها وقامت بتدليك يدها ومعصمها. كل فترة بعد الظهر، وحتى المساء، جلست قرب سرير أنجي. استيقظت العجوز قبل مغيب الشمس بقليل وبدأت بالتحدث عن صباها، وخلال الحديث كله، هناك أمر واحد غريب عن كل مشهد تتكلم عنه، كانت تتكلم عن لوسي وكأنها جزء من تلك الحادثة، برغم أن أغلب ما حدث قد حدث قبل ولادة لوسي بكثير.

قالت أنجي: «أتذكرين واقعة مينغيس، يا لوسي؟ متى كانت؟ بالضبط قبل الحرب العالمية عام الف وتسعمائة وسبعة عشر، أليس كذلك؟ عندما كنا أنا وأنت في السابعة عشرة من العمر، وأخذنا جدي لمشاهدة مهرجان الجاز؟ ألم يكن ذلك رائعاً؟ وبيتر كان هناك!»

قالت لوسي: «أجل أذكر. بيتر؟»

«آه، بيتر. لقد كان شاباً رائعاً ووسيماً. لقد كنا... نهتم لأمر بعضنا بعضاً.» تلي ذلك الحديث فترة صمت، بدت فيها السيدة العجوز وكأنها تستجمع التفاصيل.

سألت لوسي: «ماذا عن بيتر، يا أنجي؟»

«بيتر؟ بيتر. آه، لقد سافر إلى فرنسا عام ألف وتسعمئة وثمانية عشر، أتذكرين؟ لقد كان يقيم في شارتو ـ تيباري وآرغون. أنا أذكر... ذهبنا إلى فرنسا والدي وأنا، لنرى، لاحقاً. بعد الحرب. بيتر كان ما يزال هناك، في شاتو ـ تيباري.»

«لم يرجع أبداً؟»

«إنه ينتظرني هناك.»

«سيكون ذلك لطيفاً، يا أنجي.»

«أجل، لطيفاً.»

تذكرت لوسي كم مرة استعملت أنجي تلك الكلمة: «سيكون ذلك لطيفاً.» إنه التعبير المفضل لديها. والآن تعود إلى مجاهل الماضي البعيد، إلى سبعين عاماً خلت، ثم انتشلت بيتر من الماضي، الذي كان يمكن أن يكون لطيفاً، لولا أن ذهب إلى الحرب وما يزال هناك على الأرض الفرنسية. قصة حب ضائعة! نظرت لوسي إلى تلك المخلوقة الضعيفة المستلقية على السرير. لقد كانت أنجي مور تبتسم وكان الذكرى كانت جميلة، ولكن وجهها كان بالغ الشحوب، والآن بدأ لون شفتيها يتحول إلى أزرق وأخذ تنفسها يتقطع أكثر فأكثر.

فقدت قدرتها الكبيرة في السيطرة على نفسها والذي منعها من الانهيار والبكاء، هناك شيء علي فعله. شيء! بسرعة شديدة، تركت لوسي يد العجوز ثانية وتوجهت نحو الهاتف.

قال عامل الهاتف: «سيأتون حالاً.»

وضعت لوسي سماعة الهاتف، وفيما هي تسرع في العودة إلى غرفة أنجي، صحا في داخلها إحساس كبير بالذنب. لو أرسلت أنجي إلى المستشفى لسارت الأمور بطريقة مختلفة. كان هذا قراراً سيئاً أيضاً. لكنها عندما وصلت إلى غرفة أنجي، كانت الأخيرة تبتسم ابتسامة مريضة.

قالت: «لا تسرعي، يا فتاتي. سوف تتعبين.»

قالت لوسي: «لقد كان الهاتف، أنت تعرفين كم يزعجونني وكل ذلك للاشيء.»

«ليس هناك شيء للاشيء يا لوسي. لكل شيء معنى. أنا آسفة، يا طفلتي.»

«آسفة؟ علام تعتذرين؟»

«اعتذر لأن زفافك غداً، يا طفلتي، ولن أكون هناك وأشاهد ذلك يتم.» ثم رفعت العجوز المريضة يدها محذرة وتابعت: «الآن، لا تحتالي علي في أمور كهذه. أنا أعرف ماذا يحصل، لقد أحببتك لسنوات عدّة، يا عزيزتي سنوات عدة، لقد أحسست بأنك ابنتي الحقيقية. وأنا سعيدة جداً بأنك ستحظين بـ جيمبو ليرعاك. جيمبو... أين جيمبو؟»

قالت لوسي في نفسها بينما كانت تصر أسنانها وتداري غضبها: لن أخبرها حقيقة هذا الأمر أيضاً، فقالت: «إنه مسافر لانجاز بعض الأعمال. سيأتي لزيارتنا فور عودته.»

«غداً، إذاً. آه، بالطبع. إنه يعمل بكد، حظك حسن، يا لوكسترا.»

تردد صدى جملة أنجي الأخيرة في كل الغرفة ثم حزنت لوسي إلى حد لم تعد تتحمله وقالت في نفسها: عزيزي جيم. ثم قالت لأنجي: «أجل، بالطبع.»

كان يمكن للوسي أن تسمع صوت سيارة الإسعاف تقترب من مدخل المنزل. فنظرت إلى ساعة يدها لتكتشف أنه لم يمض على اتصالها بهم سوى خمس عشرة دقيقة. سيصلون في الوقت المحدد، أعرف أنهم سيصلون في الوقت المحدد! ومؤكد، سيحضرون معهم علاجاً جديداً؟ بالطبع سيفعلون. ذلك.

في تلك اللحظة بالذات فتحت أنجي عينيها، ونظرة مشرقة لاحت على وجهها. حاولت الجلوس في السرير ولكنها ارتفعت قليلاً فقط فقامت لوسي بمساعدتها، لقد كان هناك وميض مرح في عيني أنجي.

قالت بهمس: «آه، يا لوسي، أتذكرين عندما ذهبنا إلى الريتز حيث كانت الموسيقى عذبة جداً في الفناء، ونحن نشاهد النجوم؟ وآه، قضينا الليل في الرقص، تذكرين؟ آه، تلك الرقصة الرائعة!» أغمضت أنجي عينيها وهي ما تزال تبتسم بينما كانت لوسي تساعدها على الاستلقاء ثانية. ثم أمرت نفسها قائلة: لا تبك، لا تبك!

قرع جرس الباب الأمامي الذي فتح حالاً ثم دخل الشخصان نفسهما اللذان أتيا سابقاً، طلبا من لوسي البقاء خارجاً ثم بدآ عملهما. لكن لم تمر دقيقة حتى خرج الإثنان من الغرفة وأخذا بحزم أغراضهما.

صرخت لوسي بينما كانت تزيحهما جانباً وتهرع راكضة إلى غرفة أنجي: «آه، لا! آه، يا إلهي، لا!»

قال المسعف المسؤول: «أنا آسف، يا سيدتي.» ثم التفت إلى معاونه وقال: «هناك هاتف في غرفة الجلوس، يا هاري. اتصل بالمستشفى وأخبرهم أن المريضة توفيت.»

قالت لوسي في نفسها: الثلاثاء، الثامن عشر من شهر أغسطس، وسأتزوج. قالت لوسي في نفسها بينما كانت تجلس في الرواق الخلفي الذي لم ينجز بالكامل بعد، تحملق بالشاطىء الخالي من البشر. ثم عادت وقالت في نفسها: لا، الثلاثاء لم أتزوج. أنا لن أتزوج أبداً، وأنجي لن تتمتع معنا بالحياة بسعادة. ولا أنا.

إرتدت لوسي ثوبها الأسود ثم حبست الدموع في عينيها قائلة، لن أبكي، لن أبكي. كانت الأمواج هادئة، تضرب الشاطىء بلطف ثم تعود ثانية إلى البحر. كانت الشمس غائبة والغيوم

تغطي السماء بالكامل. كل شيء كان ساكناً، حزيناً، شاحباً. حتى النورس كانت صامتة وكأنها تحترم خلوة لوسي.

ظهر رجل من وراء زاوية المنزل فنظرت لوسي وكأنها كانت تتوقع أن يكون شخصاً محدداً. لكنه لم يكن جيم، بالطبع لا. إقترب الغريب منها.

قال: «سيدتي، أنا آت من مركز دفن الموتى، لقد حان الوقت لتذهبي إلى القداس.»

قالت: «حسناً.» لقد كانت تشعر بمرارة ريقها وجفافه ولا تستطيع التركيز. كان من الصعب عليها أن تفكر. لقد كان الثلاثاء الفائت اليوم الذي كنت سأتزوج فيه. الثلاثاء الفائت حين تركني جيم. الثلاثاء الفائت حين تركتني أنجي، الثلاثاء الفائت. ثم قالت للغريب: «أنا جاهزة.»

«ساعدها على القيام، فقد بدت وكأنها تبلغ من العمر مئة عام ثم رافقها إلى حيث كانت تقف سيارة ليموزين عند حافة الطريق. كانت السيارة تستوعب سبعة أشخاص، ساعدها ذلك الغريب على الجلوس ثم صعد وجلس على مقعد السائق.

ثبتت لوسي نفسها في المقعد تحاول جاهدة منع دموعها من النزول، لقد مضى على حالتها تلك أسبوع. الجميع كانوا بحاجة إلى قرار، لوسي هل نفعل هذا... أو ذاك؟ هذا القداس... ذاك؟ هذا النعي. أو ذاك؟ ولوكسترا بوردن لم تستطع أخذ قرار في أي موضوع من تلك المواضيع. فعقلها توقف عن العمل، كل ما كانت تعرفه هو أنه عليها عدم البكاء! إذن الآن كان هناك قداس لأنجي، على الأقل لقد وافقت على ذلك. لكن بالتأكيد في اللحظة التي دخلت فيها إلى الكنيسة، كان هناك مجموعة من الناس ينتظرون قرارات أخرى؟ فقالت لنفسها بحزم: يجب الا أبكي.

توقفت السيارة وساعدها السائق على الخروج. كان هناك بعض الأشخاص ينتظرون عند باب الكنيسة. لقد كانوا أصدقاء أنجي القدامى، معظمهم متكىء إلى عصا أو يجلس على كرسي متحرك. وبعض الأشخاص الآخرين جنبهم تجمع الناس. وصحافي، رجل كانت تعتبره صديقاً لطيفاً، الآن تصنفه كعدو. فوضعت رأسها في الأرض ودخلت إلى الكنيسة متوجهة إلى المقاعد المخصصة لآل بوردن.

عزفت على الأورغ بعض الترانيم، تلا بعدها الكاهن الصلاة، بقيت لوسي متقوقعة في مقعدها قائلة في نفسها: يجب ألا أبكي. ولم تستطع أن تتذكر لماذا. ارتجفت، ولم تعد قادرة على متابعة الصلاة.

ظهر شخص بالقرب من الممشى المؤدي إلى مقاعد آل بوردن وتوقف عند نهاية المقعد الخشبي الطويل حيث تجلس لوسي. نظرت بطرف عينيها فلاحظت وجود شخص ثم رفعت رأسها لترى بوضوح أكثر. جلس الرجل على المقعد قرب لوسي ثم أحست بيد كبيرة تطبق على يدها فشعرت برعشة لمسته. نظرت لترى من هو ثم همست كي لا يؤثر صوتها على المصلين: «آه، يا إلهي جيم! آه، يا إلهي.» أحست برأسها يهتز للحظات حيث كان من الصعب على رقبتها النحيلة تحمل ذلك الرأس، الذي وضعته بعد ذلك على صدره. إحدى يديه الكبيرتين التفت حول كتفيها لتحضنها، وقد شعرت لوسي بالدفء يحيط بها. قال جيم: «ابكي يا لوسي.»

أخذت لوسي نفساً عميقاً وبعد ذلك بكت بكاءً يوازي كل آلامها ومصائبها وأيام العذاب التي قضتها وكل آلام الذكرى. لقد كانت ما تزال تبكي عندما انتهى القداس، ظلت تبكي إلى أن أخرجت كل

ما بداخلها متكئة إلى صدره الدافىء. وأخيراً تصالحت مع العالم مرة ثانية.

سمعت لوسي ضجيجاً داخل المنزل عندما استيقظت من النوم. كان هناك صوت أشخاص يتكلمون وآخرون يضحكون وكأن المنزل قد تعرض لغزو بالتدريج، عادت الأمور إلى ذهن لوسي واستطاعت أن تتذكر. نظرت حولها ولكنها لم تر بوضوح تام. الرجل الضخم القابع على الكرسي الملاصق لسريرها. نظر إليها أيضاً ثم وقف ونفض نفسه ثم جلس ثانية وأمسك يدها.

تمتمت. «ماذا؟»

قال بلطف: «أقراص منوّمة.» ثم رَبت على يدها. لقد كان ذلك الإحساس مفرحاً بالنسبة لشخص لم يعرف الفرح في الأسبوع الفائت. ثم تابع: «لقد أعطاك الطبيب هالبرن البارحة حقنة والآن أقراصاً. لقد كنت كالميتة، يا حبيبتي.»

«أنا... لا أفهم.» ثم قالت في نفسها: لكني أحب سماع هذه الكلمة. حبيبتي! ثم نظرت إليه ولكنها لم تستطع التركيز وقالت: «ولكنك رحلت.»

«مؤقتاً فقط. هل تستطيعين رؤيتي، يا لوسي؟»

«أجل، قليلاً ولكنني أستطيع أن أراك.»

«وتسمعينني بوضوح؟»

«أجل، آه أجل.»

شدت يده على يدها بلطف ثم قال: «أحبك، يا لوسي بوردن.»

سألت لوسي نفسها وبماذا ترد الفتاة عند سماعها ذلك؟ «هذا لطيف؟» هذا ما كانت ستقوله أنجي، وقد ساور لوسي إحساس بأن أنجي معها في الغرفة. حسناً، لقد سارت الأمور على ما

يرام مع أنجيلا مور، فلم لا تسير كذلك مع لوكسترا بوردن؟

قالت: «هذا لطيف.»

انتصب واقفاً، حمل شيئاً بيده، واستخدم يده ليرفع رأسها عن الوسادة وقال: «هذا يكفي الآن، اشربي هذا.»

كالطفلة الصغيرة المطيعة، شربت لوسي الدواء الذي سال بعضه على ذقنها.

قال: «اخلدي إلى النوم يا صغيرتي.» لقد شعرت لوسي بأن أنجي تقول لها الكلام عينه، لقد وصلها الصوت من مكان بعيد وكأنه نطق في برميل. وقبل أن تفكر بأي شيء تقوله، كانت قد غرقت في سباتٍ عميق ثانية. في المرة الثانية عندما استفاقت، كانت الشمس قد اختفت، كان هناك فقط ضوء خافت منبعثاً من مصباح كهربائي صغير يعكس خيالات في الغرفة. خيالات قاتمة. تقلبت لوسي في سريرها إذ أن الخيالات كانت تزعجها. ولكن كان هناك ظل ثالث في الغرفة. لقد كان هناك شخص ثالث في الغرفة يجلس على الكرسي الملاصق لسريرها، شخص قدماه لا تطلان الأرض لقصرهما. حاولت لوسي لفظ اسمها ولكنها لم تستطع، حاولت ثانية ولكنها لم تستطع ثم حاولت مرة ثالثة فقالت: «مود؟»

تحركت مود من مكانها لتصبح فوق لوسي ولكن وزنها كان خفيفاً وقالت: «آه، يا لوسي! لقد قالوا بأنك ربما لن... أنت تعرفين من أنا؟»

«بالطبع أعرف أيتها الحمقاء. أنت مود. إني أتذكر جيداً، لديك رجل متوحش كوالد، لقد نسيت اسمه، دعيني أقبلك يا عزيزتي.»

«قالوا لي بأن لا ازعجك ولا المسك، ولا أي شيء آخر.»

«أحبك، يا مود كذا.»

«بحق السماء. مود بروكتر وليس مود كذا. أنا أيضاً أحبك، يا لوسي.»

«من يكونون هم؟ ماذا يعرفون هم؟ دعيني أقبلك.»

بعد أن تبادلت لوسي القبل، أرادت مود أن تقبل لوسي في جبينها ولكن قبلتها وصلت إلى رأس أنف لوسي.

قالت مود: «لا أعتقد أن والدي سيحب ذلك.» ولكن من الواضح أن الطفلة أحبت ذلك إذ أنها قامت وقبلت لوسي ثانية.

قالت لوسي: «لا اعتقد أن هذا لا يهم، يوجد هنا سوانا، أنا وأنت، لذلك يمكننا أن نقبل بعضنا البعض متى نشاء وإن لم يعجب والدك ذلك...!»

«أجل؟ إن لم يعجبه ذلك!»

«سأقوم بعمل فظيع لألقنه درساً.»

بحذر، تحركت الطفلة إلى جانب لوسي بدلاً من أن تستقلي وتتكيء عليها، ورسمت ملامح الجدية على وجهها.

سألت وكأنها تخطط لاغتيال البابا: «ستعاقبينه؟»

«أجل، سأعاقبه، سأتزوج منه. وهذا حكم مؤبد. آخ، إنني جائعة!»

أخذت الفتاة الصغيرة نفساً عميقاً ثم قبلت لوسي ثانية.

قالت لوسي: «شكراً، أعتقد.» وقبل أن تكمل كلامها، كانت مود قد هرعت في النزول إلى الطابق الأسفل وكانت قدماها تتحركان وبسرعة... ربما أسرع من قدرة الطفلة وكانت تصرخ وهي تركض.

«والدي! والدي!»

قال جيم: «اصمتي، يا طفلتي، يجب ألا نزعج لوسي.»

«لقد استيقظت وقالت...»

«قالت ماذا؟»

«قالت إنني أستطيع تقبيلها وقد فعلت ذلك وقلت لها بأنك لن تحب ذلك لأن ذلك سيوقظها، فقالت إن ذلك ليس من شأنك لأنك لست في الغرفة ولذلك قبلتها ثانية وقلت لها إني أحبها وقالت إنها تحبني أيضاً وقالت، إن تذمرت فإنها سوف تعاقبك بقبولها الزواج منك... والدي!»

لكن والدها كان قد قطع نصف المسافة صعوداً إلى غرفة لوسي قبل أن تتمكن مود من وضع نقطة عند نهاية الجملة.

دخل جيم إلى غرفتها مبهور الأنفاس، فنظرت إليه وقد أحبت ما رأت. قالت في نفسها: هناك فرق لكني لا أعرف ما هو.

«أهم اليونانيون يحملون الهدايا؟» سألت.

«أنا لا أفهم.» قال وأرجع رأسه إلى الوراء وضحك ثم تابع قائلاً: «كأنني قد فهمت يوماً الغازك!»

«لقد جئت فارغ اليدين، لقد قلت لابنتك إنني جائعة.»

«آه، أستطيع أن أفهم ذلك، سأحضر لك...»

قالت لوسي مقاطعة: «لا، أريد النهوض والنزول إلى الطابق السفلي. أريد أن أرى الناس وأسمع أصواتاً.» ثم رمت بالبطانية التي كانت تغطيها لتندم فعلاً على ذلك. فقالت: «إنني لا أرتدي ثياباً كافية. هل يمكنك... إذا سمحت؟ ثوبي في الخزانة.»

ابتسم ابتسامة تشبه ابتسامة ذئب. ثم تابعت لوسي قائلة: «وربما تعود إلى الطابق الأرضي ثانية وترسل مود لتساعدني؟»

«لا لزوم لذلك.»

حملقت به.

قال: «حسناً، حسناً، لا تنزعجي، يا سيدتي. أنا ذاهب.»

لا بد وأن مود كانت واقفة خلف الباب، فعندما فتح والدها الباب رمقته بنظرة راشدة فبدت له وكأنها تخرج لسانها في وجهه. ولكنه لم يبعد كثيراً عن الباب أيضاً. فما أن ساعدت مود لوسي على ارتداء ثوبها حتى كان جيم قد عاد يقترح مساعدتها.

قال: «إن السلم طويل وأنت تعبة، لذلك اعتقد أنك بحاجة لمساعدة في الواقع... حمل جيم لوسي بين ذراعيه ونزل بها إلى الطابق الأرضي واضعاً إياها على الكرسي الكبير في المطبخ قائلاً: «ها أنت، اذاً.»

قالت لوسي بلطف: «أنت تلهث.»

«ماذا تعرفين عن ذلك؟ إنني أساساً رجل أعمال. أو دعيني أصحح ذلك، كنت أساساً رجل أعمال.»

ترددت لوسي. تسأل أو لا تسأل جيم. فعندما حملها بين ذراعيه إلى الطابق السفلي، غزا جسمها دفء سيبقى معها إلى الأبد أو هي اعتقدت ذلك إذاً، سأسأل.

«لقد كنت رجل أعمال.»

«هذا صحيح.»

«أيعني ذلك أنك لم تعد كذلك؟»

«لقد قال الطبيب إنه يمكنك تناول الحساء ليوم أو يومين. كيف تحبين تناوله؟»

«ساخناً وفي كوز. ولكني لا أحب الحساء كثيراً، ما أريده حقاً هو قطعة لحم مع بطاطا مهروسة وما إلى ذلك.»

«حساء فقط. لماذا تدفعين للطبيب كل تلك النقود إن كنت لن تنفذي تعليماته؟»

«ربما لأنني مفلسة ولا أنوي أن أدفع له أي قرش. من الأفضل أن تتصل به وتخبره أنني فقيرة، وذلك سيوقف كل النصائح حول تناول الحساء. الآن، كيف تكسب عيشك؟»

قام عن كرسيه وجاء إلى الطاولة حيث كانت تجلس لوسي، ونظراته الثاقبة تدخل إلى أعماقها. توترت لوسي، عدلت من ثوبها، أوثقت ربطة الحزام الذي كان يمسك بالثوب.

قال جيم: «ذلك لن يجدي نفعاً.» ثم وضع يده على كتفها.

«لا أعرف ما يدور بذهنك، يا جيم بروكتر. لكن عليك أن تتذكر أن ابنتك معنا هنا في المنزل.»

«هل سبق وقال لك أحد إنك تتكلمين كثيراً؟»

«ماذا تفعل الآن؟» ارتفع صوتها من العادي إلى صراخ.

«أحاول أن أجد الزر الذي يسكتوتك به.»

«أنت رجل قاس، يا سيد بروكتر. ربما لن أتزوجك بعد هذا كله.»

«مزيد من التهديدات؟ آه، الآن عرفت كيف يتم ذلك.» اقترب رأسه من وجهها، فكر لحظة، عانقها للحظة فقط. حاولت لوسي منع حصول ذلك ولكن لمسته سببّت رعشة في جسمها، صرخت في نفسها، لكن ذلك ليس عدلاً، إنه شيء جميل. لذلك فإنها استرخت وليحدث ما يحدث. عندما ابتعد عنها أخيراً، أخذت نفساً عميقاً ثم طلبت من جهازها العصبي كله الاسترخاء التام.

قالت: «ماذا تنتظر الآن؟» قالت جملتها تلك بطريقة وكأنها كانت تنتظر أن يحمل سكيناً ويطعنها.

«إني أنتظر الاعتراض، الصراخ، المحاضرة، الانتقاد.»

ابتسمت لوسي له واستعملت إصبعاً من أصابعها لتبعد شعرها

عن عينيها، وقالت: «لقد أخطأت، لقد أحببت ذلك، لن انتقدك ما رأيك بمحاولة أخرى؟»

«لوسي، إن حساءك سوف يبرد.» أعادها صوت مود ذات النظرات التي تشبه نظرات الصقر، إلى الواقع.

قال: «اللعنة.»

قالت مود: «توت توت، العمل قبل الاستمتاع بالوقت.» أنزل جيم يديه عن لوسي التي قامت بتعديل في ثوبها إذ أنه كان يحتاج إلى ذلك. وبعد ذلك، لتوقف المناكدة، بدأت باحتساء الحساء ثم تنهدت بقوة.

سألت مود: «ماذا يعني ذلك؟»

ردت لوسي: «هل هذا سؤال، إنه يعني كيف لي أن أطلب من حبيبتي أن اتكلم إلى رجل... آه، عفواً، أقصد أن يتكلم رجل إلى امرأة؟»

سألت مود ثانية: «تقصدين أنه يجب علي الخروج؟»

قالت لوسي: «بالضبط، كم أنت ذكية.»

«إذاً، أنا ذاهبة.» كانت مود تبتسم، فقد ظنت أنها تعلم ما عليها فعله. لم تمض دقيقة على ذلك حتى كان جيم ولوسي يستطيعان سماع صوت مود تلعب مع كلب الجيران على الشاطىء.

إستانفت لوسي قائلة: «الآن، إذاً.» أدارت رأسها لتواجهه.

«لقد جعلت ذلك يبدو وكأن القاضي سيصدر حكماً.»

حسناً، ستعترف أننا انفصلنا في ظروف حرجة، يا سيد بروكتر، وبعد ذلك تعود فجأة وكأن شيئاً لم يكن، بعض الشرح سيفي بالغرض.»

«حسناً، يا حضرة القاضي، لقد كان الأمر كذلك. لم أقصد ذلك

لكنني وقعت في غرام فتاة في الجوار، لكني كنت قلقاً بشأن زواجنا، إذ أني جربت ذلك وقد فشل.»

«إنها بداية حسنة. الآن، ادخل في الموضوع.»

«لذلك، رأيت أنه علي أن اتزوج من أخت زوجتي وأن ذلك هو الصواب. وبعد ذلك، قررت بأنه يجب علي ألا أتزوج لأبي احتياجاتي فقط ولكن علي فعل ذلك من أجل ابنتي، الأمر الذي أدى بي إلى التقرب من لوكسترا بوردن وأطلب منها أن تتزوجني...»

«من أجل ابنتك، طبعاً.»

«كما قلت، من أجل ابنتي. ولكن خطر لي بعد ذلك أنه ربما استطيع أن أجمع الاثنين، أتزوجها لأجلي أولاً وثانياً لأجل ابنتي.»

«إنه تلاعب ذكي في الكلام، اثنين بثمن واحد، إذا جاز التعبير.»

«حسناً، ليس بالضبط لأني وجدت نفسي واقعاً في الحب إلى أقصى حد، وهذا لا يناسب مصرفياً رزيناً.»

«آه، المصرف. لقد علمت أن اللعين سيظهر في مكان ما. تابع لو سمحت.»

«دعيني أقول لك شيئاً أولاً، يا لوسي. إنني لست رجلاً شديد الذكاء، الطريقة الوحيدة التي استطعت معها التقدم هي أن أقاتل وأتجاوز العثرات وأهاجم.»

«لقد لاحظت ذلك في اليوم الأول حين التقينا. لقد ظننت بأنك تود قطع رأسي، وأنا أكره الرجال المتسلطين، بالتأكيد أكرههم.»

نظر جيم بروكتر إليها. ليس لجمالها، أبداً، خصوصاً أن

شعرها منسدل، وآثار النوم ماتزال بادية عليها. لكنها كانت إمرأة، كلها أنوثة وعلى الرغم من تعدد الأمور التي يمكن أن تخطر بباله أنه قد يقوم بها مع تلك المرأة، الأمر الوحيد الذي يستطيع بسهولة أن يقوم به وينجو بفعلته منها هو أن يلفها بذراعه. توجه إلى غرفة الجلوس وجلس على الكنبة. لحقته لوسي، لكنها كانت مترددة في الجلوس إلى جانبه.

ربت جيم على المقعد المجاور. شاورت لوسي نفسها في الموضوع للحظات ثم دخلت إلى غرفة الجلوس وجلست. قال جيم آمراً: «اقتربي أكثر.»

قالت لوسي: «أنا لا أحب الرجال المتسلطين. خاصة الذين يعطون الأوامر.» ولكنها اقتربت على كل حال إلى درجة أن التصقت به، لقد كانت ترتدي قميصاً حريرياً بينما هو يرتدي زي العمل فقال في نفسه: كنت ارتديت بنطالاً قصيراً، ثم وضع يده على مسند الكنبة كنوع من عقاب الذات.

«هذه ليست طريقة لتقوم بذلك.» حملت يده وراحت تداعبها. فأحس جيم بأن مزاجه يتحسن. ما الذي تقوم به بعد ذلك؟

لقد شدت على أصابع يده وفتحتها وطوتها. قال جيم في نفسه: أنا لست أحمق.

سألها: «لماذا تفعلين هذا؟»

«لأني أريد ذلك.»

عادت لوسي وقالت: «لكنك لم تستلطفني في أول يوم التقينا فيه.»

«ذلك لأنك أخذت مود من محيطها... المكان الذي قررنا وجودها فيه لنبتعد عن أي خطر. لكني تلك الليلة اكتشفت أنك لا تستطيعين حتى قتل فأرة، وأنك احببت ابنتي، وأنك مثيرة.» ثم

لمس يدها وقال في نفسه: لا يمكن أن يكون هناك شيء بهذه النعومة.

«لذلك قررت أن تتزوجني فقط لأعتني بمود.»

«يا إلهي، ألم يكن ذلك أغبى تصرف سمعت به في حياتك؟ لكنه كان أفضل شيء فكرت به في ذلك الوقت برغم عدم استقراري، وكل ما فعلته هو لأن أوصلك إلى مذبح الكنيسة. ستتزوجين مني، أليس كذلك؟»

«أنا... لم أقرر بعد. الآن، ما الذي فعلته في الأيام القليلة الماضية لتغير طريقة عيشك؟»

«تقصدين بعيداً عن قرار العودة إليك؟ أحدهم أعلن نبأ وفاة أنجي في بوسطن غلوب، ليس لديك أي فكرة بأيّ سرعة ممكن للإنسان أن يحزم أمتعته.»

«أراهن بأن نصف أمتعتك ما يزال في بوسطن، لكن لدي انطباع بأنك مشوش الذهن، يا سيد بروكتر. فقط ماذا فعلت لكي...»

«لا أستطيع أن انتظر دقيقة أخرى.» ثم حضنها بكلتا يديه فوضعت رأسها تحت ذقنه مستسلمة تماماً لعناقه.

سمعت قرعاً شديداً على الباب الخلفي الذي فُتح ليدخل منه السيد هندرسون.

قال بصوت أجش: «حسناً، الآن. لقد سمعت أنك عدت، فقلت في نفسي، يا هيرمان، هذا اسمي بالعمادة، أُطلق عليّ بعد عمي، بناء وسارق جياد في بلدنا الأصلي. حسناً، قلت في نفسي، لا بد وأن السيدة الصغيرة قد سئمت من السلم الخلفي غير المنجز، ربما كانت تصعده كل يوم وهي تلعن اسم هندرسون إذاً، ها أنا الآن، مستعداً لإنجاز ذلك، إن كنت تريدين ذلك بالطبع؟»

قالت لوسي بصوت منخفض: «آه، أجل، نحن بحاجة إلى الدرج.»

ثم نهضت فوراً بعد أن أدركت وضعها ووقفت خلف جيم بينما كانت تعدل في ثيابها ثم أضافت: «أجل، بأسرع وقت ممكن. و... سيد هندرسون، الشيك الذي أعطيتك إياه؟ هل؟»

أجاب هندرسون: «ذهبت إلى المصرف وصرفته فوراً. فبحكم عملي في النجارة منذ ثمانية وعشرين عاماً، التزم دائماً بالمثل القائل: لا تثق بأحد في العمل.»

قال جيم: «لطيف جداً. أجل، نريد إصلاح الدرج. اليوم، إذا كان ممكناً هل يمكنك أن تبدأ حالاً؟»

ردّ هندرسون: «إنني من ذلك النوع من الناس الذي يتفهم الأمور، يا سيدتي الصغيرة هل ابدأ في هذه الدقيقة؟»

قالت لوسي: «من هذه الدقيقة، إذا لم يكن قبل ذلك.»

ضحك البنّاء، نفض بنطاله، ثم توجه إلى الباب وقال: «كيف يمكن لفتاة صغيرة مثلك أن تملك كل تلك المهارة، لقد عادت الأمور بينك وبين المصرفي إلى سيرها الطبيعي، أليس كذلك؟»

قال جيم راسماً على وجهه ابتسامة صغيرة: «أجل، إنه كذلك.» لقد كانت تلك الابتسامة كابتسامة النمر قبل أن يأكل فريسته، ابتعدت لوسي عنه لتقف عند زاوية طاولة المطبخ.

قالت: «إسمعني، لم أكن أريد إقتراض المال من دون معرفتك، ليس في بادىء الأمر، ولكن لاحقاً. لاحقاً، بدا الأمر أكثر سهولة أن... حسناً، أنا لم أعرف فقط متى أقول لا. والآن، أعتقد، أنك ستسترد مالك وتختفي ثانية وراء الشمس.»

«نعم ولا يا سيدتي.» لم تستطع أن تبعد إلى الوراء أبعد من

طاولة القهوة وهو كان يلفها بذراعيه القويتين. فقالت لوسي في نفسها: لن أعارض كثيراً. قال جيم: «الآن أين كنت؟»

أبعدته لوسي عنها بوضعها يديها على صدره ودفعه إلى الوراء لكنه لم يتحرك بوصة، وقالت: «لا، لن تفعل. لن يكون هناك مزيد من ذلك قبل أن تخبرني لماذا أنت لست غاضباً لأنني اقترضت المال من مصرفك؟»

«فضولية. أنا لست غاضباً لأني أمضيت الأيام الأربعة الأخيرة في بوسطن أبيع نصيبي من الأسهم.»

«إذن أنت... أنت مفلس؟»

«ليس بالضبط، لكن نعم في ظروف معيشية متردية. فكرت أنه يمكنني العيش من المدخول المالي خاصتك.»

«مدخولي المالي؟ بحق السماوات، ليس لدي المال الكافي لأبقي مود مرتدية جوارب. معلمات المدرسة خصوصاً البديلات لا يجنين الكثير من المال! لماذا بعت المصرف؟»

«لأنني فكرت أنه سيكون دائماً بيننا، مثلما كان في الماضي، يا حبيبتي.»

«آه.» لقد خطرت بذهنها الديناميكي فكرة هائلة. يداها خلف ظهرها... أصابعها معاكسة بعضها بعضاً... انتصبت على أطراف أصابعها وقبلت ذقن جيم. ثم قالت: «إذاً، ليس علي أن أسدد القرض؟»

«ماذا؟»

رجعت لوسي إلى الوراء، فقد بدا لها أن ذلك لم يكن الوقت المناسب لكي تسأل هذا السؤال.

تابع جيم: «يا إلهي، لا عجب في أن مصارف كثيرة قد أفلست! مع وجود أشخاص مثلك! يا إلهي.»

«لقد سألتك سؤالاً بسيطاً ولا أفهم الجواب.»

«الجواب بسيط كالسؤال.» اختفت من ملامحه نظرة التعجب تلك، وابتسم وقال: «لا، ليس عليك أن تسددي القرض لأنه حسب قانون ولاية ماساتشوستس، الرجل مسؤول عن ديون زوجته. ما رأيك في ذلك؟»

«أنت تقصد... أنت...؟»

«لا تتلعثمي، ستختنقين وهذا ما لن أسمح به. ففي السنين المقبلة ربما أقوم أنا بذلك بنفسي. نعم، يا لوكسترا، عليّ أن أسدد قرضك.»

«هذا أمر مضحك للغاية. لو عرفت كل زوجات العالم ذلك فإن معظم الرجال...»

«سيكونون مفلسين أو عازبين. الآن، أين كنا؟»

«تماماً هنا، اعتقد.» حملت يده الكبيرة، قبلت راحتها وثم عانقها.

فتح الباب الأمامي بقوة لتدخل منه مود وتتوجه إلى الردهة وهي تصرخ بصوت عال: «ماما! لقد التقيت السيدة ونتزر بينما كانت للتو عائدة من الإجازة وقلت لها إن والدتي تملك هذا المنزل، وهي قالت لي إنها لطالما أرادت أن ترى داخل هذا المنزل، فأخبرتها بأن هذا الوقت ملائم لفعل ذلك. لذلك ها هي هنا. و... ماما؟ ماما؟»

الفصل العاشر

اكتشفت لوكسترا يوم زفافها أن لديها الكثير من الأصدقاء. فقد عجت الكنيسة بالناس عندما نزلت من المقعد الخلفي لسيارة الكاديلاك التي يملكها زوج المستقبل. حتى السيد ليدرمان وزوجته الجديدة كانا يقفان أمام الباب الخارجي تحت أشعة الشمس الساطعة.

«كانت العروس مرتدية الزي التقليدي للزفاف، فستاناً طويلاً أبيض من الحرير ذا ذيل قصير، بروشاً رائعاً من الذهب استعارته لوسي من السيدة ونترز يزين ياقة الفستان. الساعة التي أعطاها إياها والدها منذ سنين خلت في معصم يدها. تاجاً صغيراً من الذهب الحقيقي، هكذا أخبرها جيم، الأمر الذي جعلها تكاد تختنق! وكان وشاح قصير مشبوكاً في هذا التاج، من التول ينسدل مغطياً عينيها. وبينما كانت لوسي تدخل الكنيسة كانت تبتسم، إذ أن ذلك المشهد يشبه تلك المشاهد التي تقرأ عنها في القصص ولأنها أحبت القصص القديمة التي كانت تسردها لها جدتها.

قالت لوسي في نفسها: ما يزال هناك أربعة أيام لنهاية شهر أغسطس، وسبعة أيام لبداية العام الدراسي. كيف يمكن لنا أن نعيش من مدخولي؟

لقد بدت محاولة جعل جيم يتكلم في الموضوع صعبة كمهمة ذلك الذي يريد تسلق قمة إفرست عاري القدمين. ولكنه كان دائماً يقول لها: «لا تقلقي، ستتغير الأمور حتماً وللأحسن!» ثم يرفع رأسه ويحملق بها قليلاً ثم يبتسم.

إنه يثير الأعصاب وهي فتاة كادحة وقوية تستطيع أن تصنع من جيم شخصاً مهماً إذا ما صممت على ذلك! ثم قالت في نفسها: عليّ أن أجعله يحلق ذقنه دائماً لأنه ظن بأنه بعد توقفه عن عمله كمدير مصرف، يمكن أن يكتفي بحلاقة ذقنه مرة في الأسبوع. إضافة إلى ذلك، يجب أن يؤخذ الرجل من يده ليفعل هذا الأمر أو ذاك. وأنا الفتاة المناسبة للقيام بذلك! أو هل أنا هي؟

قال السيد هندرسون: «انتبهي إلى العتبة.» كان يرتدي بدلة وربطة عنق سوداء. ثم تابع قائلاً: «لدي أربع بنات وابنة أخ لي، ولكنهن جمعهن لسن بجمالك، يا سيدتي.»

لذلك، بما أنها كانت تعرف أن ذلك كلام رقيق ولطيف جداً، فإنها تقبلت تهنئته، ثم توجها إلى الممر بينما كانت تعزف على الأورغن موسيقى باخ. لقد كانت تلك الموسيقى مقدمة لسيمفونية لم تستطع أن تتذكر ولا بأي طريقة ما اسمها. كان الكاهن يقف على منصته، والصغيرة التي كانت تحمل الزهور كانت تقفز بجنون.

سألتها لوسي: «ما الأمر، يا مود؟»

«أريد الدخول إلى الحمام وهم لا يدعونني أذهب.»

«اذهبي. اذهبي بسرعة.» ثم أشارت لوسي إلى إحدى اشبيناتها بأن تأخذ مكان مود ريثما ترجع. القسيس فالسون، المعتاد على حصول أمور كهذه، هز رأسه وأومأ إلى عازف الأورغن لاطالة المعزوفة. بعد قليل عادت الصغيرة مضطربة، متوردة الخدين من الحرج، ولكنها رجعت.

سألت لوسي: «جاهزة؟» فهزت مود برأسها إيجاباً. فأومأ السيد هندرسون إلى القسيس فالسون الذي بدوره أمر الفرقة ببدء العزف. قاموا بذلك وكأنهم لم يتمرنوا عليه من قبل. ثم قاموا بالعزف على الأورغن فقط. وضع السيد هندرسون يد

لوسي تحت ذراعه، ربت عليها قليلاً، قامت بعدها لوسي بجولتها.

كان من الصعب عليها أن تبقي وجهها إلى الأمام مباشرة. إذ أنها كانت تعرف كل الأشخاص الموجودين في الكنيسة، لكن العروس يجب ألاّ تتوقف لتتكلم أو تبتسم. لذلك، وبما أن رأسها يجب أن يكون إلى الأمام، وقد كان كذلك، فإنها كانت تغمز أصدقاءها المقربين. ثم تقدمت مع السيد هندرسون إلى المذبح من دون أي حادث أو خطأ. الأمر الذي لم تكن تصدق بأنه قد حصل. انتقلت بعد ذلك، يدها إلى يد جيم، رفع السيد هندرسون وشاحها، قبلها ثم توجّه ليأخذ مكانه بين الجموع.

قال القسيس فالسون: «أحبائي.» ثم ابتدأت المراسم بصوته العميق، لكن لوسي ما أن نظرت إلى جيم بطرف عينها حتى فقدت الاتصال مع الواقع. لقد مر الكلام فوق رأسها ولم يدخل رأسها، فهي لم تفهمه. بقيت لوسي على تلك الحالة إلى أن وصل القسيس إلى ذلك المقطع حيث يقول: «الكسندر جيمس، هل تقبل بهذه المرأة زوجة لك...؟» فابتلعت لوسي العلكة التي كانت تلوكها ثم حملقت في الرجل الغريب المنتصب بقربها، الكسندر؟ ماذا حصل لجيمبو؟ لقد بقيت تحلل هذا الموضوع في رأسها إلى أن قال القسيس: «أعلنهما زوجاً وزوجة. قبّل العروس، يا جيمبو.» إذن، عندما يقول القسيس ذلك فإن الأمر على ما يرام وليس هناك من رجل غريب. ولكن كائناً من يكون هذا الرجل، فإنه عندما قام بتقبيلها تأكدت بأنه جيمبو، فاطمئنت.

سألت مود عندما خرج الناس متوجهين إلى سياراتهم: «الآن؟»

قال جيم: «الآن» ثم ركضت الفتاة الصغيرة ثانية لتقف في مقدمة الجموع، ورمت لوسي بباقة الورد مباشرة إلى مود:

«لقطة موفقة.» قال لها الاثنان عندما عادت إلى السيارة.

سألت مود: «هذا يعني أنني سأتزوج بعدك؟»

قال جيم: «لكن لا تستعجلي، أنا ووالدتك سنستخدم مربية أطفال بعد فترة قصيرة.»

سألت مود: «الليلة؟»

قالت لوسي بعد أن احمر وجهها: «ليس بالضبط، إنه يعني بعد فترة، يوماً ما، ربما.»

قال جيم ملحاً: «السنة القادمة في مثل هذا الوقت.» فأخفضت لوسي رأسها لتخفي تورد خديها. ثم قالت في نفسها، فعلاً، هذا الرجل بحاجة إلى أن يُضبط، لكن ليس على الفتاة أن تبدأ بذلك منذ اليوم الأول لحياتها الزوجية.

أُقيم حفل الاستقبال عند الشاطىء بين المنزلين. وعندما انصرف المدعوون كان الظلام قد حل، فأصبح الشاطىء مليئاً بالظلال وتوجه أعضاء عائلة بروكتر الثلاثة إلى شرفة منزلهم الكبير. فتحت مود الباب، وحمل جيم العروس واجتاز العتبة إلى داخل المنزل.

قالت مود بينما كانت تتثاءب: «حسناً، ذلك كان جميلاً... أمي. أريد أن أبقى مستيقظة لأشاهد مسلسل هانتر.»

قالت والدتها الجديدة: «لقد انتهت الحفلة، وابنتي لا يمكنها أن تسهر لساعة متأخرة من الليل لتشاهد سخافات على شاشة التلفاز. أنا ووالدك سنأوي إلى الفراش...» ثم قالت بهمس: «توقف عن ذلك جيم. كن صبوراً!»

قالت مود متذمرة: «آه، آخ!»

قال: «هذا يكفي، يا فتاة. أخبرتك والدتك بأن تخلدي للنوم فاخلدي للنوم. فاسمعي كلامها.»

مدت الفتاة الصغيرة لسانها في وجه الاثنين ثم ركضت وصعدت إلى غرفتها.

تمتم زوج لوسي: «ونحن أيضاً؟»

قالت: «سأسابقك.» ثم رفعت فستانها وهرعت إلى غرفة النوم. وبعد فترة من الوقت كانا مستلقيين عندما سمعا طرقاً على الباب.

قال جيم: «آه، لا. ليس هنا أيضاً.»

سألت لوسي: «مود؟»

قالت مود بينما كانت قد بدأت بفتح الباب: «لا أستطيع النوم.» فتحت مود الباب. ودخلت إلى الغرفة، اختبأت لوسي تحت الغطاء وتركت جيم يواجه ذلك.

قالت مود: «أمي؟ هل أستطيع النوم قربك في السرير؟»

همس جيم في أذن زوجته: «إذا قلت نعم، سأدق عنقك!»

قالت لوسي: «ليس الليلة، يا عزيزتي، والدك لا يشعر أنه بخير ولكنه سيأتي معك إلى سريرك ويسرد لك قصة. أليس كذلك، يا عزيزي؟»

قال جيم للوسي: «سأنال منك.»

رددت لوسي: «أتمنى ذلك.» ومما أدهشها أنه فعل كما قال.

بزغ نهار اليوم التالي سريعاً، عندما فتح الزوجان أعينهما عند الساعة السادسة، كان قد أقفل باب غرفة النوم، ومود بعد أن استمرت في القرع على الباب لمدة طويلة، اضطرت للنزول إلى الطابق السفلي وتناول طعام الفطور مع السيدة ونترز.

تذمرت مود قائلة: «لا أدري لماذا عليهما النوم كثيراً.»

قالت السيدة ونترز: «إن ذلك يحصل كثيراً عند المتزوجين حديثاً. فقط كوني صبورة. سوف ينزلان قريباً.»

بالفعل نزلا ولكن عند ساعات الظهر الأولى.

سأل جيم فيما كانوا على الشاطىء يأكلون: «هل تحتاجين إلى ثوب سباحة من قطعتين؟»

ردت لوسي: «تحتاج إلى فنجان ثانٍ من القهوة.» ثم سألت مود: «أتريدين بعض القهوة؟»

ذلك كان عرضاً لذيذاً لا تستطيع مود رفضه، فاقتربت منهما مبتسمة، ثم تناولوا الطعام بطريقة توحي بأنهم لم يأكلوا منذ أسبوع. قال جيم: «والآن، هناك أمران علينا أن نتحدث عنهما. أولاً، بالنسبة للمصرف، لقد كنت ملتزماً بهذه المؤسسة، ولكن عندما علمت بقيمة... قرضك... غضبت كثيراً إلى درجة أنني كنت سآكل ورق الجدران. فهربت من ذلك كله، لأمنح نفسي فرصة للتفكير. حسناً، ما فكرت به هو أن أتوقف عن عملي كمدير مصرف إن كنت أريد أن أحصل عليك، فبعت كل حصصي وأسهمي في المصرف و... أتعلمين؟... نحن ينقصنا خمسة عشر دولاراً حتى نصبح من أصحاب الملايين. الآن، بعد فترة، سأنتسب إلى كلية الحقوق لأدرس المحاماة. لكن قبل ذلك سنذهب نحن الثلاثة لقضاء شهر العسل.»

سألت مود: «وأنا أيضاً؟»

قال: «أنت أيضاً.»

قالت لوسي: «وهل لنا أن نعرف، نحن الفتاتان إلى أين سنذهب؟»

«ليس هناك من سبب كي لا أخبركما. لقد ابتعت خريطة الأسبوع الماضي ووجدت أنه بامكاننا الذهاب إلى أماكن عديدة. وحتى نذهب إلى كل تلك الأماكن، سنذهب في جولة حول العالم. الآن، لا تصرخا من الفرح لقراري! سنمضي الأسبوع الأولى في واشنطن

وستصطحبك والدتك إلى كل الأماكن السياحية هناك. بينما أنا أحضر اجتماع وزارة المالية. لسبب ما، يبدو أنهم يفكرون بأني على الرغم من أني تركت العمل المصرفي، فإن لدي أمراً أو أثنين لهما أهمية، لأقولهما.»

قالت مود: «بعيد الشر عنا.»

قالت عروسه: «حول العالم؟ من أين سننفق على تلك الرحلة؟»

قال جيم لابنته: «إن والدتك هي السيدة العملية، كل شيء مدروس. حسناً، يا سيدة بروكتر، لقد قلت لك، أليس كذلك، بأنه ينقصنا خمسة عشر دولاراً لنصبح من ذوي الملايين؟»

قالت لوسي: «هذا رائع، أنا أعرف مصرفاً يمكن أن يقبل إقراضنا خمسة عشر دولاراً. ربما حتى عشرين!»

رد جيم: «آه، لا. لن تفعلي. أنت، يا سيدتي، قد انتهى عملك مع المصارف. بالإضافة إلى ذلك، أتذكرين الإرث الذي تركته لك أنجي والذي هو عبارة عن كومة أوراق؟ لقد تركت لك درهم الأرملة. أتذكرين؟»

سألت مود: «ماذا يعني ذلك؟»

أضاف جيم: «إنها قصة من الإنجيل. الأرملة، التي تملك فقط درهما واحداً لاسمها، ذلك الدرهم الذي هو أصغر قيمة بين النقود التي استخدمت في تلك الأيام، جاءت المعبد، ومرت عبر هؤلاء الأغنياء الذين كانوا يتكلمون مع بعضهم البعض، ورمت بذلك الدرهم في صندوق التبرعات، مانحة كل ما تملك لله. وهذا ما فعلته أنجي. ولكن الأوراق ليست درهماً بعد الآن. فعندما قام موظفوا المصرف باحصاء تركتك، فإن قيمتها قد بلغت اربعة ملايين دولاراً. من دون إضافة الخمسين ألف دولار بالعملة المستخدمة في أيامها، والتي لا تصرف اليوم في السوق

الحرة.» تمتمت لوسي: «أنا... يا إلهي، لقد نسيت. العزيزة أنجي. ولكن درهمها لم يكن مالاً، كان حباً. لقد كانت مثالاً للانسان الذي يعرف كيف يكون سعيداً يضحي من أجل الآخرين. أتعلم، لطالما أرادتني أن أتزوج منك، يا الكسندر.»

«أنا أيضاً. إذن، أرأيت، ليس علينا أن نعيش من مدخولك. في الحقيقة، لقد قلت لمدير المدرسة يوم حفل الزفاف بأنك لن تعودي إلى العمل، ولا تنادِيني الكسندر أبداً في العلن. نعم، العزيزة أنجي العزيزة لوسي.»

قالت مود: «ألن تنزلا إلى البحر للسباحة؟»

قالت لوسي: «أنا لا أعتقد ذلك، على والدك وأنا أن نتحدث في موضوع، ومن ثم أعتقد بأننا سنحتاج إلى بعض النوم. اذهبي وابقي مع السيدة ونترز وسنراك على العشاء.»

تذمرت مود في اليوم التالي: «أنا لا أفهم، لقد نمتما طوال يوم البارحة ونصف هذا اليوم. ولا تزالان متعبين؟ أنا أعتقد أنهما بحاجة إلى أقراص ڤيتامين، يا سيدة ونترز.»

ردت السيدة ونترز: «ربما أنت على حق، يا طفلتي.» ثم قالت لجيم: «معك الجرة؟»

قال جيم: «أجل، والطائرة المائية تنتظر. هيا، يا مود.»

قالت مود: «إلى أين، بحق السماء؟»

قال: «أنت، أنا، ووالدتك ذاهبون في نزهة جوية. قولي وداعاً لأنجي.»

قالت مود: «لأنجي؟ ولكنها... رحلت.»

قال: «أجل، ولكنها ستكون هناك لتقول لنا وداعاً. أحضري كنزة، فالهواء بارد في الطائرة.»

• • •

حطت طائرة البحر في المرفأ، ساعد الطيار آل بروكتر على الدخول إليها، جيم في المقعد الأمامي، لوسي ومود جنباً إلى جنب في المقعد الخلفي. لم يستغرق الطيار أكثر من دقائق حتى يقلع. فجال فوق الجزيرة ثم توجه إلى الجادة رقم ستة ومن ثم عاد فحلق فوق المرفأ، أخفض من علوّ الطائرة، مخففاً السرعة.

فتح جيم بروكتر نافذة الباب المجاور له، وعندما أمر الطيّار، فتح جيم الجرة فإذا برفات أنجي ينتشر في الجو.

قالت لوسي والدمعة في عينها: «من التراب وإلى التراب نعود. الوداع أنجي مور، ليسكنك الرب جناته.» ثم استدارت إلى مود، لأنه في عالم لوكسترا بروكتر كان دائماً هناك عبرة لكل قصة، وقالت: «لقد كنت رضيعة عندما توفيت والدتي، رعتني جدتي لسنوات عدة وبعد أن توفيت، أصبحت أنجي والدتي الثانية، لقد كانت لطيفةً جداً معي.»

قالت مود: «وانظري إليّ، لقد توفيت والدتي عندما كنت طفلة، والآن أنت والدتي الثانية. واو! ستبقين والدتي لمدة طويلة!»

لوسي، برغم أنها لم تكن معتادة على ذلك، ابتسمت ابتسامة عريضة ومسحت الدمعة التي كانت تحاول أن تغافلها بالنزول على خدها بينما كانت ترمق جيم بنظرة بادلها إياها.

قالت مود: «الوداع، أنجي. سوف نراك في السماء.»

قالت لوسي: «حسناً، ألم يكن ذلك القول جميلاً؟ أنا... ربما سنفعل ذلك. لنذهب إلى المنزل، يا جيم، اليوم هو اليوم الأولى لما تبقى من حياتنا.»

تمت